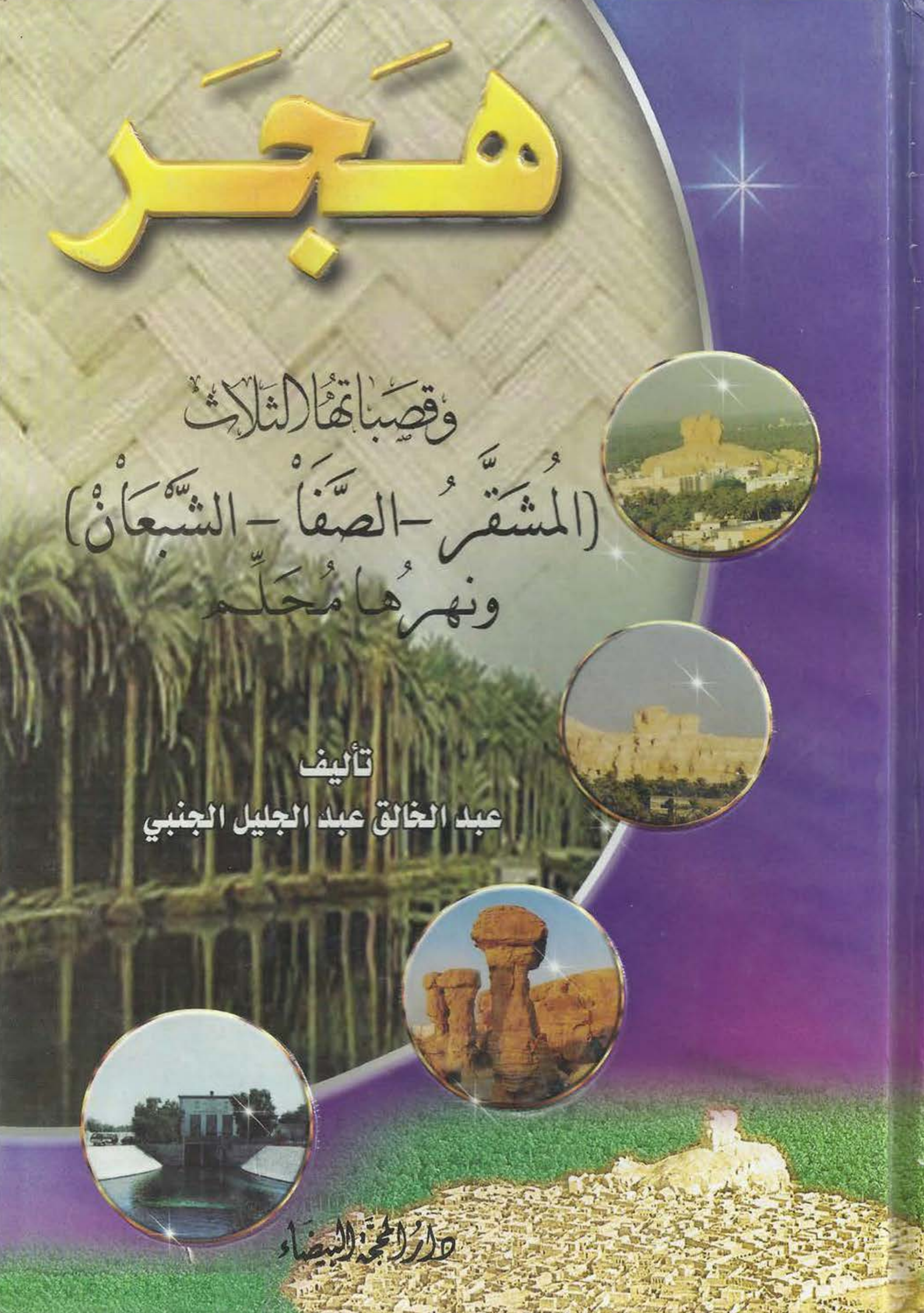


هَجَر
وقصباتها الثلاث
(المُشَقَّر - الصَّفَا - الشَّعَان)
ونهرها مُحَلِّم
تأليف
عبد الخالق عبد الجليل الجنبي
دار المحجة البيضاء



وقصباتها الثلاث

(المُشَقَّرُ - الصَّفَاْ - الشَّبْعَاْنْ)

ونهرُها مُحلِّم


بسم الله الرحمن الرحيم



وقصباتها الثلاث

(المُشَقَّرُ - الصَّفَاْ - الشَّبْعَاْنْ)

ونهرُها مُحلِّم

عبد الخالق الجنبي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
ت: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

الإهـداء:

من واحة القطيف

إلى شقيقتها

واحـة الأحـسـاء

إن هذا الكتاب هو ثمرة سنين من البحث الميداني المضني للمؤلف، والذي سبقه بحثٌ آخر في مضامين أمهات كتب الأدب والتاريخ والجغرافيا، وهو يكشف لأول مرّة عن موضع مدينة هجر المشهورة في التاريخ العربي، وكذلك موضع حصنيها الأشهرين المشقر والصَّفا ونهرها محلم.

وقد حاول الكثير من الكتاب والباحثين الوقوف على مواضع هذه الأماكن إلاّ أنّ منهم مَن أبعد النجعة فجعلها في غير أماكنها الصحيحة، ومنهم مَن حام حول الحِمى ولم يقع فيه إلى أنْ قيَّض الله للكاتب أن يكتشف التلّ الذي كان يقوم فوقه حصن المشقر في عام ١٤١٤هـ، فكان فاتحة خير لاكتشاف الحصن التوءم للمشقر، وأعني به حصن الصَّفا، ومن ثم التوصّل إلى معرفة العين التي كانت تُعرف في السابق باسم عين محلم الشهيرة، ثم أعقبه التوصُّل إلى معرفة موقع أهمّ مدينة عرفتها هذه المنطقة وأبعدها ذكراً في التاريخ والأدب العربيين ألا وهي مدينة هجر العظمى.

هذا وسوف يجد القارىء لهذا الكتاب الأدلة الواضحة واليقينية في تحديد مواضع هذه الأماكن المشهورة في الزمن القديم، كما سيجد الكثير من صور هذه الأماكن التي التقطها الكاتب وبعض إخوانه المثقفين من أهالي الأحساء الذين أشكرهم وأكنُّ لهم كل تقدير واحترام على ما أبدوه لي من حفاوة وترحيب ومساندة لا أنساها لهم أبد الدهر، وأخصُّ بالذكر الدكتور السيد مرعي الشخص، والأخوين أحمد وإبراهيم البدر الذين ساندوني مساندةً لا أنساها لهم، وقدما لي كل دعم وعون لإخراج هذا الكتاب الذي هو بين يدي القارىء الآن.

المؤلف

بلاد زارهـا ومدحـها الرسـول الأكـرم - صلـى الله عليـه وآلـه وسلم -:

نحـن هنـا أمـام أربعـة مواضـع نـالت شـهرة مدويـة في تـاريخ الجزيـرة العربيـة وأدبـها، ويكفيـها فخـراً أنـها قـد تشـرفت بدخـول الرسـول الأكـرم – صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم – إليـها، ووقوفـه عليها ومدحـه لهـا، فقـد جـاء في الحديـث الشـريف:[1]

((لَـوْ كَـاْنَ العِلْـمُ فِيْ الثُّرَيَّـا لَتَنَاْوَلَتْـهُ رِجَـاْلٌ مِـنْ فَـاْرِسْ، وَلَـوْ فُقِـدَ الإِسْلاْمُ مِـنْ الدُّنْيَـا لَوُجِـدَ فِيْ هَجَـر)).

كما ذكر أحمد بـن حنبـل في مسنده قـال:

((حَدَّثَنَـا إِسْمَاعِيلُ بْـنُ إِبْرَاهِيـمَ قَـالَ حَدَّثَنَـا عَـوْفٌ حَدَّثَنِـي أَبُـو الْقَمُوص زَيْدُ بْـنُ عَلِـيٍّ[2] قَـالَ حَدَّثَنِـي أَحَـدُ الْوَفْـدِ الَّذِيـنَ وَفَـدُوا عَلَـى رَسُـولِ اللَّـهِ صَلَّـى اللَّـه عَلَيْـهِ وآلِـهِ[3] وَسَلَّمَ مِـنْ عَبْـدِ الْقَيْـس قَـالَ:

---

[1] أنوار البدرين للشيخ علي البلادي البحراني الصفحة ٤٠، وهـو ينقلـه عـن كتـاب (نفس الرحمن في فضائل سلمان) للميرزا حسين النوري الطبرسي.

[2] هو زيد بن علي الجَذَمـيُّ العَبْـديُّ تـابعي كـوفي ثقـة روى عـن زعيـم عبـد القيـس الجارود بن المعلى الجَذميّ العبدي، وبنو جذيمة من عبد القيس هـم سـكان القطيـف ومـا حولها كما ذكر البكري في كتابه معجم ما استعجم. وانظـر في ترجمـة زيـد كتـاب الجـرح والتعديل ٢ / ٥٢٥ ومعرفة الثقات للعجلي ص٣٧٨، وولده محمد بن زيد بن علي العبدي البصري قاضي مرو. الجرح والتعديل ٧ / ٣٥٦.

[3] لفظة "وآله" إضافة مقتضـاة لأنّ الكثـيرين مـن علمـاء الإسـلام لا يجـيزون الصـلاة البتراء على النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – ويوجبـون ذكـر لفظـة (الآل) في الصـلاة عليه كما ذكر ذلك ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقـة ص١٤٦، والقنـدوزي في ينـابيع المودة ص٢٩٥، وأخرج الشعراني عـن رسـول الله صلـى الله عليـه وآلـه: (لا تصلـوا علـي الصلاة البتراء . قالوا : وما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون

وَأَهْدَيْنَا لَـهُ فِيمَـا يُـهْدَى نَوْطًـا أَوْ قِرْبَـــةً مِــنْ تَعْضُــوضٍ[4] أَوْ بَرْنِــيٍّ[5]
فَقَـالَ مَـا هَـذَا قُلْنَـا هَـذِهِ هَدِيَّـةٌ قَـالَ وَأَحْسِـبُهُ نَظَـرَ إِلَـىْ تَمْــرَةٍ مِنْــهَا

، بل قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد، فقيل من أهْلُك يا رسول الله؟ قـال صلى الله عليه وآله: علي وفاطمة والحسن والحسين). انظر كشف الغمـة للشعراني: ١ / ٢١٩ فصل في الامر بالصلاة على النبي طبع مصر ١٣٢٧هـ / المطبعة الميمنية.

[4] جاء في وصف التعضوض ما يلي:

التعضوض: .. قالها خليفة وقال: وفيها تظفير أي أساريع وتحزيز وكأن ذلـك شبه بآثار العض.

الفايق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ج ٢ ص ٩٩

التعضوض: .. قال الأزهري: أكلت التعضـوض بـالبحرين فما علمتـني أكلـت تمرا أحمت حلاوة منه، ومنبته هجر.

الفايق في غريب الحديث لجار الله الزمخشري ج ٣ ص ١٢٩

تمر أسود شديد الحلاوة، ومعدنه هجر،.. وحديث عبد الملك بن عمير رضي الله عنه (والله لتعضوض كأنه أخفاف الرباع أطيب من هذا).

النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ج ١ ص ١٨٦

والتعضوض: ضرب من التمر سري، وهو من خير تمران هجر، أسود عذب الحلاوة.

لسان العرب لابن منظور ج ٤ ص ٦٠٧

والتعضوض: ضرب من التمر شديد الحلاوة، .. وفي التهذيب: تمر أسود .. قال أبو منصور: وما أكلت تمراً أحمت حلاوة من التعضوض، ومعدنه بهجر وقراها .. وقـال أبـو حنيفة: التعضوضة تمرة طحلاء كبيرة رطبة صقرة لذيذة من جيد التمر وشهيه.

لسان العرب لابن منظور ج ٧ ص ١٩١

التعضوض، وهو من أسرى تمران هجر، أسود جعد لحيم عذب الطعم حلو.

لسان العرب لابن منظور ج ٧ ص ٤١٩

وقال أبو حنيفة التعضوضة تمرة طحـلاء كبـيرة رطبـة صقـرة لذيـذة مـن جيـد التمـر وشهيه قال وأخبرني أعرابي من ربيعة ان التعضوضة تحمل بهجر ألف رطل بالعراقى.

تاج العروس للزبيدي ج ٥ ص ٥٥

فمن كل ما سبق يكون وصف هذه التمرة كما يلي:

التَّعضُوضة: تمرةٌ سوداء صقرة (أي سوداء مشربة بحمرة) جعداء لحيمة كبيرة رطبة سَريّة شهية شديدة الحلاوة عذبتها فيها تظفير أي أساريع وتحزيز كآثار العض تشبه أخفاف الرِّباع (ما ولد من الإبل في الربيع).

فهذه الصفات تنطبق اليوم في إقليم البحرين على نوعين من التمر هما (الشَّيْشِيْ) و(الخُنَيْزِيْ)، فقد يكون أحدهما التَّعْضُوض، وفي الأحساء عين التعاضيد قرب قرية بني معن معروفة، وقد تكون مقلوبة عن التعاضيض جمع تعضوضة أي هذا التمر.

٥ جاء في وصف البرني:

البرني: ضرب من التمر أحمر مشرب صفرة، كثير اللحاء، عذب الحلاوة، ضخم.

كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ج ٨ ص ٢٧٠

البرني: تمر ضخم كثير اللحاء أحمر مشرب صفرة.

الفايق في غريب الحديث للزمخشري ج ٢ ص ٩٩

البرني: ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود التمر، واحدته برنية، قال أبو حنيفة: أصله فارسي [illegible]: إنما هو بارني، فالبار الحمل، وني تعظيم ومبالغة.

البرني: ضرب من التمر أحمر مشرب بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة.

لسان العرب لابن منظور ج ٣١ ص ٤٩

والصيغل: التمر الذي يلتزق بعضه ببعض ويكتنز، فإذا فلق أو قلع رؤي فيه كالخيوط، وقلما يكون ذلك في غير البرني.

لسان العرب لابن منظور ج ١١ ص ٣٧٩

الصغل ككتف: السغل. والصيغل كجردحل: التمر الملتزق بعضه ببعض المكتنز فإذا فلق رئي فيه كالخطوط وقلما يكون في غير البرني.

القاموس المحيط للفيروز آبادى ج ٤ ص ٢

وفي التهذيب هو التمر المختلط الآخذ بعضه ببعض أخذا شديدا (وقلما يكون في غير البرني).

فَأَعَادَهَا مَكَانَهَا وَقَالَ أَبْلِغُوهَا آلَ مُحَمَّدٍ قَالَ فَسَأَلَهُ الْقَوْمُ عَنْ أشْيَاءَ حَتَّى سَأَلُوهُ عَنِ الشَّرَابِ فَقَالَ لا تَشْرَبُوا فِي دُبَّاءٍ[6] وَلا

تاج العروس للزبيدي ج ٧ ص ٤٠٣

فمن كل ما سبق يكون وصف هذا التمر كما يلي:

البرني: تمر أحمر مشرب بصفرة أو أصفر مشرب بحمرة، ضخم مُدَوَّر ، كثير اللحاء، عذب الحلاوة، يلتزق بعضه ببعض بقوة ويكتنز، فإذا فلق أو قلع رؤي فيه كالخيوط أو الخطوط.

وهذا الوصف ينطبق اليوم على التمر المعروف بالخُلاص، وقوله: عن هذا التمر أنه إذا فُلِق أو قُلِع بعد تجميعه وكنزه يُرى فيه كالخيوط أو الخطوط فإنما أراد بذلك أنّ هذا التمر عندما يُكنَزُ ويُكْبَسُ بعضه فوق بعض فإنه يسيل منه دبسٌ ذهبي شديد الصفاء، وهذا الدِّبْسُ يشبه العسل في صفاءه ونقائه وصفته بحيث لو أننا أخذنا تمرةً منه فإنه يُشاهدُ تشكُّلُ خيطٍ رفيعٍ من هذا الدِّبْس يربط بين هذه التمرة وباقي التمر المكنوز كما يحدث من آخر سيلان العسل عند أخذنا لعقةً منه بالإصبع، ولكن هذا الخيط يكون أقصر بكثير في عسل تمر الخلاص عنه في العسل الطبيعي، وهي من صفات تمر الخلاص الفائق الجودة والمشاهدة حتى اليوم، وربما سُمّي البرنيُّ خُلاصاً فيما بعد تيمناً بقول الرسول -ص- لوفد عبد القيس أنه خير تمورهم، وأنه يذهب الداء ولا داء معه كما في خبر آخر روي في كثير من كتب الأحاديث ككتاب المحاسن للبرقي ج٢ ص٥٣٣ حيث أورد بضعة أحاديث عن الرسول والأئمة من آل بيته – عليهم السلام – في فضل البرني، وحضهم للناس على إعطاءه للنفساء كما في كتاب الكافي للكليني ج٦ ص٢٢، وهي عادة ظلّت باقية في إقليم البحرين بمدنه الثلاث (الأحساء والقطيف وأوال) حتى هذا العصر حيث لا زال الأهالي يعطون تمر الخُلاص خاصةً للنساء النفساوات أو حديثات الولادة، وقد يخلطونه مع الدقيق والعسل والحليب أو الماء عوضاً عن الحليب، ويطبخون منه عصيدةً تُعرف لديهم باسم (العَفُوسَة) فيقدمونها للمرأة حديثة الوضع.

[6] هو القَرْع.

حَنْتَمٍ[٧] وَلا نَقِيرٍ[٨] وَلا مُزَفَّتٍ[٩] اشْـرَبُوا فِـي الْحَـلالِ الْمُوكَـى عَلَيْـهِ[١٠] فَقَـالَ لَـهُ قَائِلُنَـا: يَـا رَسُولَ اللَّـهِ وَمَـا يُدْرِيـكَ مَـا الدُّبَّـاءُ وَالْحَنْتَـمُ وَالنَّقِـيرُ وَالْمُزَفَّـتُ؟ قَـالَ: أَنَـا لا أَدْرِي مَـا هِيَـهْ؛ أَيُّ هَجَـرٍ أَعَـزُّ قُلْنَـا الْمُشَـقَّرُ قَـالَ فَوَاللَّـهِ لَقَـدْ دَخَلْتُـهَا وَأَخَـذتُ إِقْلِيدَهَـا[١١] قَـالَ وَكُنْـتُ قَـدْ نَسِيتُ مِـنْ حَدِيثِـهِ شَـيْئًا فَأَذْكَرَنِيـهِ عُبَيْـدُ اللَّـهِ بْـنُ أَبِـي جَـرْوَةَ قَـالَ وَقَفْتُ عَلَى عَيْـنِ الـزَّارَةِ ثُـمَّ قَـالَ اللَّـهُمَّ اغْفِـرْ لِعَبْـدِ الْقَيْـسِ إِذْ أَسْـلَمُوا طَـائِعِينَ غَـيْرَ كَـارِهِينَ غَـيْرَ خَزَايَـا وَلا مَوْتُورِيـنَ.))[١٢].

وفي روايـة ذكرهـا البَسَـوي في كتابـه المعرفـة والتـاريخ في ترجمـة أحد علماء عبـد القيـس، وهـو قيـس بـن النعمـان العبـدي جـاء فيـها

---

[٧] جاء في لسان العرب: الـحَنْتَمُ جرار مدهونة خضر كانت تُـحْمَلُ الـخمرُ فـيها إلـى الـمدينة، ثم اتُّسِعَ فـيها فقـيل للـخَزَف كلِّه حَنْتـم، واحدتـها حَنْتَمـةٌ، وإنمـا نـهى عـن الانتباذ فـيها لأَنها تُسْرِعُ الشدةُ فـيها لأَجل دهنها، وقـيل: لأَنها كانت تُعْمَـل مـن طين يعجن بالدم والشعر، فنهى عنها لـيُمْتَنَع من عملها.

[٨] جاء في اللسان: النَّقِيرُ أصل النـخـلة يُنْقَرُ وسَطُه ثم يُنْبذُ فـيه التمر ويلقـى علـيه الـماء فـيصير نبـيذاً مسكراً، والنهي واقع علـى ما يعمـل فـيه لا علـى اتـخاذ النقـير، فـيكون علـى حذف الـمضاف تقديره: عن نبـيد النَّقِير، وهو فعيل بمعنى مفعـول؛ وقـال فـي موضع آخر: النَّقِيرُ النـخـلة تُنْقَرُ فـيجعل فـيها الـخمر وتكـون عروقـها ثابتـة فـي الأَرض.

[٩] وهو الإناء المطلي بالقار.

[١٠] الموكى عليه أي المُغطَّى.

[١١] الأقليد هو المفتاح هنا، وقد يكون للكلام دلالات رمزية لأننـا لا نعـرف الوجـه في أخذ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – لمفتاح مدينة المشقر أو قلعتها.

[١٢] انظر مسند الشاميين من مسنده.

أن النـبي سـألهم:[١٣] ((أيُّ هَجَـرَ أعَـزّ ؟ قـال: قُلْـتُ المُشَـقَّر. قـال: فَواللّـه لَقَـدْ دَخَلْتُـهَا وأخَـذْتُ إقْلِيْدَهـا، وقُمْـتُ عَلَـىْ عَيْـنِ الـزَّارَة عَلَى الحَجَرِ مِـنْ حَيْـثُ يَخْـرُجُ المـاءْ.[١٤])).انتـهى

---

[١٣] انظر كتاب المعرفة والتاريخ الصفحة ١٣١.

[١٤] وقد اطلعت على بحثٍ للأستاذ أحمد بن معتوق العيثان من أهالي القارة تكلم فيـه حول تاريخ القارة، فذكر أنّه وجد حديثاً في كتاب (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل ٢: ٨٢٩ طبع مؤسسة الرسالة/بيروت، وهذا الحديث يحمل الرقم (١٥١٤)، وهـو نفسـه هـذا الحديث الذي دونّاه أعلاه، ولكنّه أتمّ منه وأصحّ، حيث جاء فيـه عـن سؤال الرسـول – صلى الله عليه وآله وسلم – لوفد عبد القيـس: " .. وقـال أيّ هجـر أعـزّ؟ قلنـا: المشـقّر، فقال: والله لقد دخلتها وأخذت إقليدها؛ أيُّ الخطّ أعزّ؟ فقلنا: الزارة، فقال: فـوالله لقـد دخلتها وأخذت إقليدها؛ قال: وقد كنت نسيت من حديثه شيئاً فاذكرنيـه عبيـد الله بـن أبي جروة؛ قال: وقمتُ على عين الزارة، ثم قـال: اللـهم اغفـر لعبـد القيـس .." انتـهى المراد.

وهذا الحديث سدَّ نقصاً خطيراً في الحديث الذي دوَّناه أعلاه، وذلك بقولـه – صلـى الله عليه وآله وسلم – لوفد عبد القيس: "أي الخطّ أعزّ؟" وإجابتهم له بأنها الـزارة، لأنّ المعروف أنّ المشقر حصن هجر والزارة حصن الخط أي القطيف.

ويقدم لنا هذا الحديث الشريف نصّاً خطيراً لاكتشاف عـين الـزارة عاصمـة القطيـف القديمة، فالمعروف أن الزارة كانت تقوم بالقرب من القرية المعروفة اليـوم باسـم العوَّاميـة، وبالتحديد في طرفها الشرقي، والذي بقي منها اليوم هو حيٌّ صغير لا زال يُطلق عليه نفس الاسم الزّارة، وإنَّ نصّ الحديث في أن الرسول وقف على الحجـر الـذي تخـرج منـه ميـاه عين الزارة يثبت أن هذه العين تخرج من تلٍّ صخري، وفي هذا الموضع الـذي كـانت تقـوم فيه الزارة لا يوجد إلا عينٌ واحدة ينطبق عليها هذا الوصف، فإلى الجنوب من موقع الزارة القديم بمسافة ٥٠٠ متر تقريباً كان يقع تلٌّ صخري نُسف بالديناميت حديثاً، وأقيم علـى موضعه الآن مركزٌ لمرضى فقر الدم المنجلي، وهـذا التـلّ يُعـرف في اصطلاح أهـل القطيـف

ومع كل ذلك فقد كُتب لهذه المواضع أن تنسى ويجهل مواضعها بالتحديد، ولا يعرف حتى أهالي الأحساء أنفسهم المكان الذي كانت تقوم عليه مدينة هجر ذات الأصداء المدوية في التاريخ العربي، والتي ضرب بها الأمثال بكثرة تمورها حتى قيل: (كجالب التمر إلى هجر)، وكذلك يدل على مكانتها في نفوس العرب قولهم يخاطبون المجرّة: (اسْطِ مجَرْ تُرطبْ هَجَر)، وذلك لأنهم ينتظرون الميرة من هجر، وهي عادة كانت قائمة حتى وقت قريب، وكذلك قالوا أيضاً: (لاَقَدْحَ إنْ لَمْ تُور نَاراً بِهَجَرْ)[15] وهذا للعجاج يخاطب عمرو بن معمر، يقول: إن قَدحْتَ في كل موضع فليس بشَيء حتى تُورى بهَجَر يضرب لمن ترك ما يلزمه في طلب حاجته، وكذلك وصلت الصناعات اليدوية فيها إلى حدٍّ الإتقان العجيب حتى صارت المصنوعات الهجرية مضرب المثل عند العرب، فأخرج لنا صناعها الدروع الحُطميّة المنسوبة إلى بني حطمة[16] بن محارب بن عمرو بن

باسم جبل الحُرَيْف، وكانت تتدفق منه مياه عين عظيمة تُعرف بنفس الاسم أي عين الحُرَيف أو عين جبل الحريف، وهذه العين لا زالت موجودة حتى اليوم ولكن انخفض منسوب مياهها فلم تعد تجري، ويستخرج أصحاب البساتين المحيطة بها مياهها بواسطة المضخات الآلية لري بساتينهم، وتقع هذه العين في الركن الشمالي الغربي مباشرة لمركز فقر الدم المنجلي لا يفصل بينهما سوى شارع بعرض خمسة أمتار فقط، وبات من المؤكد حسب نص هذا الحديث الشريف أنها هي ما كان يُعرف باسم عين الزارة، والتي كانت مستهدفةً من قبل كلّ مَن حاصر مدينة الزارة من الغزاة والفاتحين.

[15] انظر عن هذا المثل وما سبقه من أمثال كتاب معجم الأمثال للميداني.

[16] انظر كتاب الأنساب للسمعاني ٢ / ٢٣٥.

وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وكذلك المصنوعات الفخارية كالقلال الهجرية التي صارت ميزاناً للماء الطاهر في الفقه الإسلامي حيث كثيراً ما نجد في كتب الفقه قولهم إذا بلغ الماء قلتين من قلال هجر لم ينجس[١٧] إلى غير ذلك من الصناعات الكثيرة.

وأما المشقر والصفا والشبعان ومحلم - والتي لم يكن حظها بأحسن من حظ هجر باستثناء الشبعان الذي بقي معروفاً حتى وقتنا هذا - فقد اتفق أكثر المؤرخين والرواة العرب على أنّ مدينة هجر تقوم عليها، ولا سيما المشقر الذي ذكر أكثر من راوٍ - كما سنرى - أنها هي بعينها مدينة هجر، وإن كان الذي يبدو أنها ليست هي تماماً، ولكنها قريبة منها بحيث لم يعدوهما منفصلتين عن بعضهما، وإن معرفتنا لمواضع المشقر والصفا ومحلم سيكون هو المفتاح الذي يفتح لنا القفل العتيد الذي لا زال موضوعاً على بوابة هجر ولا يسمح لنا حتى الآن بمعرفة ما وراء هذه البوابة المظلمة، وبالتالي فإننا سنبدأ البحث عن هذه المواضع الثلاثة أولاً فهي لا تقل شهرة عنها، ولا سيما المشقر وعين محلم الذين كان لهما الكثير من الأصداء التاريخية المدوية في الأدب العربي باعتبارهما ظاهرتين غير عاديتين في شرق الجزيرة العربية.

---

[١٧] انظر معجم البلدان للحموي رسم (هجر).

لا نبالغ إذا قلنا أن هذه المواضع الثلاثة تعد من أكثر المواضع ذكراً وشهرة من بين المواضع الجغرافية في الجزيرة العربية، والتي وردت في نصوص تاريخية وأدبية عن جزيرة العرب، وللتدليل على ذلك فإننا سوف نورد هنا بعض ما نقله لنا أعلام الثقافة العربية في مختلف العصور حول هذه المواضع الثلاثة فقط، وأمّا ما ورد في هَجَر فهو فوق الاستقصاء، ولذلك فإننا لن نذكر كلّ ما ورد فيها إلا ما ارتبط بالنصوص التي ذكرت قصباتها الثلاث ونهرها محلم، وقد رتبنا ذلك حسب التسلسل التاريخي لأصحاب هذه النصوص، وهي كما يلي:

١. عَمْرُو بنُ أسْوَىْ اللَّيْثِيْ العَبْدِيّ

وهو عمرو بن أسوى بن عِسَاس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهْل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، ويتضح من سلسلة نسبه أنه قديم جداً بالنسبة لغيره ممن سنذكر بعد قليل، وترجم له المرزباني في معجم الشعراء، ورفع نسبه إلى جدّه ظالم، وقال أنه شاعر جاهلي، وقد أسماه محمد بن السائب الكلبي في كتابه جمهرة النسب: علقمة بن أسوى،[١٨] وساق نسبه كما هو هنا باستثناء الاسم الأول الذي أخذناه عن البكري في كتابه معجم ما استعجم،[١٩] حيث أورد – بعد ذكره لنزول عبد القيس أراضي البحرين،

[١٨] انظر الصفحة ٥٨٩، ولعله تحريف عن عمرو.

[١٩] كما في الصفحة ٨١.

واقتسام بطونها لها - بيتين لعمرو بن أسوى الليثي من عبد القيس، وذكر أنه قالهما بعد ذلك بزمان، يعني بعد نزول عبد القيس للبحرين[٢٠]، وهذان البيتان هما قوله:

أَلاْ بَلِّغَاْ عَمْرَو بْنَ قَيْس رِسَاْلَةً ... فَلاْ تَجْزَعَنْ مِنْ نَاْئِبِ الدَّهْر وَاصْبر

شَحَطْنَاْ إِيَاْدَاً عَنْ (وقَاْع)[٢١] وَ(قَلَّصَتْ) ... وَبَكْرَاً نَفَيْنَاْ عَنْ حِيَاْض (الْمُشَقَّر)[٢٢]

وربما لا يكون المقصود ببكر هنا بكر بن وائل كما قد يتبادر إلى الذهن، فبكر بن وائل لم يكونوا قد حلّوا بعد على البحرين، وإنما سكنت بطون منهم هجر والبحرين بعد نزول عبد القيس بها بزمن، وربما يكون بنو بكر هؤلاء قبيلة من قضاعة أو تنوخ أو الأزد، هذا إذا لم يكن الشاعر بصدد تعداد مآثر قومه فجمع بين حدثين يفصل بينهما زمنٌ طويل، وعندها يصح أن يكون المعني ببكر هنا بكر بن وائل، وأما وقاع وقلصت فلم يذكرهما الجغرافيون العرب، وأما المشقر وحياضه فهو ما نحن بصدده الآن.

٢. أحدُ آل أسْعَد بن مَلْكِيكَرِب تُبَّعْ

ولا نعرف من أمره شيئاً غير أن الهمداني ذكر له شعراً في

---

[٢٠] الأقرب أن نزولهم البحرين كان في بداية القرن الثاني بعد الميلاد.

[٢١] شحطنا أي أبعدنا، ولم يذكر البلدانيون بلداً اسمه (وقاع)، ويحتمل تحرفه عن (نطاع)، وهي من قرى وادي المياه (الستار) الشهيرة والمعروفة في المنطقة حتى الآن، وتقع شمال غرب ثاج.

[٢٢] ذكر هذين البيتين ياقوت الحموي للشاعر نفسه في معجم البلدان في رسم المشقر، والمرزباني في معجم الشعراء.

كتابه صفة جزيرة العرب[٢٣] يذكر فيه منازل من خرج من اليمن في سائر جزيرة العرب وغيرها، وذكر من جملة ذلك منازل الأزد بن الغوث الذين سكنت بطون منهم البحرين من زمن قديم،[٢٤] فقال:

وَأَزْدٌ لَهَاْ (البَحْرَاْن) وَ (السِّيْفُ) كُلُّهُ وَأَرْضُ (عُمَاْن) بَعْدَ أَرْض (المُشَقَّر)

والبحران لغة فصيحة في البحرين، والأرجح أنّها هي الأفصح بدليل أنّ كل رجل منسوب إلى هذه المنطقة يقال له بحراني وليس بحريني، والسِّيْف أي سِيْف البحر، وهو المعروف بسيف الخَطّ، وكانت بطون من الأزد قد سكنت البحرين قديماً قبل مجيء عبد القيس إليها، ثم تحالفت معها بعد أن احتلتها هذه الأخيرة، ومالك بن فهم الذي تنخت عليه تنوخ في هجر من البحرين هو من الأزد كما ذكر ذلك العوتبي في كتابه الأنساب.

٣. أمْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ الكِنْدِيّ (توفي ٨٠ ق.هـ)

يعتبر امرؤ القيس من أقدم من ذكروا المشقر والصفا ومحلم، ولا غرابة فقد ذكر الزبيدي في تاج العروس أنّ امرأ القيس هذا قد ورث المشقر عن أباءه ملوك كندة، وكان المشقر منزلاً لهم في عصر امرئ القيس وقبله كما ذكر ذلك الهمداني[٢٥] ومنهم كان

---

[٢٣] صفحة ٣٦٩.

[٢٤] انظر تفصيل ذلك في كتاب الأنساب للعوتبي الصحاري / طبع وزارة التراث والثقافة العمانية.

[٢٥] انظر صفة جزيرة العرب صفحة ١٧٥، ومعجم ما استعجم للبكري صفحة ٣١١.

الجون الكندي ملك هجر[٢٦] بل إن جدّه لأبيه وهو الحارث بن عمرو بن حجر الكندي كان ملكاً لهجر والمشقر من قبل خاله حسان تبّع كما ذكر ذلك ابن قتيبة في كتابه المعارف[٢٧]، وسوف يأتي بيتان لامرىء القيس يؤكد فيهما أنّ جده الحارث هذا قد سار بجيوشه حتى حلّ المشقر، وقد نصّ صاحب الأغاني[٢٨] عن ابن حبيب أنه ذكر أن امرأ القيس نفسه كان ينزل المشقّر من اليمامة؟ ثم علّق قائلاً: ويقال بل كان ينزل في حصن بالبحرين، فهو مشقّر البحرين إذاً الذي كان منزلاً لجده الحارث كما مرّ، وسوف يأتي فيما يلي نصّان لابن حبيب ذكر فيهما أن المشقر بهجر البحرين، وإن كان يوجد أيضاً مُشقر باليمامة ومُشقّرٌ آخر بالعراق ذُكر في أخبار حروب تبع أبي كرب بن حسان أسعد الحميري[٢٩]، وهو الذي عناه المخبّل السعدي في شعره حيث يقول:[٣٠]

لَعَمْرِيْ لَقَدْ خَارَتْ[٣١] خَفَاْجَةُ عَاْمِرَاً ... كَمَاْ خَيْرُ بَيْتٍ بِالعِرَاْقِ (الْمُشَقَّرُ)

---

[٢٦] انظر معجم ما استعجم للبكري، رسم (جبلة)، ومعجم الأمثال للميداني: يوم الفروق.

[٢٧] انظر الصفحة ٦٣٤ من طبعة دار المعارف بمصر، وقد ذكر ابن أصيبعة في طبقات الأطباء عند ترجمته ليعقوب بن إسحاق الكندي أنّ معاوية بن الحارث الأكبر وأباه الحارث الأكبر وجده ثوراً كانوا ملوكاً على معد بالمشقر واليمامة والبحرين.

[٢٨] انظر الجزء التاسع صفحة ٧٨ من طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[٢٩] الأغاني، ١٥ : ٣٨

[٣٠] الأغاني، ١٣: ١٩٦

[٣١] خارت أي صارت أكثرهم فضلاً وخيراً.

وأغلب الظن أنه هو المعني بقول الحارث المخزومي:[٣٢]

أمِنْ طَلَل بالجِزْع مِنْ مَكَّةَ السِّدْرِ عَفَىْ بَيْنَ أكْنَافِ (المُشَقَّرِ) والحَضْرِ

ومن بيت الحارث هذا – مع عدم فهمي لمراده من قوله "مكة السدر" – يتضح أنّ مشقر العراق يقع في نواحي الحضر المشهور الذي ذكره الجغرافيون المسلمون[٣٣] في العراق وظل محتفظاً باسمه حتى اليوم، وهو يقع الآن شمال غرب بغداد بـ ٢٥٠كلم، وغرب تكريت بـ ١٥٥كلم.

غير أن ما يعنينا من هذه المشقرات هو مشقّر هجر الذي هو أشهرها على الإطلاق، وهو الذي عناه معظم الشعراء والكتاب الذين ذكرناهم والذين سنذكرهم فيما يلي، ومنهم امرؤ القيس الذي يقول عنه:[٣٤]

أبَعْدَ أبِيْ فِي حِصْنِ كِنْدَةَ سَيِّداً يَسُوْدُ جُمُوْعَاً مِنْ حُبُوْش وَبَرْبَرَاْ

وَيَغْزُوْ بِأَعْرَابِ اليَمَانِيْنَ – كُلُّهُمْ لَهُ أمْرُهُمْ – حَتَّىْ يَحُلَّ (المُشَقَّرَاْ)

ويقول في موضع آخر:

بعَيْنَيَّ ظُعْنُ الحَيِّ يَوْمَ تَحَمَّلُوْا لَدَىْ جَانِبِ الأفْلاجِ مِنْ بَطْنِ تَيْمَرَا[٣٥]

فَشَبَّهْتُهُمْ فِيْ الآلِ لَمَّاْ تَكَمَّشُوْا حَدَائِقَ دَوْمٍ أوْ سَفِيْنَاً مُقَيَّرَا[٣٦]

---

[٣٢] انظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في ترجمته.

[٣٣] انظر مثلاً: معجم ما استعجم للبكري، ومعجم البلدان للحموي في رسم الحضر.

[٣٤] انظر ديوانه.

[٣٥] الظُّعْن جمع ظعينة، وهو الهودج على الجمل تكون فيه المرأة، وتيمر موضع بعالية نجد، وكذلك الأفلاج.

[٣٦] الآل: السراب، وتكمشوا: أسرعوا، وحدائق دوم: أراد دومة الجندل فرخَّم دومة وحذف المضاف إليه.

أو المُكْرَعَـاْتِ مِـنْ نَخِيْـلِ ابْــنِ يَــاْمِنِ دُوَيْنَ (الصَّفَا) اللاَئِـيْ يَلِيْـنَ (المُشَقَّرَا) [٣٧]
سَــوَاْمِقُ جَبَّــاْرٍ أَثِيْــثٌ فُرُوْعُــهُ وَعَــاْلَيْنَ قِنْوَاْنَــاً مِـنَ البُسْـرِ أَحْمَـرَا [٣٨]
حَمَتْـهُ بَنُــوْ الرَّبْــدَاْءِ وَاعْتَـمَّ زَهْـوُهُ وَأَكْمَاْمُــهُ حَتَّــىْ إِذَاْ مَــاْ تَــهَصَّرَا [٣٩]
أَطَـاْفَتْ بِــهِ جَيْــلاْنُ عِنْـدَ قِطَاْفِــهِ تَـرَدَّدُ فِيْـهِ (العَيْــنُ) حَتَّــىْ تَحَـيَّرَا

فهو يذكر في هذه الأبيات أن الصَّفا قريب من المشقر بدليل قوله أن نخيل ابن يامن يلين الصّفا وهنّ دُوين المشقر، واستخدامه كلمة دوين دليل على قرب الصَّفا من المشقر، كما أنه ذكر في آخر بيتٍ منها العين، وهي عين الماء كما ذكر الأصمعي في شرحه للأبيات، وهي عين محلم، وذكر أن الذين يحمونه هم بنو الربداء من آل يامن، والذين هم مشهورون بكثرة الأموال والنخيل والسّفن في البحرين، كما لم يفته أن يذكر أن الذين هم مسئولون عن قطف هذه النخيل وجني محصولاتها هم جيلان، وهم قومٌ في البحرين لهم قصة في

[٣٧] المكرعات هي النخيل التي لا يفارق الماءُ أصولَها.

[٣٨] سوامق: أي نخل طوال جداً، والجَبَّار من النخل هو العالي الذي يفوت يد المتناول، وأثيث: أي كثير مُلتَفّ، والقنوان: عذوق النخل، والبسْر هو الرطب قبل أن يصبح تمراً.

[٣٩] الزهو: البُسر من الرطب حين يبدأ تلوّنه، وأكمامه: جاء في لسان العرب .. قال أبو حنيفة: كَمَّ الكَبائس يكُمُّها كَمّاً وكَمَّمها جعلها في أغْطِية تُكِنُّها كما تُجعل العَناقيد في الأغْطِية إلى حين صِرامها، واسم ذلك الغِطاء الكِمام. .. التهذيب: الكُمُّ كُمُّ الطلع، ولكل شجرة مُثمرة كُمٌّ، وهو بُرْعُومته، وكِمامُ العُذوق: التي تجعل عليها، واحدها كُمٌّ، وتَهَصَّر: أي تَذلَّل. انتهى

أقول: وعلى ذلك فإن الأكمام هنا أراد بها ما يحوط طلع النخلة، ويُعرف في المنطقة اليوم باسم القُرْفْ.

مجيئهم لهجر ذكرها كلاً من الطبري في تاريخه، وشارح ديوان ابن المقرب، وسنذكرها عند ذكرنا لرواية هشام ابن الكلبي ليوم المشقر فيما يلي، وكذلك شروح شعر ابن المقرب الأحسائي.

وذكر له الهمداني في صفة جزيرة العرب[٤٠] أبياتاً قال أنه ذكر فيها ثمانية مواضع من البحرين، وهو قوله:

لِمَنِ الدِّيَارُ عَرَفْتُهَا بِـ (سُحَامِ) فَـ (عِمَايَتَيْن)[٤١] فَـ (هَضْبِ ذِيْ إِقْدَامِ)

---

[٤٠] انظر الصفحة ٣٩٠

[٤١] لقد جانب التوفيق الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – عندما نفى في معجمه للمنطقة الشرقية أن يكون عماية في البحرين حيث ذكر في رسمه من هذا المعجم أنه إنما ذكره ليصحح خطأ مَن قال أنّ هذا الجبل في البحرين وأنه – والكلام للشيخ – يقع في عالية نجد حسب تحديد الأستاذ سعد بن جنيدل في كتابه (عالية نجد)، وإني وإن كنت لا أنكر وجود هذا الجبل الذي كان يسمى بعماية في السابق ويعرف اليوم باسم حصاة قحطان في عالية نجد، وأنّه هو المعني بكلام الكثيرين من المؤرخين واللغويين العرب إلا أنني لا أستبعد أبداً وجود جبل آخر كان يحمل نفس الاسم في منطقة البحرين الواسعة تحدث عنه أكثر من مؤرخ ولغوي ونصوا على أنه في البحرين، ويوجد الكثير من المواضع المشتركة لفظاً والمختلفة صقعاً وخصوصاً في اليمامة والبحرين لقربهما من بعضهما واختلاط سكانهما من القبائل العربية، مثل المشقر الذي أوضحنا في هذا البحث أنه يوجد موضعان يحملان الاسم نفسه في اليمامة والبحرين وثالث في العراق، وكذلك هجر حيث يوجد موضعٌ في اليمن يحمل الاسم نفسه وموضع آخر قرب المدينة، والكثير الكثير غيرها من الأماكن حتى أنّ بعض الجغرافيين العرب ألف كتباً خاصة في هذه الأماكن المتشابهة وذكر أماكنها مثل كتاب (المؤتلف والمختلف في أسماء البلدان) للحازمي، و (المشترك وضعاً والمختلف صقعاً) لياقوت الحموي. انظر كشف الظنون (٢ : ١٦٩١).

وقد نصّ الكثيرون من المؤرخين والجغرافيين واللغويين العرب والمسلمين على أنّ عماية جبلٌ بالبحرين، فمنهم اللغوي المشهور أبو زيد الأنصاري إذ ذكر ياقوت الحموي في

رسم (عنقاء) من معجم البلدان قوله عن عماية أنها موضع بالبحرين، وقرر ذلك السكّري أيضاً كما في معجم البلدان رسم (عماية)، والبكري في معجم ما استعجم حيث قال عنه أنه جبل ضخم بالبحرين، والهمداني في صفة جزيرة العرب، والميداني في كتابه مجمع الأمثال، والزمخشري في كتابه (المستقصى في أمثال العرب) في باب قولهم: "أثقل من عماية" حيث نصّ على أنّ عماية جبل بالبحرين، ثم أورد قول الفرزدق:

يَصْدَعْنَ ضَاْحَيَةَ (الصَّفَاْ) عَنْ مَتْنِهَاْ ... وَلَهُنَّ مِنْ جَبَلَيْ (عِمَاْيَةَ) أَثْقَلُ

وقد تكرر ذكر هذا الجبل في شعر قبيلة عبد القيس، وهم أهل البحرين وأخبر الناس بها، فقد ذكر البحتري في حماسته (الصفحة ٩٩) قطعةً لشاعر من عبد القيس أسماه ربيعة بن توبة العبدي وصف فيها جبل عماية وصفاً دقيقاً يدلُّ - بما لا مزيد عليه - أنّ هذا الشاعر يعرفه حق المعرفة، ولنستمع إليه وهو يذكر ظبياً لجأ إلى هذا الجبل حيث يقول:

فلو كان شيءٌ فائتُ الموتِ أحرزتْ ... (عِمايةُ) إذ راحَ الأغرُّ الموقَّفُ

يرودُ بأرض ماؤُهَا في قِلاْتِهَاْ ... يُصِيْفُ بِهَا بعْدَ الرَّبيْعِ وَيُخْرِفُ

إذاْ شَاْءَ طَلْعٌ أو أرَاْكٌ وَسَخْبَرٌ ... لديهِ وَذوْ ظِلٍّ مِنَ الغَاْرِ أجْرَفُ

يكسِّرُ أطْرافَ البَشَامِ برُوْقِهِ ... ومِنْ دُوْنهِ هَضْبٌ مُنيْفٌ ونَفْنَفُ

فَمَاْ زَاْلَ عَنْهُ الحِينُ حَتَّىْ سَمَىْ لَهُ ... أبُوْ صِبْيَةٍ طَاْوٍ مِنَ الزَّادِ أعْجَفُ

يُعَاْلِجُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَبِكَفِّهِ ... مُذَرَّبَةٌ زرْقٌ، وَفَرْعٌ مُعَطَّفُ

فهذا الشاعر من عبد القيس، وهم - كما أسلفت - أهل البحرين وسكانها وبهم عُرفت، ومن الواضح من هذه القطعة أنّ الذي صاد هذا الظبي هو الشاعر نفسه، كما يتضح منها أنّ عماية جبلٌ كبير لا يزال الماء في قِلاتـه (النُّقَر في الجبل) لا ينقطع عنها صيفاً وشتاءً، وأنّه يوجد فيه من النباتات الطلع (أو الطلح) والأراك والسَّخبَر (شجر يشبه الثمام له جرثومة واحدة وعيدانه كالكُرَّاث في الكثرة، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت) والبشَام (شجر ذو ساق وورق صغار، ولا ثمر له، وإذا قطعت ورقته أو قُصف غصنه خرج منه

سائلٌ كاللبن)، وإذا كان رواية البيت الثالث قد ورد فيها الطلع وليس الطلح، فإنّ الطلع هو نور النخيل مما يعني أنّ الجبل به نخلٌ أو هو يحف به، كما لا يفوتنا من البيت نفسه أنه يوجد في هذا الجبل مغارات ذات ظِل، وأنّ هذا الجبل عبارة عن هضب منيف ونفنف (وهو صقع الجبل الذي كأنه جدار مبني ومستوٍ)،كما أنه يُفهم من القطعة ولا سيما البيتين الأخيرين أنّ هذا الجبل يقع بعيداً عن العُمران بعض الشيء بحيث تأوي إليه الظباء وتأنس به، إلا أنّه ليس بذاك البُعد بحيث أنّ هذا الصَّيّاد أبو الصِّبية الجائعين قد قصده ليصطاد هذا الظبي كي يطعم عياله.

وفي حماسة البحتري أيضاً (الصفحة ١٠٠) ذكر بيتين لرجلٍ من عبد القيس لم يسمه، وهو قوله:

فَلَوْ كُنْتُ فِيْ أَعْلَىْ (عِمَايَةَ) يَافِعَاً ... مَعَ العُصْمِ دُوْنِيْ صَخْرُهَاْ وَجُنُوْدُهَاْ

إِذاً لأَتَتْنِيْ حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِيْ ... يَحُثُّ بِهَاْ هَاْدٍ إِلَيَّ يَقُوْدُهَاْ

ولم يتبين لي المراد من لفظة "جنودها" في البيت الأول، ولكن يتضح من ذكر شعراء عبد القيس لهذا الجبل في شعرهم، ومن الوصف المتقدم الذي وصفه به ربيعة بن توبة العبدي أنّ هذا الجبل العتيد يقع في البحرين، وإذا صحّ لي الاستنتاج فإنني أرى أنَّ المعنى اللغوي ينبغي أن لا يُغفل هنا، فلفظة (عِماية) توحي بأنّ هذا الجبل يتوه فيه الناس لكثرة كهوفه وتعرجاته ومهاويه، وإنّ أقرب جبل يحتفظ بهذه الصفة إضافة للصفات السابقة التي ذكرناها هو الجبل المعروف الآن باسم جبل (أبا الدلاسيس) القريب من نعلة شدقم شمال غرب واحة العُيون من الأحساء، كما لا ينبغي أن يفوتنا أنّ لفظة (الدلاسيس) لها معنىً لغوي قريبٌ جداً من معنى لفظة (عِماية)، ففي كتاب الصحاح للجوهري ولسان العرب لابن منظور مادة (دلس):

التدليس في البيع: كتمان عيب السلعة، وإخفاء عيب السلعة.

والمدالسة: المخادعة.

والدَّلَس – بالتحريك –: الظلمة.

فَـ (صَفَاْ الأَطِيْطِ) فَـ (صَاْحَتَيْن) فَـ (عَاْسِم)   تَمْشِـي النَّعَـاْجُ بِـهَاْ مَـعَ الأَرْآم[٤٢]
أَفَمَـاْ تَـرَىْ أَظْعَاْنَـهُنَّ بِـ (عَـاْقِل)   كَالنَّخْل مِنْ (شَوْكَاْن) حِيْنَ صَرَاْم؟!

وسيمرّ بنا ذكرٌ للأطيط في نصٍّ لأبي المنذر هشام بن الكلبي مما يؤكد أن في البحرين موضعٌ يُعرف بالفعل باسم (الأطيط) بغض النظر إن كان هو المعنيّ هنا في شعر امرئ القيس أم غيره، فقد بيّنا أنه يوجد في جزيرة العرب الكثير من المواضع تحمل نفس الاسم.

وقد ذكر امرؤ القيس المشقر والصّفا مرّةً أخرى، وقرن بهما الخطّ (القطيف) في بيت شعر نسبه إليه صاحب تاج العروس[٤٣] قال فيه فيما يبدو مخاطباً أهل هجر:

فَإِنْ تَمْنَعُوْا مِنَّـاْ (الْمُشَـقَّرَ) و (الصَّفَـاْ)   فَإِنَّـاْ وَجَدْنَـاْ (الخَـطَّ) جَمَّـاً نَخِيْلُـهَا

وهو بيت نسبه ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان إلى الأعشى.[٤٤]

٤. طَرَفَةُ بنُ العَبْدِ البَكْرِيّ (توفي ٦٠ ق.هـ)

وهذا المعنى الأخير هو ما يهمنا في هذا الأمر، حيث يبدو واضحاً أنَّ لفظة (الدلاسيس) ربما تكون من المصدر (دلس)، والتي يبدو أنها – أي الدلاسيس – جَمْعٌ مَحَلِّيٌ عامِّيْ لكلمة دَلَس التي هي الظلمة، وبالتالي فإنّ المراد بجملة (أبا الدلاسيس) أي أبا الظلمات، وهو معنىً قريبٌ جداً لمعنى كلمة (عِماية)، وينطبق مع صفة هذا الجبل لأنَّ وجود الكهوف في جبل عماية وكثرة المهاوي فيه والتعرجات تشبه بالظلمات، وهو ما يجعلني أطمئن إلى الرأي الذي قلت به من أنّ جبل عماية هو جبل أبا الدلاسيس.

[٤٢] الأرآم: جمع رئْم، وهو ولد الظبية.

[٤٣] انظر، ٥ : ١٢٩

[٤٤] را. معجم البلدان رسم (الخط) و (دُرنا).

ومن الطبيعي أن يذكر هذه المواضع، فقد سكنها بعض قومه من بكر بن وائل ثم من بني شيبان منهم،[٤٥] بل إن هنالك نصٌّ على أن طرفة من أهالي البحرين وأنه ولد فيها،[٤٦] وقد ذكر طرفة المشقر والصَّفا في قصيدته الضادية التي أولها:

أَلا اعْتَزِلِيْنِيْ اليَوْمَ خَوْلَةُ أَوْ غُضِّيْ فَقَدْ نَزَلَتْ حَدْبَاْءُ مُحْكَمَةُ العَضِّ

يقول فيها مخاطباً جماعة من عبد القيس:[٤٧]

خُذُوْا حِذْرَكَمْ أَهْلَ (المُشَقَّر) و (الصَّفا) بَنِيْ عَمِّنَا، وَالقَرْضُ نَجْزِيْهِ بِالقَرْض

وقوله: "بني عمنا" يعني بذلك عبد القيس لأنهم من ربيعة، وبكر قبيلة الشاعر هي من ربيعة أيضاً، ثم يقول بعد ذلك فيها:

وَتُصْبِحَكَ الغَلْبَاْءُ تَغْلِبُ غَاْرَةً هُنَاْلِكَ لاْ يُنْجِيْكَ عَرْضٌ مِنَ العَرْض
وَيَلْبَسُ قَوْمٌ بِـ (المُشَقَّر) و (الصَّفَاْ) شَآبِيْبَ مَوْتٍ تَسْتَهِلُّ وَلاْ تُغْضِيْ
تَمِيْلُ عَلَىْ العَبْدِيِّ فِيْ حَدِّ أَرْضِهِ وَكَعْبَ بنَ سَهْلٍ[٤٨] تَخْتَرِمُهُ عَنِ المَحْضِ

---

[٤٥] لقد ذكر ابن المقرَّب الأحسائي بني شيبان البكريين في أكثر من موضع من شعره، ونصَّ شارح ديوانه على أنّهم من سكان الأحساء في عصره، ويستحسن الرجوع إلى شرح ديوانه بتحقيق مؤلف هذا الكتاب وزميليه، ومن الأسر العلمية التي ترجع إلى بني شيبان هؤلاء في الأحساء أسرة آل أبي جمهور الذين كانوا يقطنون قرية التيمية.

[٤٦] انظر كتاب الأعلام للزركلي في ترجمته حيث قال إن طرفة ولد في بادية البحرين، كما اتفق كل مترجميه أن وفاته كانت بها إلا انهم اختلفوا هل كان ذلك في هجر أم بالزارة عاصمة القطيف.

[٤٧] انظر ديوان طرفة، شرح الأعلم الشنتمري طبعة دار الفكر العربي- بيروت.

[٤٨] كذا وردت: كعب بن سهل، ويبدو أنّ الصحيح أنه كعب بن سعد، وهم بنو كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم لأنّ بني سعد التميميين سكن منهم بطون كثيرة في الأحساء.

كما ذكر المشقر مفرداً في قصيدة احتفظت بها نسخة لديوانه حققها المستشرق ماكس سلغسون، ونُسبت في المفضليات للمخبّل السعدي جاء فيها:

وَلَئِنْ بَنَيْتَ لِيَ (المُشَقَّرَ) فِي هَضْبٍ تُقَصِّرُ دُوْنَهُ العُصْمُ[49]
لَتُنَقِّبَنْ عَنِّيْ المَنِيَّةُ إِنَّ اللهَ لَيْسَ كحُكْمِهِ حُكْمُ

وقال في الشرح، والذي يبدو أنه من كلام الأعلم الشنتمري: (المشقّر قصرٌ معروف بالبحرين، والمشَقَّر بيتٌ منقور من حجارة بهجَر.) انتهى

وهو على صغره ذو أهمية كبرى في تحديد هذا الموضع كما سنرى لاحقاً.

٥. عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ العِبَادِيّ التَّمِيْمِيّ (توفي ? ٣٥ ق.هـ)

وهو شاعر الحيرة في زمن النعمان بن المنذر، وقد ذكر له ياقوت الحموي في رسم الشبعان بيتاً مفرداً يذكر فيه جبل الشبعان، وهو قوله:

تَزَوَّدْ مِنَ (الشَّبْعَانِ) خَلْفَكَ نَظْرَةً فَإِنَّ بِلادَ الجُوْعِ حَيْثُ تَمِيْمُ

فإن صحّ أنّ هذا البيت لعدي بن زيد، فهو يدلُّ على أنَّ عديّاً قد دخل هجر، وإن كنا لا نعرف كيف ومتى دخلها.

٦. بُشْرُ بنُ أبي خَازِمٍ الأَسَدِيّ (توفي ٢٢ ق.هـ)

---

[49] العصم: الوعول الجبلية؛ أراد أنّ الهضبة التي بُنيَ عليها المشقر هي هضبة عالية بحيث يصعب على الوعول الجبلية تسلقها مع شهرة هذه الوعول بتسلق أكثر الجبال شموخاً.

وهو جاهلي، قال في شعر له وذكر نهر محلم:[50]

فَلَمَّا آذَنُوْا ذَرَفَتْ دُمُوْعِي ... وَجَهْلٌ مِنْ ذَوِيْ الشَّيْبِ البُكَاءُ
كَأَنَّ حُمُوْلَهُمْ لَمَّا اسْتَقَلُّوْا ... نَخِيْلُ (مُحَلِّم) فِيْهَا انْحِنَاءُ

٧. بِشَامَةُ بنُ الغَدِيْرِ المُرِّيّ (توفي ؟؟؟)

وهو شاعر جاهلي يكون خال زهير بن أبي سلمى، وقال في شعر له:[51]

كَأَنَّ ظُعْنَهُمُ، وَالآلُ يَرْفَعُهَا ... نَخْلُ (المُشَقَّر)، أَوْ مَا رَبَّبَتْ (هَجَرُ)

٨. خِبَالُ بنُ شَبَّةَ العَبْسِيّ (توفي ؟؟؟)

وهو خبال بن شبة بن غيث بن مخزوم بن ربيعة بن مالك بن قطيعة بن عبس شاعر جاهلي، قال يذكر بني جذيمة من عبس:[52]

أَبَنِيْ جُذَيْمَةَ نَحْنُ أَهْلُ لِوائِكُمْ ... وَأَقَلُّكُمْ يَوْمَ الطِّعَانِ جَبَانَا
كَانَتْ لَنَا كَرَمُ المَوَاطِنِ عَادَةً ... تَصِلُ السُّيُوْفَ إِذَا قَصُرْنَ خُطَانَا
وَبِهِنَّ أَيَّامَ (المُشَقَّر) وَ (الصَّفَا) ... وَ (مُحَلِّم) نَبْكِيْ عَلَى قَتْلانَا

٩. عَبِيْدٌ السَّلاَمِيّ (توفي ؟؟؟)

شاعر جاهلي أحد بني سلامان بن مفرج الأزديين، وهو ابن عم الشنفرى.

---

[50] را. ابن الشجري، مختارات شعراء العرب صفحة ٢٥٤ من طبعة دار الجيل- بيروت

[51] انظر الجمحي، طبقات فحول الشعراء.

[52] را. معجم البلدان رسم (محلم).

اختار له ابن ميمون[٥٣] في كتابه منتهى الطلب ثلاث قصائد، ومنها قصيدة على قافية الراء جاء فيها:

وَمُرْتَجِزٌ جَوْنٌ كَأَنَّ رَبَابَهُ   إِذَا الرِّيْحُ زَجَّتْهُ هِضَابُ (المُشَقَّرِ)

١٠. عَبِيْدُ بنُ وَهْبٍ (مخضرم)

وقد ذكر الطبري في حديث يوم المشقر عن هشام بن الكلبي أن عبيداً هذا هو الذي شد على سلسلة باب المشقر فقطعها[٥٤]، وقال يذكر يوم المشقر وقتل بني تميم فيه:

تَذَكَّرْتُ هِنْداً لاتَ حِيْنَ تَذَكُّرِ   تَذَكَّرْتُهَا وَدُوْنَهَا سَيْرُ أَشْهُرِ
حِجَازِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ حَلَّ أَهْلُهَا   مَصَابَ الخَرِيْفِ بَيْنَ زَوْرٍ وَمِنْوَرِ
أَلاْ هَلْ أَتَىْ قَوْمِيْ عَلَىْ النَّأْيِ أَنَّنِيْ   حَمَيْتُ ذِمَارِيْ يَوْمَ بَابِ (المُشَقَّرِ)
ضَرَبْتُ رِتَاْجَ البَاْبِ بالسَّيْفِ ضَرْبَةً   تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرِ

١١. عَرْفَطَةُ بنُ عَبْدِ اللهِ المَاْلِكِيّ الأَسَدِيّ

يبدو أنه جاهلي أو مخضرم، وقد أورد له ياقوت في رسم (المشقر) قوله:

لَقَدْ كُنْتُ أَشْقَىْ بِالغَرَاْمِ فَشَاْقَنِيْ   بلَيْلِيْ عَلَىْ (بُنْيَاْنَ)حِمْلٌ مُقَدَّرُ[٥٥]
فَقُلْتُ وَقَدْ زَاْلَ النَّهَاْرُ كَوَاْرِعٌ   مِنَ (الثَّاجِ)، أَوْ مِنْ نَخْلِ (يَثْرِبَ) مُوْقَرُ

---

[٥٣] وهو علي بن ميمون المالكي الفاسي المتوفى سنة ٩١٨هـ ذكر له حاجي خليفة في كشف الظنون كتاب منتهى الطلب في أشعار العرب.

[٥٤] وعند أبيه الكلبي في جمهرة النسب أن الذي شد على السلسلة فكسرها هو عمارة بن سليمان أحد بني مقاعس ثم أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

[٥٥] بُنْيان: قرية باليمامة يسكنها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر معجم البلدان للحموي.

أوِ الْكُرْعَاتِ مِنْ نَخِيْلِ ابْنِ يَامِنٍ دُوَيْنَ (الصَّفَا) اللائِيْ يَحِفُّ (الْمُشَقَّرُ)

والثاج هنا يريد به ثاج الموضع المشهور في أرض البحرين، ويثرب لا ينبغي أن يراد بها المدينة المنورة على ساكنها وآله أفضل الصلاة والتسليم، وإنما يبدو أن الشاعر أراد بها (يَتْرب) بالتاء المثنّاة، وقد ذكر ياقوت في نفس هذا الرسم من معجمه قوله عن يترب أنه موضع من بلاد بني سعد - من تميم - بالسَّودة [٥٦]، وفي معجم ما استعجم للبكري: يترب أرض بني سعد.

وأرجحُ أنا أنَّ يترب هذه هي موضع المثل: (مواعيد عرقوب أخاه بيترب)، وهو موضع نخل، وبالتالي فإنه هو المرجح أن يكون المقرون هنا بنخل ثاج، والتي هي في السّودة أيضاً من البحرين، والمشقر والصَّفا في البحرين كذلك، وبالتالي فلا شذوذ في ذكر هذه المواضع مقرونة ببعضها بعكس لو كان المقصود منها يثرب المدينة المنورة على ساكنها وآله أفضل الصلاة والتسليم.

١٢. الأَعْشَىْ (توفي عام ٧ للهجرة)

وهو ميمون بن قيس البكري، من بكر بن وائل ثم من بني قيس بن ثعلبة منهم، ولهذا يقال له أحياناً أعشى قيس، وقد ذكر الأعشى المشقر ومحلم والصفا في شعره فقال: [٥٧]

وَنَحْنُ غَدَاْةَ (العَينِ) يَوْمَ فُطَيْمَةٍ مَنَعْنَاْ بَنِيْ شَيْبَاْنَ شُرْبَ (مُحَلِّمِ)

---

[٥٦] السَّودة: أرض واسعة في إقليم البحرين، ومن أشهر المدن الواقعة بها اليوم: النعيرية وأبو حدرية والسفانية، وهي متصلة بوادي المياه من الجنوب، ومحاذية للبحر من الشمال.

[٥٧] انظر ديوانه صفحة ٩٦ من طبعة آدولف هلز هوسن.

وفي الشـرح: محلـم نـهرٌ بـالبحرين.[٥٨]

كمـا ذكـر في عـرض مدحـه لهـوذة بـن علـي الحنفـي البكـري مـا فعلـه مـن توسـطه للإفـراج عـن مائـة مـن بـني تميـم يـوم المشـقر، فقـال:

سَـائِلْ تَمِيْمَـاً بِـهِ أَيَّـامَ صَفْقَتِـهِمْ   لَمَّـا أَتَـوْهُ أَسَـارَىْ كُلُّـهُمْ ضَرِعَـاْ
وَسْـطَ (الْمُشَـقَّرِ) فِيْ غَـبْرَاْءَ مُظْلِمَـةٍ   لاْ يَسْـتَطِيْعُوْنَ بَعْـدَ الضُّـرِّ مُنْتَفَعَـاْ

وفي ديوانه المطبـوع جـاءت روايـة البيـت الثـاني:[٥٩]

وَسْـطَ (الْمُشَـقَّرِ) فِيْ عَيْطَـاْءَ مُظْلِمَـةٍ   لاْ يَسْـتَطِيْعُوْنَ بَعْـدَ الضُّـرِّ مُنْتَفَعَـاْ

وجاء في الشرح قـول شـارحه، وهـو أبـو العبـاس ثعلـب:

العيطـاء: الهضبـة الشـامخة في عشـواء ؟.[٦٠]

ولـه في ديوانـه أيضـاً البيـت الـذي سـبق وذكرنـا أن الزبيـدي في تاج العروس نسـبه إلى امـرئ القيـس، وهـو قولـه:

فَـإِنْ تَمْنَعُـوْا عَنَّـا الْمُشَـقَّرَ وَالصَّفَـاْ   فَإِنَّـا وَجَدْنَـا الْخَـطَّ جَمَّـاً نَخِيْلُـهَا[٦١]

١٣. عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ العَامِرِيّ (توفي ١١ للهجرة)

وهـو فـارسٌ مخضـرم معـروف، وقـد أدرك النـبي ولم يسـلم، وقـد

---

[٥٨] جاء في رسالة الصاهل والشاحج للمعري بيتُ شعر قريـبٌ مـن هـذا البيـت نسـبه هناك لمن دعاه باليشكري، ولم يسمّه، وهو قوله:

ونحن غداة العين عين محلِّمٍ   منعناك إذ ثابت عليك الحلائبُ

[٥٩] انظر طبعة أدولف هولز هوسنن صفحة ٨٧.

[٦٠] كذا وردت في النـص المطبـوع، وفي معـاجم اللغـة: العيطـاء الهضبـة الشـامخة في السماء، فواضح أن كلمة عشواء تحريف لكلمة السماء.

[٦١] يقصد بالخط القطيف لأنّ المشقر والصفا في هجر.

ذكر المشقر عرضاً في شعره، فقال:[٦٢]

أَرَدْتُ لِكَيْمَا يَعْلَمُ اللهُ أَنَّنِيْ صَبَرْتُ، وَأَخْشَى مِثْلَ يَوْمِ الْمُشَقَّر

ولعامر قطعةٌ من الشعر ذكر فيها على ما يبدو حرباً وقعت بينهم وبين بني عبس في هجر يقول فيها:

صَبَّحْنَ عَبْسَاً غَدَاْةَ الرَّوْعِ آونَةً وَهُنَّ عَاْلَيْنَ بِاْبْنِ الجَوْنِ فِيْ دَرَجِ

وَانْقَضَّتِ الخَيْلُ مِنْ وَادِيْ الذِّنَاْبِ وَقَدْ اصْغَتْ اسِنَّتُهَاْ حُمْرَاً مِنَ الوَدَجِ

إِنْ تَسْأَلِيْ الخَيْلَ عَنَّاْ فِيْ مَوَاقِفِهَاْ يَوْمَ (المُشَقَّر) وَالأَبْطَاْلُ فِيْ زَعَجِ

تُخْبِرْكِ أَنِّيْ أُعِيْدُ الكَرَّ بَيْنَهُمُ اذْاْ القَنَاْ حُطِّمَتْ فِيْ يَوْمِ مُعْتَلَجِ

١٤. مَاْلِكُ بِنْ نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعِيّ التَّمِيْمِيّ (توفي ١٢ للهجرة)

وقد ذكر المشقر في شعر له أورده ياقوت في معجم البلدان رسم (أسبذ) قال فيه يرد على محرز بن المكعبر الضبي:

أَرَىْ كُلَّ بَكْرٍ ثُمَّ غَيْرَ أَبِيْكُمُ وَخَاْلَفْتُمُ حَجْنَاً مِنَ اللُّؤْمِ حَيْدَرا[٦٣]

أَبَىْ أَنْ يَرِيْمَ - الدَّهْرَ - وَسْطَ بُيُوْتِكُمْ كَمَاْ لاْ يَرِيْمُ الأَسْبَذِيُّ الْمُشَقَّرا[٦٤]

١٥. الشَّمَّاْخُ الذِّبْيَاْنِيّ (توفي ٢٢هـ)

وهو معقل بن ضرار الذبياني، يقول في وصف قصر بأرض خِفّان:[٦٥]

وَأَعْرَضَ مِنْ خِفَّاْنَ قَصْرٌ كَأَنَّهُ شَمَاْرِيْخُ بَاْهَىْ بَاْنِيَاْهُ (الْمُشَقَّرَا)

١٦. مُتَمِّمُ بِنْ نُوَيْرَةَ اليَرْبُوعِيُّ التَّمِيْمِيّ (توفي ٣٠هـ)

---

[٦٢] انظر المفضليات القصيدة رقم ١٠٧

[٦٣] الحَجنُ: المعوجّ.

[٦٤] يريم: أي يبرح.

[٦٥] را. البكري، معجم ما استعجم رسم (خفان).

وهو أخو مالك المتقدم، وقد ذكر يوم المشقر — الصفقة — وما جرى لبعض بني تميم فقال:[٦٦]

وَغَيَّرَنِيْ مَا غَالَ قَيْسَاً وَمَالِكَاً ... وَعَمْرَاً وَجُزْءَاً بِـ (المُشَقَّر) المَعَا

وأراد بكلمة (المعَا) أي الذين ذهبوا معاً.

١٧. حَمِيْدُ بنُ ثُوْرٍ الهِلاْلِيّ (توفي ٣٠هـ ?)

أبو المثنى حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، وهو شاعر مخضرم شهد صفين مع المشركين ثم أسلم.

وقد ذكر له بيت من الشعر جاء فيه:

لَقَدْ غَاْدَرَ المَوْتُ قَبْلَ (الصَّفَاْ) ... وَبَعْدَ (المُشَقَّرِ) قَدْرَاً جَلِيْلاْ

١٨. لَبِيْدُ بنُ رَبِيْعَةَ العَاْمِرِيّ (توفي ٤١هـ)

وقد ذكر نهر محلم ونهري الصفا والسَّريّ الذين يتفرعان منه، فقال واصفاً النخيل التي ترويها هذه الأنهر:[٦٧]

نَخْلُ كَوَاْرِعُ فِيْ خَلِيْجِ (مُحَلِّمٍ) ... حَمَلَتْ، فَمِنْهَاْ مُوْقَرٌ مَكْمُوْمُ

سُحْقٌ يُمَتِّعُهَاْ (الصَّفَاْ)و (سَرِيُّهُ) ... عُمٌّ نَوَاْعِمُ بَيْنَهُنَّ كُرُوْمُ

وله أيضاً:[٦٨]

وَأَفْنَى بَنَاْتُ الدَّهْرِ أَرْبَاْبَ نَاْعِطٍ ... بِمُسْتَمَعٍ دُوْنَ السَّمَاْءِ وَمَنْظَرِ

وَأَعْوَصْنَ بِالدَّوْمِيِّ مِنْ رَأْسِ حِصْنِهِ ... وَأَنْزَلْنَ بِالأَسْبَاْبِ رَبَّ (المُشَقَّرِ)[٦٩]

---

[٦٦] انظر المفضلية رقم ٦٧

[٦٧] انظر ديوانه.

[٦٨] را اللسان مادة (ن ع ط).

[٦٩] أراد بالدومي المنسوب إلى دومة الجندل، ويضرب المثل بحصنها، وكذلك ناعط وحصنها.

وقال أيضــا: [٧٠]

فَرُحْـنَ كَـأَنَّ النَّادِيَـاْتِ عَـن (الصَّفَــاْ) مَكَاْرِعُـــهَاْ، وَالْكَاْرِعَــاْتُ الحَوَاْمِـــلاْ

وللبيـد قطعـة مـن الأبيـات وصـف بـها جبـل الشـبعان الشــهير في هجر، والمعـروف اليـوم بجبـل القـارة، وقـد وصفـه لبيـد وصفـاً دقيقـاً بـالرغم مـن أنـه لم يذكـره بالاسم، ولكنـــه ذكـره بوصفـــه الــذي لا يشاركه فيــه جبـلٌ آخـر في بـلاد العـرب (بـارد الصيـف)، وقـد قـرن به الصفا والعين وهـي عـين محلـم، فقـال: [٧١]

رَاْحَ القَطِيْـنُ[٧٢] بِـــهَجْرٍ بَعْدَمَـاْ ابْتَكَـرُوْا فَمَـاْ تُوَاْصِلُـهُ سَـــلْمَىْ وَمَـــاْ تَـــذَرُ
كَـأَنَّ أَظْعَاْنَـــهُمْ فِيْ الصُّبْــحِ غَاْدِيَــةً طَلْحُ السَّلاْئِلِ وَسْطَ الرَّوْضِ أَوْ عُشَـرُ[٧٣]
أَوْ (بَـاْرِدُ الصَّيْـفِ) مَسْـجُوْرٌ مَزَاْرِعُـهُ سُـوْدُ الذَّوَاْئِـبِ مِمَّـاْ مُتِّعَـتْ هَجَـرُ[٧٤]
جُعْـلٌ قِصَـاْرٌ وَعِيْـدَاْنٌ يَنُـــوْءُ بِـــهِ مِــنَ الكَوَاْفِـرِ مَكْمُـــوْمٌ وَمُـــهْتَصَرُ[٧٥]
يَشْـرَبْنَ رِفْـهَاً عِرَاْكَــاً غَـيْرَ صَـاْدِرَةٍ فَكُلُّـــهَاْ كَــاْرِعٌ فِيْ المَــاْءِ مُغْتَمَــرُ[٧٦]
بَيْـنَ (الصَّفَـاْ) وَخَلِيْجِ (العَيْــنِ) سَـاْكِنَةٌ غُلْـبٌ سَوَاْجِدُ لَمْ يَدْخُـلْ بِــهَاْ الحَصَـرُ

١٩. عَمْرُوْ بنُ أحْمَرَ البَاْهِلِيّ:

---

[٧٠] معجم البلدان رسم (صفا)

[٧١] انظر ديوانه.

[٧٢] القطين: أهل الدار.

[٧٣] الطَّلْحُ والعُشَرُ: من الأشجار البريّة، والسلائل وادٍ بين الفُرع والمدينة المنوّرة.

[٧٤] المسجور: الملآن، والذوائب: ظفائر الشعر استعارها لتشبيه عذوق النخلة بها.

[٧٥] الجُعْل: جمع جَعْلة، وهي النخلة القصيرة، والكوافر: هـي غطـاء الطلـع، والمكمـوم: المغطّى، والمهتصر: المذللة عذوقها.

[٧٦] رفْهاً: أي تشرب متى شــاءت، وأصلـه للإبـل استعاره للنخـل، وعراكـاً: مزدحمـة، والكارع: كلّ خائضٍ في الماء شرب أم لم يشرب.

وهو شاعر مخضرم، وقد ذكر له ياقوت في معجم البلدان ثلاثة أبيات ذكر في أولها جبل الشبعان، وهي من قصيدة له في ٢٥ بيتاً جاء فيها:

أَلَمْ تَسْأَلْ بِفَاضِحَةَ الدِّيَارَا ... مَتَى حَلَّ الجُمَيْعُ بِهَا وَسَارَا

وَجُرْدٍ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيْلاً ... وَأَحْدَثَ قِمْؤُهَا شَعَرَاً قِصَارَا

يَظَلُّ رِعَاؤُهَا يَلْقَوْنَ مِنْهَا ... اذَا عَدَّتْ نَظَائِرَ أَوْ جِمَارَا

بِصَحْرَاءِ الهيَاش لَهَا دَوِيٌّ ... غَدَاةَ قِتَامُ لَمْ يَغْنَمْ صِرَارَا

ابَى الشَّبْعَانُ بَعْدَكَ حَرَّ نَجْدٍ ... وَابْطُحَ بَطْنِ مَكَّةَ حَيْثُ غَارَا

٢٠. شَقِيْقُ بنُ ثَوْرٍ البَكْرِيّ (توفي ٦٤هـ)

من بكر بن وائل ثم من بني سدوس منهم، سكن البصرة، وكان زعيم بكر بن وائل فيها، وشهد الجمل وصفين مع أمير المؤمنين علي – عليه السلام – ويعد من التابعين.

وقد ذكر شقيق المشقر في عرض كلام له في مفاخرة جرت بينه وبين مالك بن مسمع البكري حين قال له مالك: إنما رفعك قبرٌ بتُسْتَر، فقال شقيق: حين وضعك قبرٌ بالمشَقَّر، وعلّق الجاحظ في كتابه الحيوان على ذلك فقال: وكان يقال لمسمع بن شيبان[٧٧] قتيل الكلاب، وذلك أنه لجأ في الردَّة إلى قومٍ من عبد القيس، فكان كلبهم ينبح عليه، فخاف أن يدلَّ على

[٧٧] هو أبو مالك، وهو مسمع بن شيبان بن شهاب بن قلع بن عمرو بن عباد بن جحدر – وهو ربيعة – بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. انظر رجال النجاشي في ترجمة حفيد حفيده مسمع بن عبد الملك بن مسمع بن مالك بن مسمع.

مكانه، فقتله، فقُتِل به.[78]

وقد أورد ابن عساكر الخبر نفسه في تاريخه، فقال: نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور، فقال له مالك: إنما شرّفك قبرٌ بتستر، قال له شقيق: ولكن وضعك قبرٌ بالمشقر. قال: الذي دفن بالمشقر مسمع أبو مالك، قُتل في الردَّة، وكان يقال له فسل الكلب، نزل بقوم، فنبح عليه كلبهم، فقتل الكلب، فقتل به.[79]

٢١. يَزِيْدُ بنُ مُفَرِّغٍ الحِمْيَرِيّ (توفي ٦٩هـ)

الشاعر الإسلامي المشهور، وقد ذكر المشقر في شعره أكثر من مرّة، فقال يهجو عبّاد بن زياد بن أبيه:[80]

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَني | مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَهْ
أَوْ بُومَةً تَدْعُو صَدَىً | بَيْنَ (المُشَقَّرِ) واليَمَامَهْ
العَبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا | وَالحُرُّ تَكْفِيْهِ المَلامَهْ

---

[78] انظر كتاب الحيوان للجاحظ، وقد ذكر الشاعر العبدي مالك بن ثعلبة مقتل مسمعٍ هذا في شعر له ورد في كتاب فتوح البلدان للبلاذري ١ : ١٠٢ حيث يقول ذاكراً من قتلته عبد القيس في تلك الوقعة:

تَرَكْنَا شُرَيْحاً قَدْ عَلَتْهُ بَصِيْرَةٌ | كَحَاشِيَةِ البُرْدِ اليَمَانِيْ المُحَبَّرِ

البصيرة من الدم ما وقع في الارض .

وَنَحْنُ فَجَعْنَا أُمَّ غَضْبَانَ بابْنِهَا | وَنَحْنُ كَسَرْنَا الرُّمْحَ فِيْ عَيْنِ حَبْتَرِ
وَنَحْنُ تَرَكْنَا مَسْمَعاً مُتَجَدِّلاً | رَهِيْنَةَ ضَبْعٍ تَعْتَرِيْهِ وَأَنْسُرِ

[79] انظر تهذيب تاريخ دمشق في ترجمة شقيق.

[80] انظر الجمحي، طبقات فحول الشعراء الصفحة ٦٨٩ تحقيق محمود شاكر.

وقال أيضاً يـهجو المنـذر بـن الجـارود الجَذَمـي العبـدي: [٨١]

تَرَكْـتُ قُرَيْشَـاً أنْ أجَـاْورَ فِيْـهُمُ ... وَجَـاْوَرْتُ عَبْدَ القَيْـس أهْـلَ (المُشَـقَّر)

ومنـه يتضـح أنّ المشـقر لعبـد القيـس، وأنـهم هـم أهلـه وسـكان مدينتـه حتّـى ذلـك الحـين، وقـد مـرّ بنـا في النـصّ (٤) أنّ طرفـة بن العبد قال عن عبـد القيـس أنـهم أهـل المشـقر أيضـاً.

٢٢. شُرَيْحُ بنُ هَاْنِئٍ الحَاْرِثِيُّ الضَّبَاْبِيّ (توفي ٧٨هـ)

وقـد ذكـر المشـقر عرضـاً في شـعر لـه أثنـاء غـزوه لمدينـة رتبيـل، ويتحسف فيها علـى عـدم نيلـه للشـهادة فيـها، فقـال:

أصْبَحْـتُ ذَاْ هَـمٍّ أقَاْسِـيْ الكِـبَرَا ... قَـدْ عِشْـتُ بَـينَ المُشْـركِيْنَ أعْصُـرَا
ثمَّـتَ أدْرَكْـتُ النَّـبيَّ المُنْـذِرَا ... وَبَعْـدَهُ صِدِّيْقَـهُ وَعُمَـرَا
وَيَـوْمَ مُـهْرَاْنَ وَيَـوْمَ تُسْـتَرَا ... وَالجَمْـعَ فِيْ صِفِّيْنِـهِمْ وَالنَّـهَرَا
وَبَـاْجُبَيْرَاْتِ مَـعَ (المُشَـقَّرَا) ... هَيْـهَاْتِ مَـاْ أطْـوَلَ هَـذَاْ عُمُـرَا

٢٣. أعَشَىْ هَمْدَاْنْ (توفي ٨٣هـ)

وهـو شـاعر كـان في أول صـدر الإسـلام، وقـد نسـب إليـه البكـري بيتـين ورد فيـهما ذكـر المشـقر والصفـا ومحلـم، ويتكلـم الشـاعر فيـهما بلسـان الجماعـة عـن حـرب يبـدوا أنـها الحـرب الـتي قـامت بـين أبـي فديـك الخـارجي والجيـش الـذي أرسـل إلى محاربتـه مـن العـراق، ويبـدو أن أعشـى همـدان كـان في هـذا الجيـش لأننـا لا نعـرف لهمـدان قـوم الشـاعر أنـهم حـاربوا أهـل هجـر أو البحريـن، ولكـن ذُكـر في التـاريخ أن أبـا فديـك الخـارجي اتخـذ هجـر مكانـاً لخروجـه فأرسـل لـه الأمويـون جيشـاً مـن العـراق فـهزموه وقتلـوه

---

[٨١] انظر نفس المصدر.

بالمشقر، وقد ذكر البلاذري في أنساب الأشراف هذه الحرب بتفصيل دقيق سنذكره فيما يلي، وأما بيتا أعشى همدان فهما قوله:

وَلَمَّا نَزَلْنَا بِـ (الْمُشَقَّر) و (الصَّفَا) وَسَاقَ الأعَارِيْبُ الرِّكَابَ فَأبْعَدُوْا
بَدَأنَا فَغَوَّرْنَا مِيَاهَ (مُحَلِّم) لَعَلَّ بَقَايَا جِيَّةِ القَوْمِ تَنْفَدُ[٨٢]

٢٤. الأَخْطَلُ التَّغْلِبِيّ (توفي ٩٠هـ)

وقد ورد في شعره ذكر نهر محلم حيث شَبَّهَ الظُّعنَ بالنخيل التي تحفُّ بأحد جداول هذا النهر، فقال:[٨٣]

وَمَا خِلْتُهَا إلاّ دَوَالِحَ أوْقِرَتْ وكُمَّتْ بحَمْلِ نَخْلُهَا وَفَسِيْلُهَا[٨٤]

---

[٨٢] جاء في اللسان عن الجية ما يلي: الجِيّة، بغير همز: الموضع الذي يجتمع فيه الماء كالجِيئةِ، وقيل: هي الركيَّة المُنْتِنَة. وقال ثعلب: الجِيَّة الماءُ المُسْتَنْقِعُ في الموضع، غير مهموز، يشدّد ولا يشدّد. قال ابن بري: الجِيّة، بكسر الجيم، فِعْلَة من الجَوِّ، وهو ما انخفض من الأرض، وجمعها جِيٌّ؛ .. والجِيَّة، بالكسر غير مهموز: مجتَمَع الماء في هَبْطَةٍ، وقيل: أصلها الهمز، وقد تخفف الياء. .. قال الزمخشري: الجِيَّةُ بوزن النِّيَّة، والجَيَّةُ بوزن المَرَّة، مُسْتَنْقَعُ الماءِ. وقال الفراء في الجِئة: هو الذي تسيل إليه المياه.

ويبدو أنّ قول الفراء الأخير هذا هو ما أراد أعشى همدان لأنّ الأعاريب الذين ذكرهم عندما انهزموا كانوا يعتمدون في شربهم على ما يسيل إليهم من مياه نهر محلم، ولهذا بدأ الجيش في تغوير مياه النهر التي تصب نحوهم لتجفيف هذه المستنقعات التي كانوا يعتمدون عليها في الريّ.

[٨٣] انظر ديوانه صنعة السكري الصفحة ٦١٥ من طبعة دار الآفاق الجديدة–بيروت.

[٨٤] الضمير في خلتها يعود على الظُّعن، والدوالح: جمع دالحة، وهي أشجار النخيل المثقلة من كثرة الحمل، وأوقرت: كثر حِملُها، وقوله كُمّتْ يشير بذلك إلى ما يفعله أهالي

تَسَلْسَلَ فِيْهَاْ جَدْوَلٌ مِنْ (مُحَلِّم) إذَاْ زَعْزَعَتْهَاْ الرِّيْحُ كَاْدَتْ تُمِيْلُهَاْ
يَكَاْدُ يَحَاْرُ الْمُجْتَنِيْ وَسْطَ أيْكِهَاْ إذَاْ مَاْ تَنَاْدَىْ بالعِشِيِّ هَدِيْلُهَاْ [٨٥]

٢٥. **الفَرَزْدَقْ (توفي ١١٠هـ)**

حيث ذكر محلم في قصيدة له هجائية يقول فيها: [٨٦]

قَدْ كَاْنَ فِيْ (هَجَر) وَنَخْل (مُحَلِّم) تَمْرٌ لِمُلْتَمِس الطَّعَاْم فَقِيْر

وفي شرح النقائض[٨٧] قال عند شرح هذا البيت: محلم نهر بالبحرين. انتهى

وقال أيضاً: [٨٨]

لَعَمْرُكَ لاْ يَرْقَىْ الكُلَيْبيُّ مَنْزلاً برَهْطِ كُلَيْبٍ أوْ يَحُلُّ (الْمُشَقَّرَا)

وفي الشرح: المشقّر لعبد القيس، ولا تقدر كليبٌ - رهط جرير - أن تدخله.

وله أيضاً: [٨٩]

فَلَنْ تُدْركُوْنِيْ أوْ تَحُزُّوْا أنُوْفَكُمْ عَلَىْ جَبَل أعْيَىْ عَلَىْ أهْل خَيْبَرَاْ
وَحَتَّىْ تَجُرُّوْا الغُرَّ مِنْ رَمْل عَاْلِج إلىْ أهْل جَوٍّ أوْ تَجُرُّوْا (الْمُشَقَّرَاْ)

وفي ديوانه أيضاً:

البحرين من تغطيتهم لعذوق النخل حين يبدأ البُسْر فيها بالتلوّن حيث يكمونها بنوع من الأغطية لحفظه من الطير أن تأكله وليظلّ بُسراً أطول وقت ممكن، وهي عادة لا زال المزارعون يعملون بها حتى وقتنا هذا.

[٨٥] الأَيْكُ: الشجر الكثير الملتفّ، والهَدِيْل: ذكر الحمام.

[٨٦] انظر ديوانه.

[٨٧] انظر الصفحة ١٠١٨ من طبعة المجمع الثقافي بأبو ظبي.

[٨٨] را. الجاسر، معجم المنطقة الشرقية رسم (المشقر).

[٨٩] نفس المصدر السابق.

يَصْدَعْـنَ ضَاْحِيَـةَ (الصَّفَـاْ) عَـنْ مَتْنِـهِ وَلَـهُنَّ مِـنْ جَبَلَـيْ عِمَاْيَـةَ أَثْقَـلُ

وجـاء في المستقصى في أمثـال العـرب للزمخشـري[٩٠]: عمايـة جبلٌ بالبحرين، قـال الفرزدق، ثـم ذكـر هـذا البيـت ممـا يؤكـد أنـه أراد عمايـة البحريـن، وبالتـالي يستأنس أنّ الصّفـا المذكـور هنـا هـو حصن الصفا أو جبل الصّفـا بـالبحرين كمـا سنرى فيمـا يلـي.

٢٦. جَرِيْرْ (توفي ١١٠هـ)

قـال يـهجو العبـاس بـن يزيـد الكنـدي، ويذكـر المشـقّر والصّفـا في قصيدة جـاء فيـها:[٩١]

أَلاْ أَبْلِـغْ بَنِـيْ حُجْـر بـنَ وَهْـبٍ بِـأَنَّ التَّمْـرَ حُلْـوٌ بالشِّـتَاْءِ
فَعُـوْدُوْا لِلنَّخِيْـل فَأَبرُوْهَـاْ وَعِيْثُـوْا بِـ (الْمُشَـقَّر) و (الصَّفَـاْءِ)[٩٢]

وقـد تقـدم أن قسـماً مـن كنـدة قـد سـكنوا هجـر قديمـاً، وبنـو حجر بن وهـب بطـنٌ منـهم.

٢٧. ذُوْ الرِّمَّةْ (توفي ١١٧هـ)

وقد جاء في ديوانـه قولـه:

خَلِيْلَـيَّ مُـدَّا الطَّـرْفَ حَتَّـىْ تَبَيَّنَـاْ أَظُعْـنٌ بعَلْيَـاْءِ (الصَّفَـاْ) أَمْ نَخِيْلُـهَاْ

إلى أن يقـول:

فَقُلْتُ أَعِيْـدَا الطَّـرْفَ مَـاْ كَـاْنَ مُنْبتَـاً مِـنَ النَّخْـل خَيْشُـوْمُ الصَّفَـاْ فَأَمِيْلُـهَاْ

ولهذيـن البيتـين أهميّـةٌ كـبرى في إثبـات أنّ حصـنَ الصّفـا كـان علـى تـلٍّ مرتفـع مثلـه مثـل المشـقر، وذلـك بدليـل ذكـره: "عليـاء

---

[٩٠] انظر الجزء ١ الصفحة ٤٣

[٩١] انظر الجاسر، المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية.

[٩٢] وورد هذا الشطر عند البلاذري في أنسابه: ودارٍ بالمشقر والصفاء.

الصفـا" و "خيشـــوم الصَّفـــا"، لأنّ العليـــاء تعـــني رأس الجبـــل المشـرف، والخيشـوم: أنـف الجبـل.

٢٨. أبُوْ النَّجْمِ العِجْلِيّ (توفي ١٣٠هـ)

واسمـــه الفضـــل بـــن قدامـــة الراجـــز المعـــروف بـــأبي النجـــم العجلـي، وقـد ذكـر لـه الزبيـدي بيتـاً مـن الشـعر في بـاب (ق ط ر) من تاج العروس، وهـو قولـه عـن قبـائل ربيعـة ومسـاكنها:

وَنَزَلُـوْا عِنْـدَ (الصَّفَـاْ) (المُشَـقَّرَا) وَهَبَطُـوْا السِّـنْدَ بجَنْـبيْ قَطَـرَا

٢٩. الْكَلْبِيُّ، مُحَمَّدُ بنُ السَّائِبْ (توفي ١٤٦هـ)

يعتـبر الكلـبي أبـو الأخبـاريين العـرب وأسـتاذهم، وقـد ذكـر المشـقّر في خـبر يـوم الصَّفقـة، أو يـوم المشـقر الـذي أورده عنـه أبـو الفرج الأصفهاني في كتابـه الأغـاني، وسـوف يمـر بنـا فيمـا بعـد.

كمـا ذكـر يـاقوت في كتابـه معجـم البلـدان في رسـم (محلـم) عـن الكلـبي قولـه: محلـم بـن عبـد الله زوج هجـر بنـت المكنـف مـن الجرامقـة، وفي رسـم (هجـر) قـال: (قـال ابـن الكلـبي عـن الشـرقي: إنمـا سُميت عـين هجـر بـهَجر بنـت المكنـف وكـانت مـن العـرب المتعرّبـة وكـان زوجـها محلّـم بـن عبـد الله صـاحب النـهر الـذي بالبحرين يقال له نـهر محلـم وعـين محلـم. انتـهى)

٣٠. الْخَلِيْلُ بنُ أحْمَدَ الفَرَاهِيْدِيّ (توفي ١٧٠هـ.)

قـال عـن محلـم في معجـم العـين:[٩٣] (ومحلـم نـهرٌ باليمامـة ؟) وهـو غريـب حقـاً، والـذي ذكـره يـاقوت عنـه في معجـم البلـدان في

[٩٣] كما في طبعة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

رسم (محلم) هو الصحيح حيث قال ما نصّه: وقال صاحب العين - يعني الخليل - محلم نهرٌ بالبحرين. انتهى

وهذا هو الصحيح، وإن ما في كتاب العين المطبوع هو إما خطأ أو تحريف من النسّاخ أو من الطابع لأن محلم لم يختلف اثنان في وجودها في البحرين ثم في هجر منها بعكس المشقر والصّفا الذين يوجد في ديار العرب مواضع أخرى تحمل نفس الاسم، وقد تقدم ذلك.

٣١. هِشَامُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيّ (توفي ٢٠٤هـ.)

وقد ذكر الطبري أنه حدثه بحديث يوم المشقر أو الصفقة، وذكر فيه المواضع الثلاثة المشقر والصفا ومحلم، وسبب بناء المشقر، وكيفية ذلك، والقوم الذين بنوه، وذلك في النص الذي ذكر فيه مقتل بني تميم من قبل المكعبر الفارسي - أو الضبّي كما في بعض الروايات - وسط المشقر، وسيأتي في الحديث عن يوم صفقة المشقر.

وفي رسم (قارة) من معجم البلدان قال ياقوت الحموي: وقال أبو المنذر - يعني هشاماً -: القارة جبيل بنته العجم بالقُفْر والقير، وهو فيما بين الأطيط[٩٤] والشبعاء في فلاة من الأرض إلى

---

[٩٤] جاء في لسان العرب حول المعنى اللغوي للأطيط كلامٌ كثير، وهذا ملخصه المفيد قال: عن الجوهري: الأطيط صوت الرَّحل والإبل من ثقل أحمالها، قال ابن بري: قال علي بن حمزة صوت الإبل هو الرغاء، وإنما الأطيط صوت أجوافها من الكظة إذا شربت.

والأطيط أيضا: صوت النِّسْع الجديد وصوت الرَّحْل وصوت الباب، .. قال: وقد يكون الأطيط في غير الإبل، ومنه حديث عتبة بن غزوان، رضي الله عنه، حين ذكر باب

اليـوم[٩٥].

وهـذا النـصّ رغـم أنـه لم يـرد فيـه أيـاً مـن المواضـع الثلاثـة الـتي نبحـث عنـها إلا أنـه في غايـــة الأهميـــة في تحديـــد مواضعـــها كمـــا سـنرى فيمـا بعـد، ويجـــب أن لا يفوتنـــا التوضيـــح هنـــا بـــأن لفـــظ الشـــبعاء الـــوارد في النـــص هنـــا كـــذا وردت في معجـــم البلـــدان والقـاموس المحيـط بـالمد والهمـزة في آخـر الاسـم، وليـــس بـــالنون في آخـره، وقـد ذهـب الشـيخ حمـد الجاسـر إلى أنـها تحريـف الشـبعان أي الجبـل المشـهور اليـوم باسـم جبـل القـارة، وهـو رأيٌ يجانبـه الصـــواب لأنَّ اتفـــاق الفـــيروز آبـــادي مـــع يـــاقوت في نطقـــه بـــالمدّ والهمـزة يضعفـه، ثـم مـــا المـــانع أن يكـــون هنـــالك موضعـــاً يدعـــى الشـبعاء بـــالقرب مـــن الشـــبعان ويكـــون هـــو المقصـــود هنـــا، وأمـــا

الجنة قال: ليأتين على باب الجنة زمـان يكـون لـه فيـه أطيـط أي صـوت بالزحـام، وفي حديث آخر: حتى يسمع له أطيط يعني باب الجنة.

قال الزجاجي: الأطيط صوت تمدد النسع وأشباهه، .. وفي الحديث : العرش علـى منكب إسرافيل وإنه ليئط أطيط الرحل الجديد .. وأطيط البطن: صوت يسمع عند الجوع، .. وأطت الإبل: مدت أصواتها، ويقال: أطيطها حنينها، وأطـت القنـاة أطيطـا: صوتـت عند التقويم، وأطت القوس تئط أطيطا: صَوَّتَتْ، .. والأطيط : صـوت الجـوف مـن الخـوا وحنين الجذع.

وأطيط: اسم شاعر، قال ابن الأعرابي : هو أطيط ابن المغلس، وقال مرة: هـو أطيـط بن لقيط بن نوفل بن نضلة، قال ابن دريد: وأحسب اشتقاقه من الأطيط الذي هو الصرير.

ونرى كل الكلام المتقدم يتركز حول الصوت والصّرير والحنين، ويبدو أنّ هذا الموضع أعني الأطيط قد سُمِّي بهذا الاسم لأنهم كانوا يسمعون منـه صوتـاً مثـل صريـر الأبـواب أو حنين الإبل أو ما شابه ذلك.

[٩٥] وشبيه بهذا النص نقله الفيروز آبادي في القاموس.

الأطيط المقرون بالشبعاء في هذا النصّ فهو الموضع الذي يقع فيه حصن الصفا، فقد ذكر البلدانيون موضعاً أسموه بصفا الأطيط اعتماداً على تفسير بيت لامرئ القيس الكندي ورد فيه نفس الاسم، وإن كانوا اختلفوا في تحديد موضعه إلا أن الهمداني في صفة جزيرة العرب قد حدده في البحرين[96]، ولا يمنع أن يوجد أكثر من موضع يحمل نفس الاسم، إذ أنه لمن الواضح أن القارة التي ذكر هشام هنا هي في البحرين لأن العجم، ويقصد بهم هنا الفرس لم تتجاوز أراضي البحرين إلى غيرها من جزيرة العرب ولم يعرف عنهم أنهم اتخذوا موضعاً آخر سكنوه كحاكمين له غير البحرين، وأما سكنهم لليمن وعُمان فلم يكن بصفة التملك والحكم لهما وإنما كان سكنهم لهما على سبيل التجارة بالنسبة لعُمان، والمساعدة لسيف بن ذي يزن الحميري بالنسبة لليمن، وبالتالي فإنهم لم يكونوا بحاجة إلى بناء حصن لهم في هذين البلدين كما فعلوا في القارة المذكورة في نص ابن الكلبي، وهو ما ينبغي فهمه على هذا الوجه هنا، فمراد هشام بن الكلبي أن العجم قد بنوا لهم حصناً في هذا الجبيل المعروف بالقارة، ولم يرد أن يقول أنهم بنوا القارة الجبيل نفسه الذي هو خلقة ربانية، وقد مرّ بنا في رواية الأعلم الشنتمري لبيت طرفة قوله أن المشقر بيت منقور من حجارة بهجر، وهو يؤيد ما قلناه هنا عن رواية هشام، فالعجم قد نحتوا لهم غرقاً ومخازن في هذا الجبل، وقاموا بتهذيب واجهته وأعلاه حتى يبدوا أكثر جمالاً ورهبة في نفوس الناس، وشيْ آخر أودُّ لفت نظر القارئ له

---

[96] انظر الصفحة ٣٩٠

هنا، وهو أن كلمة القُفْر في النص هي جمع قفير، وهو الزبيل تجمع فيه الحجارة، والقير لغةٌ في القار، وهو الزفت معروف، وقد مرّ بنا في النص رقم (٣) أشارة امرئ القيس إلى أن السّفن في البحرين كانت تُقَيّر في السابق كما هو الحال عليه في ما أدركناه في زماننا هذا، وبالتالي فإن أهالي المنطقة كانوا يستخدمون القار للطلاء من القدم.

٣٢. أبُوْ عَمْرٍو الشَّيْبَانِيّ (توفي ٢٠٦هـ.)

وهو أبو عمرو إسحاق بن مِرار الشيباني، وقد جاء له شرح لقول طرفة:

خُذُوْا حِذْرَكُمْ أَهْلَ (الْمُشَقَّر) و (الصفا) عَبِيْدَ اسْبَذٍ، وَالقَرْضُ نَجْزِيْهِ بِالقَرْض

ذكره ياقوت الحموي في رسم (أسبذ) فقال: قال أبو عمرو الشيباني، والغالب على أهل البحرين عبد القيس، وهم أصحاب المشقر والصفا، حصنين هنالك.

وفي كتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني نفسه[٩٧] قال في شرح نفس البيت المذكور: الأسابذة ناسٌ من الفرس كانوا مسلحة بالمشقر، منهم المنذر بن ساوى من بني عبد الله بن دارم، ومنهم عيسى الخطي، ومنهم سعيد بن دعلج ؟ انتهى، ولا نعرف وجهاً لقوله أنهم ناسٌ من الفرس ثم ذكر منهم المنذر بن ساوى وهو عربي من بني تميم، وعيسى الخطي الذي يبدو أيضاً أنه عربي وإن كنا لا نعرف قبيلته إلا أن يكون مراده أنهم يتبعون للفرس في حكمهم للمنطقة، أو أن هذا النصّ يثبت

[٩٧] انظر المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر رسم (المشقر).

لنا أن المنذر بن ساوي صاحب هجر عند ظهور الإسلام ليس عربياً بالنّسب، وإنما بالولاء، وأنه من أبناء القوم الذين أرسلتهم الفرس لبناء المشقر في القديم، فقد جاء في شرح شعر ابن المقرب عن هؤلاء القوم أن منهم من دخل في بني تميم ثم في بني عبد الله بن دارم،[98] والمنذر بن ساوي ينتسب إلى بني عبد الله بن دارم هؤلاء.

وفي موضع آخر من الكتاب المذكور قال:[99] وقال البحراني، جيلان ويامن قومٌ من اليهود بهجر، وهم أكَرَة المشقر. انتهى

ولا نعرف من هو هذا البحراني الذي نقل عنه هذا الخبر هنا.

٣٣. أبُوْ عُبَيْدَةْ (توفي ٢٠٩هـ.)

معمر بن المثنى، وقد ذكر له ابن الفقيه في كتابه البلدان نصّاً عن البحرين يُعدُّ من أهم النصوص التي عَرَّفَت إقليم البحرين ومدنه وقراه، ومن ضمنها المشقر والصّفا وعين محلم، وكذلك اثنان وعشرون قرية لبني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وسنذكر ما يخص المواضع التي نحن بصددها هنا، حيث قال:[100]

قال أبو عبيدة: بين البحرين واليمامة مسيرة عشرة أيام،

---

[98] انظر شرح ديوان ابن المقرب/ تحقيق الكاتب بمشاركة الأستاذين علي سعيد البيك وعبد الغني العرفات.

[99] نفس المصدر السابق.

[100] انظر مختصر البلدان لابن الفقيه الصفحة ٣٠ من طبعة دار صادر- بيروت.

وبين هجر مدينة البحرين وبين البصرة مسيرة خمسة عشر يوماً على الإبل، وهي - أي البحرين - الخطُّ والقطيف والآرة وهجر والبينونة والزارة وجواثى والسابور[101] وداريـن والغابة، وقصبة هجر الصفا والمشقر والشبعان، والمسجد الجامع في المشقّر، وبين الصّفا والمشقّر نهرٌ يجري يقال له العين. انتهى المراد

٣٤. الأَصْمَعِيّ (توفي ٢١٦هـ.)

وقد أورد له نصرٌ في كتابه الأمكنة والمياه نصّاً عن البحرين قال فيه:[102]

قال الأصمعي: إنما سُمّيت البحرين لأنهما عينان بينهما مسيرة ثلاث، إحداهما محلم، والأخرى قضباء، وهي خبيثة الماء؟ على إحداهما هجر، والأخرى قطيف، وهي الخطّ. انتهى

قلت: وقوله خبيثة عجيب، فلم نعهد في عيون القطيف عيناً خبيثة الماء، بل كل عيونها طيبة عذبة ثرّة أو مقبولة، ولعل الكلمة محرفة عن كلمة خبيئة أو ما شابه، وهذا النص يذكرنا بنص الحسن بن أحمد الهمداني الآتي، وهو قوله أن البحرين إنما سُمّيت البحرين من أجل عينها محلم ولأجل عين الجريب، ولكن شتّان بين عين الجريب هنا وبين عين قضباء التي ذكرها الأصمعي في هذا النص، فلا تشابه في اللفظ بينهما

---

[101] الصحيح أنها السابون، وللكاتب بحثٌ مفصّل عنها في تحديد موضعها.

[102] انظر المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ الجاسر رسم (قضباء).

وإن تشابه معنى كلامهما جداً باستثناء خبث ماء الثانية، فالهمداني لم يذكر عن عين الجريب أنها خبيثة الماء.

٣٥. ابنُ الأَعْرَابِيّ (توفي ٢٣١)

وهو اللغوي المشهور، وقد أورد له البكري في معجم ما استعجم في رسم (المشقر) نصّاً في غاية الدقة والأهمية، بل لولا هذا النص لما استطعنا الوصول إلى معرفة موضع المشقر، ولكانت جميع النصوص السابقة والآتية لا تعدو كونها قرائن لا نجزم معها بشيء، ولكن جاء ابن الأعرابي فقدم لنا الوصف الذي لا مزيد عليه، فقال يرحمه الله:

(المشقر مدينة عظيمة قديمة، في وسطها قلعة على قارة تُسمى عطالة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلّب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلّبها نقصانها). انتهى

وقد ذكر له ياقوت في رسم (جواثى) نصاً آخر ذكر فيه المشقر قال: قال ابن الأعرابي جواثى مدينة الخط، والمشقر مدينة هجر، والمقصود بقوله أن جواثى مدينة الخط والمشقر مدينة هجر ليس على التعيين أي أن هجر هي نفسها المشقر وجواثى هي نفسها مدينة الخط، بل أراد بذلك أن هاتين المدينتين هما أهم مدينتين في الخط وهجر كما يقال: القاهرة هي مدينة مصر ويراد بها أنها أهم مدنها وأكبرها، وإن كنا نستغرب بالفعل قوله أن جواثى مدينة الخط، فإذا أراد بالخط القطيف تحديداً فكلامه عجيب لأن جواثى بعيدة عن القطيف، وهي قريبة من هجر جداً، أما إذا أراد بالخط الاسم

العام لمناطق الساحل من البصرة إلى مشارف عمان كما حدده الجغرافيون العرب فقد يُستساغ قوله على المقاربة، وإن كان فيه بعض البعد أيضاً.

٣٦. اِبْنُ حَبِيْبْ (توفي ٢٤٥هـ.)

وهو أبو جعفر محمد بن حبيب، وقد ذكر المشقر في كتابه المحبّر مرتين، إحداهما في ذكره لأسواق العرب، فذكر منها سوق المشقر بعد أن ذكر سوق دومة الجندل، فقال:[١٠٣]

ثم يرتحلون — أي العرب — منها — أي دومة الجندل — إلى المشقر بهجر، فتقوم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر، فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم، ثم تنقشع عنها إلى مثلها من قابل، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها، وكان ملوكها من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي، كانت ملوك فارس تستعملهم عليها، كبني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان، وكانوا يصنعون فيها ويسيرون فيها بسيرة الملوك بدومة الجندل، وكانوا يعشرونهم، وكان من يؤمها من التجار يتخفّرون بقريش؟ لأنها لا تُؤتى إلا في بلاد مضر؟ وكان بيعهم فيها الملامسة والهمهمة، أما الملامسة والإيماء يومئ بعضهم إلى بعض، فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا إيماءً، وأما الهمهمة فكيلا يحلف أحدهم على كذب إن زعم المشتري أنه قد بدا له. انتهى

---

[١٠٣] انظر المحبر الصفحة ٢٦٥ من طبعة دار الآفاق الجديدة– بيروت.

وقال في موضع آخر وهو يذكر أصنام العرب في الجاهلية:[١٠٤]

وكان ذو اللبا لعبد القيس بالمشقر، سدنته منهم بنو عامر. انتهى

ويقصد ببني عامر بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وهم سكنة الأحساء مع بني عمومتهم بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

٣٧. عَبْدُ اللهِ بنُ السِّبْطْ (توفي ؟؟؟)

لا نعرف عنه شيئاً، وأخشى أنّ كلمة (السبط) محرفة عن كلمة (السّمط)، فإن صحّ ذلك، فهو عبد الله بن السّمط بن مروان بن أبي حفصة شاعر كان في بغداد زمن المأمون العباسي، وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد، وقال ابن النديم في الفهرست أنّ شعره في مائة ورقة فقط، وعلى كل فقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان نقلاً عن الحفصي شعراً لعبد الله هذا قال فيه:[١٠٥]

سَقَيْتُ المَطَايَا مَاءَ بِجْلَةَ بَعْدَمَا ... شَرِبْنَ بفَيْض مِنْ خَلِيْجَيْ (مُحَلِّم)

وسيمر بنا في كلام الأزهري ما يؤكد أن لنهر محلم بالفعل خليجان يتخلجان منه هما الصّفا والسَّريُّ.

٣٨. عَمْرُوْ بنُ بَحْرٍ الجَاْحِظْ (توفي ٢٥٥هـ.)

فقد تكلم في كتابه الحيوان عن كتابات الناس في الأماكن المشهورة

---

[١٠٤] انظر الصفحة ٣١٧ من نفس المصدر

[١٠٥] را. معجم البلدان رسم (محلم).

فقال: وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور ونقشاً في الحجارة وخلقة مُركَّبةً في البُنْيان فربَّما كان الكتابُ هو الناتئ وربّما كان الكتابُ هو الحفر إذا كان تاريخاً لأمر جَسيم أو عهداً لأمر عظيم أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره أو تطويل مدته كما كتبوا على قُبَّةُ غُمْدَان وعلى باب القَيرُوان وعلى باب سَمَرْقَند وعلى عمود مأرب وعلى رُكْنِ المشقَّر وعلى الأبلَق الْفَرْد وعلى باب الرُّها يعمِدُون إلى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخطَّ في أبعدِ المواضع من الدُّثور وأمنَعِها من الدروس وأجدرَ أنْ يراها من مرَّ بها ولا تُنسى على وجه الدهر.[١٠٦]

ومنه يتضح أنّ المشقَّر كان يُعدُّ من الأماكن المشهورة المذكورة في تلك الأزمان، كما يدل على أنه كانت توجد كتابات على أحد أركانه.

٣٩. ابْنُ قُتَيْبَةُ (توفي ٢٧٦هـ.)

وقد ذكر المشقر في نص عن تبع بن حسان بن تبع بن كلكيكرب[١٠٧] بن تبع بن الأقرن، آخر التبابعة المعروف باسم تبع الأصغر، وذكر أنه مَلَّك ابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي — جد امرئ القيس — على معدّ، وقال عنه — أي الحارث — أن مسكنه كان بالمشقر من ناحية هجر.

---

[١٠٦] انظر كتاب الحيوان ١ / ٥١ طبعة دار صعب – بيروت.

[١٠٧] كذا وردت في النصُّ، ولعلّ الصحيح أنه مَلِكْيَكْرِب حيث مرّ بنا أحد أبنائه في النصّ رقم (٢).

انتهى[108]

وهو تصحيح لما رواه أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني، وقد تقدم في النص رقم (٣) أن امرأ القيس كان يسكن بالمشقر وهو حصنٌ باليمامة، والصحيح أنه بهجر كما يرويه ابن قتيبة هنا، وسيأتي عن قريب نصٌّ للهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب عن نهر محلم ذكر فيه أنه بهجر، وأن تبّع حسّان هذا قد نزل عليه فهاله.

٤٠. أَبُوْ عَلِيّ الهَجَرِيّ (توفي ٣٠٠هـ.)

هارون بن زكريا الهجري، قال في كتابه النوادر:[109]

خسفة ماءٌ غزير، يقولون هي رأس محلم. انتهى

وفي القاموس المحيط يبدو أنه نقل نفس كلام الهجري، ولكنه جزم بكونها رأس محلم، ثم أتى بإضافة هامّة فقال:

والخَسْفَةُ: ماءٌ غَزِيرٌ، وهو رأسُ نَهْرِ مُحَلِّمٍ بِهَجَر، فأنت ترى أنه كان أكثر جزماً بكون خسفة رأس محلم ولم يتردد كما فعل الهجري بقوله: يقولون، ثم إن الفيروز آبادي أضاف لفظة هجر، وهي كما أشرت لفظة هامة تؤكد أن المراد بمحلم هو عين محلم بهجر لا غيرها، وفي اللسان بئرٌ خسوف وخسيف حُفِرت في حجارة فلم يقطع لها مادة لكثرة مائها، والجمع أخسفة وخُسُف، وبئر خسيف إذا نُقِب جبلها عن عَيْلم الماء فلا ينزح أبداً ... أبو عمرو: الخسيف التي تُحفر في الحجارة

---

[108] را. ابن قتيبة، المعارف الصفحة ٦٣٤ طبعة دار المعارف

[109] انظر المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر رسم (محلم).

فلا ينقطع ماؤها كثرة، وأنشد غيره:

قــد نزحـــت إن لم تكـــن خســـيفا   أو يكـــن البحـــر لهـــا حليفـــا

٤١. الطَبَرِيّ (توفي ٣١٠هـ.)

وذكر المشقر مفرداً في ثلاثة مواضع أحدها عند ذكره لأخبار يزيد بن المفرغ الحميري، وقد ذكرناه فيما تقدم، والموضعان الآخران أحدهما عند ذكره لمحاربة جيش عبد الملك بن مروان بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر لأبي فديك الخارجي الذي تحصن بالمشقر عام ٧٣ للهجرة[١١٠]، والآخر جاء ذكر المشقر فيه عرضاً في شعرٍ لشريح بن هانئ الحارثي الضبابي قاله في غزوة رتبيل في سنةٍ تسع وسبعين للهجرة، وقد ذكرناه فيما تقدم أيضاًفي النصّ رقم (١٧).

٤٢. ابْنُ دُرَيْدْ (توفي ٣٢١هـ.)

وذكر المشقر في كتابيه جمهرة اللغة والاشتقاق، فقال في الأول:[١١١]

والمشقر حصن بالبحرين قديم، وله حديث. انتهى

وقال في الاشتقاق:[١١٢]

والمشقر موضع بالبحرين زعموا مما بُني في الدهر الأول. انتهى

وتكمن أهمية نصوص ابن دريد أنه أزدي، وقد سكن عُمان،

---

[١١٠] انظر الجزء ٧ الصفحة ٨٠

[١١١] انظر الصفحة ٧٣٠ من طبعة دار العلم للملايين–بيروت.

[١١٢] انظر الصفحة ١٩٧ من طبعة دار الجيل–بيروت.

ولا يبعد أن يكون قد رحل إلى البحرين التي تعد من مساكن بطون من قومه الأزد، ولا سيما المشقر الذي ذكره التبّعي وعدّه من منازل الأزد كما مرّ بنا في النص رقم (٢).

٤٣. الحَسَنُ بنُ أحْمَدَ الهَمْدَانِيّ (توفي ٣٣٤هـ.)

فقد ذكر في كتابه صفة جزيرة العرب المشقر ومحلم في أربعة مواضع كالتالي:

أ) قال في الصفحة ٢٨١: والبحرين إنما سُمّيت البحرين من أجل نهر محلم ولنهر عين الجريب. انتهى

ومن الواضح أنه مشابه جداً لنص الأصمعي الذي تقدم معنا هنا باستثناء أن العين الثانية عند الأصمعي هي قضباء وليس الجريب كما هي هنا، كما أن الأصمعي كان أكثر توضيحاً في أن عين محلم كانت في هجر، وعين قضباء كانت في القطيف.

ب) وفي الصفحة ٣٠٦: قال في الحديث عن عين الناقة إحدى عيون الأفلاج: ويقول أهل الفلج في اشتقاق هذا الاسم إن امرأة مرّت بها على ناقة لها فتقحمت بها الناقة في جوف العين، فخرج بعد سوارها بنهر محلم بهجر البحرين، ومحلم نهرٌ عظيمٌ يقال أن تبّعاً نزل عليه فهاله، ويقال إنه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ[113] في أرض العجم. انتهى

---

[113] وهو النهر الذي كان يُعرف بنهر جيحون، وهو نهر عظيم كثير الروافد والتفرعات، فإذا كانوا قد شبهوا نهر محلم به في الطول ووفرة المياه فإنّ ذلك يعني أنّ نهر محلم كان في الأزمنة السحيقة يصل إلى ساحل الخليج الفارسي قاطعاً مسافة تصل إلى أكثر من ٧٠ كلم، ولولا التقاءه بالخليج الفارسي لذهب أبعد من ذلك.

ويقصد بتبع حسّان بن أسعد تبّع الذي حكم بين ٤٢٠ – ٤٢٥ بعد الميلاد، وهو الذي جعل ابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ملكاً على المشقر كما ذكر ذلك ابن قتيبة وذكرناه نحن هنا فيما تقدم، ونود أن نوضح أن الحارث بن عمرو الكندي هذا هو جدُّ الشاعر الأشهر امرئ القيس بن حجر بن الحارث.

ج) وقال في الصفحة ٣١٧: إذا أجملنا أرض البحرين، وهي المشقر، فهي هجر مدينتها العظمى، والعُقير والقطيف والأحساء، ومحلم نهرهم.

د) وقال في الصفحة ٣٣٠: المشقر بالبحرين نحو هجر، وبه نخلٌ لا يبرح الماء في أصوله.

٤٤. اِبْنُ الفَقِيْهِ الهَمَذَانِيّ (توفي ٣٦٥هـ.)

وقد ذكر المشقر في كتابه البلدان في أكثر من موضع، وكتاب البلدان لابن الفقيه لم يصلنا، وإنما وصلنا مختصراتٌ له أخَلّت بالمادة الأصلية، ومن الأمثلة على ذلك أحد المواضع التي نحن بصددها هنا، وهو المشقر، فقد ورد في معجم البلدان لياقوت الحموي في رسم (المشقر) قوله: قال ابن الفقيه: هو حصنٌ بين نجران والبحرين، يقال إنه من بناء طسم، وهو على تلٍّ عالٍ، ويقابله حصن بني سدوس، ويقال إنه من بناء سليمان بن داؤد عليهما السلام. انتهى

وعند الرجوع إلى كتاب مختصر البلدان المطبوع وجدناه يذكر

هذا النصّ مبتوراً بـتراً قبيحـاً حيـث جـاء فيـه:[١١٤]

والمشقّر فيما بـين نجـران والبحريـن. انتـهى نصـاً

وللقـارئ أن يلاحـظ الفـرق الكبـير بـين النَّصّـين، علـى أنـه ورد في هـذا المختصـر مـا لم يـورده يـاقوت في معجمـه، وذلـك قـول ابـن الفقيـه عـن العلمـاء السـابقين وهـو كـلامٌ يبـدو أنـه منقـول مـن قـول الجاحظ المتقـدم، ونصـه كمـا يلـي:[١١٥]

(وكـانوا يعمـدون إلى المواضـع المشـهورة والأمـاكن المعروفـة الـتي هـي أجـدر أن تبقـى علـى وجـه الدهـر، وأبعـد مـن الـدروس، فيجعلـون فيـه الكتـاب كمـا كتبـوا علـى قبـة غمـدان وعلـى عمـود مارد وعلى ركـن المشـقر وعلـى الأبلـق الفـرد ... إلخ.) انتـهى المـراد

وقد أعاد ابن الفقيـه ذكـر المشـقر في موضـع آخـر فقـال:[١١٦]

ثـم لأهـل المغـرب ومصـر وبـلاد الجبـل وخراسـان عجـائب لا تكـون بغيرهـا مثـل منـارة الإسـكندرية وعمـود عـين الشـمس والهَرمـان وجسـر آذنـة وقنطـرة سـنجة وكنيسـة الرّهـا والأبلـق الفـرد والمشـقّر وغمـدان وبرهـوت ... إلخ. انتـهى المـراد

ويبـدو أنـه أجمـل المشـقر والأبلـق الفـرد وغمـدان وبرهـوت، وهـي مواضـع وحصـون معروفـة في الجزيـرة العربيـة مـع العجـائب الخاصـة بمصـر وبـلاد المغـرب، أو أنـه عدهـا مـن نواحـي خراسـان علـى اعتبـار أنـها كـانت تابعـة للفـرس قبـل الإسـلام إن لم يكـن هـذا التنـافر أصـلاً مـن الخلـل الـذي وقـع فيـه المختصـر لهـذا

---

[١١٤] انظر الصفحة ٢٨ من طبعة دار صادر–بيروت.

[١١٥] انظر الصفحة ٢٤٥ من نفس المصدر.

[١١٦] انظر الصفحة ٢٥٥ من نفس المصدر.

الكتاب القيّم بالفعل وأقصد به البلدان لابن الفقيه الهمذاني الكوفي.

كما نودّ الإشارة إلى أن ابن الفقيه لم يخطئ في قوله أن المشقر بين نجران والبحرين، ولكن لعلّ تحريفاً وقع لكلامه الذي ربما يكون صحته أنّ المشقّر بين نجران والبَحْرَة وليس البحرين لأنَّ البَحْرة عدها ابن الفقيه نفسه في كتابه البلدان على أنها من قرى بني محارب من عبد القيس في هجر، وقرى هؤلاء هي القرى المحيطة بجبل الشبعان (القارة اليوم) وتل المشقر قريبٌ منه، وأما نجران المذكورة هنا فهي ليست نجران الجنوب كما قد يتبادر إلى الذهن، بل هي نجران أخرى توجد في إقليم البحرين وقرب هجر بالذات، وهي التي ذكرها ياقوت في رسمها من معجمه، وذكرها كذلك ابن القيسراني (توفي ٥٠٧هـ) في كتابه الأنساب المتّفقة حيث قال عن لفظة نجراني: والنجراني الأول منسوب إلى نجران هجر، وفيهم كثرة. انتهى

وكذلك في القاموس المحيط للفيروز آبادي حيث قال: ونجران موضع بالبحرين، قيل وإليه نُسبت الثياب النجرانية.

وقد استوقفني بيتٌ للكميت الأسدي يقول فيه:[117]

ونحنُ صبَحْنا آلَ نجران غارةً تميمَ بنَ مُرّ والرِّماحَ النَّوادسا

فلم يُعهد أن بني تميم بن مرّ قد سكنوا نجران حتى يقول الشاعر أنهم أهلها، ولكن نعم عُرف عنهم أنهم سكنوا هجر منذ قديم، ومنهم بنو عبد الله بن دارم الذين كانوا حكام المشقر

[117] انظر مقاييس اللغة لابن فارس مادة (ن د س) وكذلك اللسان نفس المادة.

إبان ظهور الإسلام، وبالتالي فإن التوجيه الصحيح لشرح بيت الكميت هذا هو أن نجران هذه ليست نجران القريبة من اليمن، وإنما هي نجران هجر المذكورة هنا.

٤٥. الأَزْهَرِيّ (توفي ٣٧٠هـ.)

وهو العالم اللغوي الشهير صاحب كتاب التهذيب في اللغة، وقد شاءت الصّدف أن يقع أسيراً في أيدي قرامطة البحرين سنة وقعة الهبير عام ٣١١ للهجرة، فكان لما سجّله وقيّده من معلومات عن هذه المنطقة أهمية كبرى لأنه تحدث عن معاينة لأكثر ما ذكره، وأما ما لم يرَه فقد رواه عن أهالي المنطقة بدوها وحضرها، وقد قدم لنا الأزهري وصفاً لعين محلم لم يقدّمه لنا غيره، فقال عنها:[١١٨]

(محلم عين فوّارة بالبحرين، وما رأيت عيناً أكثر منها، وماؤها حارٌّ في منبعها، فإذا برد فهو ماءٌ عذب، ولهذه العين إذا جرت في نهرها خُلُجٌ كثيرة تتخلج منها تسقي نخيل جواثى وعسلَّج، وقُرَيّات من قرى هجر، وأرى محلم اسم رجل نُسبت العين إليه.) انتهى

أقول: جواثى وعَسَلَّج لا زالتا معروفتان حتى اليوم، وتقع عَسَلَّج إلى الجنوب الغربي من القرية القديمة المعروفة باسم الطُّرَيْبيل، وإلى الجنوب الشرقي من قرية الجبيل التي من المعتقد أنها هي التي كانت تُعرف قديماً باسم جَبَلة أو جبيلة

---

[١١٨] الجزء ٥ صفحة ١٠٨ من كتاب التهذيب نقلا عن الشيخ حمد الجاسر في معجمه الجغرافي للمنطقة الشرقية.

قصبة قُرى بني عامر بن الحارث بن أنمار العبقسيين، والتي ذكر صاحب كتاب المناسك أنها تقع أسفل هجر.

وقال الأزهري في موضع آخر:[119]

(السّريّ والصَّفا نهران يتخلجان من نهر محلم، تسقي قرى هجر كلها.) انتهى

٤٦. الْحَفْصِيّ (من أهل القرن الثالث الهجري)

وقد أورد له ياقوت في رسم (محلم) قوله: (محلم نهر بالبحرين، وهو لعبد القيس، ثم أورد شعر عبد الله بن السَّبط المتقدم في النصّ رقم (٩).

كما ذكر عنه ياقوت في رسم (القارة) قوله: (القارة: جبل في البحرين.) انتهى

وهذا النصّ أثار ربكةً كبيرة لدى الباحثين في هذه المنطقة، سنذكرها فيما بعد.

٤٧. إسْمَاْعِيلُ بنُ حَمَّاْدٍ الجَوْهَرِيّ (توفي ٣٩٣هـ)

فقد جاء في كتاب الصحاح له ما نصه:[120]

(ومحلم في قول الأعشى:

وَنَحْنُ غَدَاْةَ (العَيْنِ) يَوْمَ فُطَيْمَةٍ   مَنَعْنَاْ بَنِيْ شَيْبَاْنَ شُرْبَ (مُحَلِّم)

نهرٌ يأخذ من عين هجر، قال لبيد يصف ظُعناً، ويشبهها بنخيل كرعت في هذا النهر:

عُصُبٌ كَوَاْرِعُ فِيْ خَلِيْجِ (مُحَلِّمٍ)

---

[119] انظر الجزء ٢ الصفحة ٢٩٤ حسب نفس المصدر.

[120] انظر الصحاح مادة (ح ل م).

أقول: عندما يقول الأعشى أن قومه بني قيس بن ثعلبة البكريين قد منعوا بني عمهم من بني شيبان البكريين أيضاً الشرب من محلم، فهذا يدلّ على أنه يقصد ببني شيبان هنا الذين كانوا يسكنون هجر، وقد ورد في شعر وشرح ديوان بن المقرب لهم ذكرٌ في أكثر من موضع، ومدح شخصيات منهم، وكانت قرية التّيمية المعروفة اليوم من قرى الأحساء، والواقعة في الركن الجنوبي الشرقي لجبل الشبعان (القارة) من منازلهم، ومن هذه القرية كان آل أبي جمهور الشيبانيون من أكبر علماء الشيعة في المنطقة، وقول الجوهري عن محلم أنه يأخذ من عين هجر يقصد بأنّ هذه العين ترفد نهر محلم لا أنها منبعه، فمنبعه كان من عين أخرى بعيدةٍ عنها كما سنرى فيما يلي.

٤٨. مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ الخَطِيْبُ الإِسْكَافِيّ (توفي ٤٢٠هـ.)

حيث قال في كتابه لطف التدبير:

(... وجاءت تميم لقبض العطاء في حصن بالبحرين يقال له المشقّر على البحر)، ثم أورد شعراً لأحد شعرائهم جاء فيه:

أَلاْ فَاذْكُرَنْ فِعْلِيْ وَلاْ تَنْسَيَنَّهُ عَشِيَّةَ قَادُوْنِيْ لِحِصْنِ (الْمُشَقَّر)

وأقول: هذه أول مرّة يرد فيها أن المشقر على البحر، وهو غير صحيح، ولا نعرف مصدر الإسكافي في قوله الذي انفرد به هنا.

٤٩. أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ المَرْزُوْقِيّ (توفي ٤٢١هـ)

حيث قال واصفاً أسواق العرب بعد أن ذكر سوق دومة الجندل:

(ثم يرتحلون منها إلى المشقر بهجر، فيقوم لهم سوقها أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر، يوافي بها أهل فارس يقطعون إليها تبَعاً لعادتهم، ثم يتقشعون عنها من مثلها إلى مثلها من قابل، وكانت عبد القيس وتميم جيرانها، وكانوا ملوكها من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي، وكانت ملوك فارس تستعملهم عليها كما يستعملون بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عُمان، وكانوا يصنعون فيها ما يريدون، ويسيرون بسيرة الملوك بدومة في البيع، وكانوا يعشرونها أي يمكسونها، وكان جميع من يأتيها لا يقدر عليها إلا بخفارة من سائر الناس، وكانت أرضاً مُعْجِبَة لا يراها أحدٌ فيصبر عنها، وكانت لا يقدمها لطيمة إلا تخلّف بها منهم ناس، فمِنْ هناك صارت بهَجَر من كلِّ حيٍّ من العرب وغيرهم، وكان بيعهم فيه الملامسة والهمهمة والإيماء يومئ بعضهم إلى بعض، فيتبايعون ولا يتكلمون حتى يتراضوا، وإنما فعلوا ذلك كيلا يحلف أحدهما على كذب أن يزعم أنه بذل له صاحب السلعة. انتهى)

وهذا النصّ شبيه بنص ابن حبيب، إلا أنه ينبغي أن لا نغفل الزيادات الهامة والتصحيحات كقوله أنها أرضٌ مُعجِبة أي تعجب الناس، وهو ما يثبته كثرة تغني الشعراء من عصر ما قبل الإسلام وبعده بهذه المواضع كما قدمنا وكما سنرى أيضاً.

٥٠. مُحَمَّدُ بنُ عُمْرَانَ العَبْدِيّ البَصْرِيّ (توفي ؟)

قال في كتابــه العفـو والاعتـذار: [١٢١]

(وأمـره – أي كسـرى أمـر هـوذة بـن علـــي الحنفـــي – أن يبـــني مدينــة بــهجر يكـون فيـها عاملـه، فـإن كـان مـن العـرب غـدرٌ بـــهم كان لهــم حصنـاً إلى أن يأتيـهم غيـاث مـن كسـرى، وبعـث معـه مـن فـارس الفعلـة، فبنـوا بـالبحرين الحصـن الــذي يقـال لــه المشــقر.) انتــهى

وقولـه أن بـاني المشـــقر هــو هــوذة بــن علــي الحنفــي خــلاف المشـهور مـن أن المشـقّر ممـا بُـني في العصـور القديمـة، وهـــوذة كـــان في زمان الرسـول الأكـرم صلـى الله عليـه وآلـه وسـلم، فـلا يصـحّ أنـه هو باني المشـقر، والغريـب أن يصـدر مثـل ذلـك عـن رجـل مـن عبد القيـس، وهـو محمــد بــن عمــران العبــدي هــذا، نعــم ورد في أول نصّـه أن كسـرى أمـر هـوذة أن يبـني مدينــةً بــهجر، ومدينـــة غــير الحصـن، فيبـدوا أن هـذا العبـــدي قــد خلــط، ولعــل الصحيــح أن هوذة بنى حـول حصـن المشـقر مدينـة تكـون لعمـال كسـرى يسـكنون فيـها فـإذا فاجأتـهم العـرب بغـزو لجـأوا إلى حصـن المشـقر الملاصــق لهذه المدينــة، وسـوف نعـرف فيمـا يلـي أن هـذه المدينـة هـي القريـة المعروفـة اليـوم باسـم قريـة التّارة مـن قـرى الأحسـاء الـتي يبـــدو أن مؤسسها هو هوذة بـن علـي الحنفـي البكـري بـأمر مـن كسـرى.

٥١. الْبَكْرِيّ (توفي ٤٨٧ هـ.)

قال في معجـم مـا استعجم في رسـم (المشـقر):

(بضَـمٍّ أوّلــه وفتــح ثانيــه بعــده قــاف مفتوحـــة مشـــدَّدة وراء

[١٢١] انظر الجزء ٢ الصفحة ٤٣٢.

مهملة، قصر بالبحرين، وقيل هي مدينة هجر، وبنى المشقّر معاوية بن الحارث بن معاوية الملك الكندي، وكانت منازلهم ضَريّة، فانتقل أبوه الحارث إلى الغَمْر، ثم بنى ابنه المشقّر، ثم أورد بيتاً من معلقة امرئ القيس مرّ ذكره في أبياته التي ذكرنا في النصّ رقم (٣).

وتكمن أهمية هذا النصّ في قوله أنّ المشقّر هو مدينة هجر، وإن كان الصحيح كما سنرى أنه قريبٌ منها، وأمّا قوله عن معاوية بن الحارث الكندي أنّه بنى المشقر فهو ربما بنى فيه حصناً أو جدّد حصناً فيه لأنّ المشقر أقدم من معاوية.

٥٢. نَصْرُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الإِسْكَنْدَرِيّ (توفي ٥٦١هـ.)

قال في كتابه الأمكنة والمياه:[١٢٢]

(العين بهجر، وهي عين محلم.) انتهى

وقال نصر أيضاً:[١٢٣]

(الهجران: اسم المشقّر وعطالة، حصنان باليمامة؟) انتهى

وقد استغرب الشيخ الجاسر قوله باليمامة، ونحن نستغربها كذلك، وقد حصل تخليط لدى جغرافيي العرب في أكثر من موضع، فنسبوا مواضع في اليمامة إلى البحرين ومواضع في البحرين إلى اليمامة، وهو كثير في كتبهم.

وقد مرّ بنا قول ابن الأعرابي في النصّ رقم (٣٠) أن المشقّر مبني على قارة تسمى عطالة، وأنه بهجر.

---

[١٢٢] انظر المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر رسم (محلم)

[١٢٣] انظر نفس المصدر السابق رسم (الهجران)

٥٣. اِبْنُ الأَثِيرِ الجَزْرِيّ (توفي ٦٠٦هـ)

وهو المبارك بن محمد الشيباني، فقد علّق على حديث الأسبذيين الذي ذكره مروياً عن ابن عباس، فقال:[١٢٤]

(سبذ في حديث ابن عباس (جاء رجلٌ من الأسبذيين إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم) هم قومٌ من المجوس لهم ذكرٌ في حديث الجزية. قيل كانوا مَسْلَحةً لحصن المشقر من أرض البحرين.

٥٤. يَاقُوتُ الحَمَوِيّ (توفي ٦٢٦هـ.)

فقد ذكر جبل الشبعان في معجم البلدان في رسمه، فقال:

الشَّبْعَانُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، بلفظ ضد الجائع: جبل بالبحرين يُتبرّد بكِهافه.[١٢٥]

ثم ذكر بيت عدي بن زيد المتقدم، وأبيات عمرو بن أحمر الباهلي كذلك.

وأما يتعلق بعين محلم فذكر قولاً هاماً لم ينسبه لقائله، وهذا ما جعلنا ننسبه لياقوت هنا مع أنه ليس له فعلاً، حيث قال في رسم (الجونان) من معجمه ما يلي:

(وقيل الجونان قرية من نواحي البحرين قرب عين محلم دونها الكثيب الأحمر.) انتهى

وأقول: لقد ذكر ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان –

---

[١٢٤] انظر كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

[١٢٥] وفي تاج العروس للزبيدي: .. والشبعان: جبلٌ بالبحرين؛ بهجر يُتبرّد بكهافه، ثم ذكر بيت عدي بن زيد.

الذي وصل إلينا مختصرات له - ذكر قُرى بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وعدّ منها قرية كُتِبت بهذا الشكل (الجوس)، وفي نسخة أخرى كُتبت (الحوس) ولعلّ القارئ يلاحظ مدى التشابه الكبير بينها وبين كلمة (الجونين) خصوصاً إذا عرفنا أن النسخة الأصلية لكتاب البلدان ربما لم تكن منقوطة فيكون رسم (الجونين) مشابهاً جداً لكلمة (الجوس) أو (الحوس).

وأما ما يتعلق بالمشقر والصفا فقد ذكر ياقوت عن شخص مجهول تعريفاً لهما، فقال في رسم (المشقر) بعد أن أورد كلاماً ابن الفقيه الهمذاني المتقدم:

(وقال غيره: المشقر، حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس، يلي حصناً لهم آخر يقال له الصَّفا قبل مدينة هجر، والمسجد الجامع بالمشقّر، وبين الصّفا والمشقر نهرٌ يجري يقال له العين، وهو يجري إلى جانب مدينة محمد بن الغَمْر، ثم أورد بعد ذلك أبيات يزيد بن المفرغ الحميري، وبيتي عمرو بن أسوى الليثي العبدي المتقدمين.

وأقول: إن محمد بن الغمر هذا هو أحد رجالات القرامطة المعدودين، وكان له ولدان هما أبو علي الحسين بن محمد بن الغمْر، وابو طريف عديّ بن محمد بن الغمْر، ولهما أخبار في حروب قرامطة البحرين في أواخر القرن الرابع الهجري وأوائل القرن الخامس، وذكرهما مسكويه في تجارب الأمم[١٢٦] وابن

[١٢٦] انظر حوادث سنة ٣٢٢

حوقل في كتابه صورة الأرض[127]، وبالتالي فإن مدينة محمد بن الغمر بُنيت في عهد القرامطة في البحرين، وبالتحديد في أواخر القرن الرابع الهجري، ولكنها الآن مجهولة الموضع.

٥٥. ابْنُ المُقَرَّبِ العُيُوْنيّ الأَحْسَائِيّ (توفي بعد ٦٣٠هـ.)

وقد ذكر هو وشارح ديوانه الشبعان والمشقر والصّفا ومحلم في عدّة مواضع كما من ديوانه المشروح، والشارح في أغلب ما ورد فيه هو ابن المقرَّب نفسه كان يملي ذلك على راويه، وبعض هذا الشرح - وهو قليل - من إضافات بعض المطلعين على الديوان من علماء المنطقة.

وأما ما ورد فيه من ذكر ما نحن بصدد تحقيقه فهو كما يلي:

أ) في شرح البيت:[128]

مَنَاْجِيْبُ لاْ جَيْلاْنَ تُعْزَىْ إِليْهُمُ ... وَلاْ عُدَّ فِيْهِمْ ذُوْ كِتَاْبٍ مُعَاْهِدُ

فقال الشارح:

المناجيب: الكرام، وأنجب الرجل إذا ولد أولاداً أنجاباً أي كراماً، وجيلان: قومٌ من الفرس كان أخرجهم كسرى لخدمته، ولعمارة قصره المعروف بالمشقر من أرض هجر، فشكوا إليه أمر الغربة، فبعث إليهم من الفواجر جماعةً تزوجوا بهن، وصار لهم منهن نسلٌ كثير، ومضى قرنٌ بعد قرن، فتكلمت ذراريهم

[127] انظر الصفحة ٢٦ من طبعة دار صادر-بيروت.

[128] نحن ننقل هنا عن شرح ديوان ابن المقرب الذي صدر حديثاً محققاً على نُسخ نادرة وتحوي معلومات غاية في الأهمية، وهو بتحقيق كاتب هذا المقال والأستاذين عبد الغني العرفات وعلي البيك.

بالعربية، وركبوا الخيل وقالوا الشعر وجمعوا الأموال الكثيرة، فلما جاء الله بالإسلام وهلك ملك كسرى طلبوا الدخول في قبائل من العرب فأبت قومٌ أن يدخلوهم فيهم لما يعرفون من أصلهم، وأدخلتهم قومٌ ليتقووا بهم، ورغبوا إلى كثرتهم وكثرة أموالهم.

ب) في شرح البيت:

وَمَا ضَرَّنِي مَعْ قُرْبِهِ أنَّ مَنْزِلِيْ وَقَوْمِيْ بأكْنَافِ (المُشَقَّر) و (الصَّفَا)

وقال الشارح:

المشقر والصفا بالأحساء من البحرين، كان حصناً بناه بعض الأكاسرة عرضه سبعون لبنةً كسروية.

ج) في شرح البيت

وَهَوْذَةُ بْنَ عَلِيٍّ حَطَّ مُنْتَزِعَاً عَنْ رَأسِهِ التَّاجَ عَمْداً غَيْرَ مُحْتَشِمِ

وقال الشارح:

.. وهوذة صاحب يوم الصفقة، وهو يوم المشقر.

د) وفي شرح البيت:

نَقَلَتْ أوَائِلَهُمْ إلَىْ البَحْرَيْن - كَيْ يَبْنُوْا مُشَقَّرَهَا - أنُوْ شِرْوَانْ

قال الشارح:

.. وخوزستان من بلاد فارس، والمشقر حصنٌ بهجر من البحرين بين مُحَلِّم وسُلَيْسِل نهرين بهجر قيل كان عرض جداره سبعين لبنة كسروية، وبه سمّي المشقّر لأنه طُلي جميعه بالشقر، والشقر: صبغ أحمر، ونوشروان من الأكاسرة وملوك فارس، وذلك أن البحرين كانت من جملة ولايته، وكان فيها النوّاب والولاة من قبله، فأمر أن يبنى له حصن يكون ينزله الوالي الذي من قبله، وبعث لبنائه فعلة من سواد خوزستان

نقلهم في البحر إلى العقير، وخرجوا من هناك، فإن أولئك الفعلة أقاموا في بنائه مدة، ولم يكن عندهم نساء، فشكوا الغربة، فحملت إليهم الفواجر من أرض فارس، فنكحوهن فأولدوا وأقاموا بالبحرين لعمارة ذلك الحصن، ومضت برهة من الزمان، وقد تناسلوا وصارت لهم أموال كثيرة، ومضى قرنٌ بعد قرن، وتكلمت أولادهم بالعربية وقالوا الشعر وركبوا الخيل، وصاروا أهل ثروة من المال، فلما جاء الإسلام بَطَلَ مُلك الأكاسرة من البحرين وانتسب أكثرهم في العرب، فكان كثير انتسابهم في عبد القيس، ومن قبائل عبد القيس من لم يقبلهم، ومنهم أقوامٌ قبلوهم وألحقوهم بهم، فصاروا لا يعرفون إلا منهم، أرادوا بهم القوة والكثرة، ودخل أيضاً منهم قوم في بني تميم في بني عبد الله بن دارم، وكل من انتسبوا إليه أنكحهم ونكح إليهم رغبةً في أموالهم، ويقولون أن قوماً منهم يعرفون الآن، ويشيرون إليهم، والله أعلم بصدق ذلك من كذبه

هـ) وفي نفس القصيدة في شرح البيت:

إنــي لأخشــى أن تلاقــوا مثلمــا   لاقــى بنــو العيــاش والعريــان

علّق الشارح بقوله:

(ويعني بالعياش عيّاش بن سعيد رئيس بني محارب، وكان منزله بالجبل المعروف بالشّبعان من جبال هجر، وهو في وسطها تحفُّ به أنهارها وبساتينها.)

و) وقال في شرح القصيدة الميمية في ذكر خبر الحرب بين عبد الله بن علي وقبيلة عامر ربيعة في بداية تأسيسه للدولة العُيونية:

(والتقوا بين النهرين محلّم وسليسل، وقد قدمت عامر ربيعة الإبل وأقبلت الفرسان والرجالة تسوقها من ورائها ويحملونها على العجم وأصحاب عبد الله بن علي لتدوسهم، فلما أقبلت وصار أولها في نهر محلم أمر عبد الله بن علي بضرب الدبادب والطبول والبوقات، وأمر أهل الخيل أن يرجفوا عليها، وأمر العجم أن يرشقوها بالنشاب وأن يضربوا وجوه الإبل، ففعلوا ذلك فرجعت الإبل على عامر ربيعة فداستهم وقتلت منهم خلقاً كثيراً)

و) وقال في ذكر ما فعله عبد الله بن علي بأحد الجيوش التي توجهت إلى الأحساء تريد أن تملكها عليه، فزيّن لهم غزو عمان حتى أطمعهم فيها، وما كان من إسراره لقوم من بني الخارجية من عبد القيس جعلهم أدلاء للجيش إلى عمان، وأمرهم بأن يتوسّطوا بهم الرّمل الذي بين عمان والبحرين[١٢٩] وأن ينزلوهم على غير ماء ثم ينسلّوا عنهم في آخر الليل، وفعلوا ذلك، فكانت النتيجة هلاك ذلك الجيش، وهنا يقول شارح الديوان ما نصّه:

(فمات جميعهم عطشاً وهلكت خيولهم جميعاً، وقيل أن رجلاً كان تحته فرسٌ جواد سار به إلى الأحساء ووقف به على عين نهر مُحَلِّم، فلم ينجُ منهم غيره، وسارت الخارجيون فغنموا أثقالهم وما وجدوا من رحالهم وأمتعتهم، وذلك في سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

---

[١٢٩] هو ما يعرف اليوم باسم الربع الخالي.

٥٦. زَكَرِيَّاْ بنُ مُحَمَّدٍ القَزْوِيْنِيّ (توفي ٦٨٢هـ.)

حيث قال في كتابه آثار البلاد:

" المشقر :حصن بين نجران والبحرين على تل عال يقال انه من بناء طسم يقال له فج بني تميم لأن المكعبر عامل كسرى غدر بني تميم فيه وسببه أن وهرز عامل كسرى على اليمن بعث أموالاً وطرفاً إلى كسرى فلما كانت ببلاد بني تميم وثبوا عليها وأخذوهافأخبر كسرى بذلك فأراد أن يبعث إليهم جيشاً فأخبر أن بلادهم بلاد سوء قليلةالماء، فأشير إليه بأن يرسل إلى عامله بالبحرين أن يقتلهم وكانت تميم تصير إلى هجر للميرة فأمر العامل أن ينادي :لا تطلق الميرة إلا لبني تميم !فأقبل إليه خلق كثير فأمرهم بدخول المشقر وأخذ الميرة والخروج من باب آخر فيدخل قوم بعد قوم فيقتلهم حتى قتلوا عن آخرهم وبعث بذراريهم في السفن إلى فارس."[١٣٠]

٥٧. الشَّيْخُ نَاْصِرُ بنُ إبْرَاْهِيْمَ البُوَيْهِيّ (توفي ٨٥٢هـ.)

فقد ذكره السيد الأمين في أعيان الشيعة، وقال عنه أنه بويهي الأصل ينتمي إلى آل بويه، وأحسائي المنشأ، وعاملي الخاتمة، وذكر أنه كان يسكن في قرية عيناثا من قرى جبل عامل بلبنان، ومات بها بالطاعون سنة ٨٥٢ للهجرة، وقد ذكر له أبياتاً يعاتب فيها شيخه ظهير الدين بن الحسام العاملي حين أخّره عن درسه فقال:

أشَاْقَكَ رَبْعٌ بـ (المُشَقَّرِ) عَاْطِلُ   فَظَلْتَ تَهَاْدَاْكَ الهُمُوْمُ النَّوَاْزِلُ

---

[١٣٠] آثار البلاد وأخبار العباد الصفحة ٨٨.

فَأصْبَحْتَ تَسْتَمْرِيْ مِـنَ العَيْـنِ مَائُـهَاْ وَهَيْـهَاْتِ قَـدْ عَـزَّتْ عَلَيْـكَ الوَسَـاْئِلُ
تَذَكَّـرْتَ مَـنْ تَـهْوَىْ فَأبْكَـاْكَ ذِكْـرُهُ وَأنْـتَ بعَيْنَاْشَـاْ عَلَـىْ الكُـرْهِ نَـاْزِلُ

ولم ينتبه أحدٌ من الباحثين إلى أن هذا العالم الأحسائي قد تشوّق إلى مدينته المشقر في أرض هجر، مما يدلُّ على أن هذه المدينة ظلت معروفة بنفس الاسم حتى عام ٨٥٢ للهجرة وبعده كما في شعر هذا العالم الأحسائي المشقري المغترب.

٥٨. مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ الحِمْيَرِيّ (توفي ٩٠٠هـ.)

وذكر المشقر في كتابه الروض المعطار في ذكر المدن والأقطار، وإن كان ما ذكره قد تقدم لغيره هنا ممن سبقه ونقل هو عنهم، فقد جاء فيه: المشقر قصرٌ بالبحرين، وقيل هو مدينة هجر، قال امرؤ القيس:

دوين الصفا اللائي يلين المشقرا

وقال ابن الأعرابي: هي مدينة عظيمة في وسطها قلعة. انتهى

هذا ولكثرة ورود المشقر والصَّفا في الشعر العربي القديم أكثر متأخرو شعراء الدولة العباسية ومن جاء بعدهم من ذكرهما في شعرهم، ولا سيما المشقر ولم يكن ذلك منهم عن معاينة لهما ولا حتى عن معرفة لموضعهما ربما، وإنما جرياً على عادة الكثيرين منهم في ذكر الأماكن التي لهج الشعراء القدماء بذكرها كـ (هضب الحمى) و(كثبان طي) و(البان والعلم) التي نجدها وأمثالها كثيراً في شعر الشعراء المتأخرين، وكذلك الحال بالنسبة لـ (المشقر) و(الصَّفا) الَّذيْن كان لهما كما قلنا صدىً مدوياً وصل إلى مسامع هؤلاء الشعراء فجرى ذكرهما في شعرهم،

وسندون هنا بعضاً من هذا الشعر الذي لم ندرجه مع ما تقدم من نصوص لأنّ النصوص الشعرية المتقدمة قيلت عن اهتمام من أصحابها بهذين الموضعين بالذات أو عن معاينة لهما، وأما ما سندونه هنا فإنما جرى على لسان قائليه لأنهم سمعوا كثيراً بهذين الاسمين في أدبيات المتقدمين فكان أن أوردوه في أشعارهم كلفظتين لهما إيقاع سمعي وجرس لفظي ليس إلا، وهو أمرٌ شاع لدى شعراء الدولة العباسية المتأخرين، ولا سيما الشريف الرضي الذي كان يسمع في مجالس بغداد الأدبية عن الكثير من المواضع والأماكن التي ارتبطت بأحداث تاريخية وأدبية في الشعر العربي القديم ثم أتاحت له رحلاته المتكررة إلى الحج، ومروره على الكثير من هذه الأماكن التي كان يسمع بها مشاهدتها عياناً مما ترك في نفسه انطباعاً مفعماً حول هذه الأماكن التي بدت تظهر أسماؤها في شعره بكثرة وهو ما نراه واضحاً في حجازياته، وعلى منواله سار من جاء بعده، وإن كان ذلك قد ظهر لدى شعراء قبل الشريف الرضي ولكن ليس بهذه الدرجة من الوضوح كما هو لدى الشريف، وهذه بعض النصوص التي اطلعت عليها أدونها هنا حسب ترتيب وفاة قائليها، وهي في دواوينهم:

١. أَبُوْ تَمَّاْمْ (توفي ٢٣١هـ):

لولا التفجع لادّعى هضب الحمى   وصفا المشقر أنه محزون

٢. البُحْتُرِيّ (توفي ٢٨٤هـ):

لمن رفده بيض الأنوق، وعرضه   إذا أكثب الرامي صفاة المشقر

٣. اِبْنُ الْمُعْتَزّ (توفي ٢٩٦هـ):

ذم الزمان لدمنةٍ | بين المشقر والصفا

٤. السَّرِيُّ الرَّفَّاءْ (توفي ٣٦٦هـ):

يسفر عن ضد الصباح المسفر | وذات وجه كصفا المشقر

٥. مِهْيَارُ الدَّيْلَمِيّ (توفي ٤٢٨هـ):

وكم يأوي المشقر من غزال | تحاذر من كناسته الأسود

٦. الشَّرِيْفُ الْمُرْتَضَىْ (توفي ٤٣٦هـ):

وعلى أهاضيب المشقر غادةٌ | للريم منها طرفها والجيدُ

٧. أَبُوْ العَلاْءِ الْمَعَرِّيْ (توفي ٤٤٩هـ):

إن المشقر لم تخلد ممالكه | شقرٌ تقاد، ولا مسحوبةٌ كشقر

٨. اِبْنُ خَفَاْجَةَ الأَنْدَلُسِيّ (توفي ٥٣٣هـ):

وتندب عهداً قد تقضى برامةٍ | ووكراً بأكناف المشقر خاليا

وله أيضاً:

وأندب عهداً بالمشقر سالفاً | وظل غمام للصبا قد تقشعا

٩. اِبْنُ الزَّقَاْقِ البَلَنْسِيّ:

هو علي بن عطية بن مطرف أبو الحسن اللخمي البلنسي شاعر عاش أقل من أربعين عاماً، وشعره في ديوان مخطوط بالظاهرية بدمشق، وجاء فيه:

أم ذلك الخشف الذي بجوانحي | مثواه لكن بالمشقر داره

١٠. الْقَاْضِيْ أَبُوْ الْمُطَرِّفِ بنُ عُمَيْرَةَ الْمَخْزُوْمِيّ:

أقلــوا ملامــي أو فقولـــوا وأكـــثروا ملومكــم عمــا بـــه ليـــس يقصـــر
وهــل غــير صــب مــا تـــني عبراتـــه إذا صعـــــدت أنفاســـــه تتحـــــدر
يحـــن ومـــا يجــدي عليـــه حنينـــه إلى أربـــع معروفـــــها متنكـــــر
ويندب عـهدا بـ (المشــقر) فـاللوى وأيــن اللــوى منــه وأيـــن (المشــقر)
تغـــير ذاك العـــهد بعـــدي وأهلـــه ومـــن ذا علـــى الأيـــام لا يتغـــير[131]

١١. أَبُوْ بَكْرِ بنُ الصَّائِغِ التَّجِيْبِيّ:

تـــراءى بالســــدير فـــزاد قلـــبي مـــن البرحـــاء مـــا شـــاء الســـدير
فلـــولا أن يـــوم الحشـــر يقضـــي علـــي بحكـــم مـــولى لايجـــــور
دعـــوت علـــى المشـــقر أن يجـــازى بمـــا تجـــزى بـــه الـــدار الغـــرور[132]

١٢. المَلِكُ سُلَيْمَانُ بنُ سُلَيْمَانَ النَّبْهَانِيُّ العُمَانِيّ:

اللـــدار مـــن اكنـــاف قـــو فعرعـــر فجبـــت النقـــا بطـــن الصفـــا فالمشـــقر

[131] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج: ٤ ص: ٤٩٠

[132] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج: ٧ ص: ١٩، وتحتمل التورية في لفظة (المشقر).

يوم الصفقة (المشقر)

حقاً لقد كان المشقر ذا شهرة واسعة وكبيرة، غير أن مما زاده شهرةً وذكراً في شعر العرب وتاريخها هو إيقاع حامية كسرى فيه ببني تميم إبّان ظهور الإسلام، وقبيل هجرة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - إلى المدينة بقليل، كما يروي ذلك بن الأثير في تاريخه، وهو اليوم الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم يوم المشقر أو يوم الصَّفْقَة نسبةً إلى صفق باب المشقر عليهم وقتلهم بداخله، وبالتالي كان لا بد لنا أيضاً أن نسبر أغوار التاريخ، ونقرأ ما استطعنا الاطلاع عليه منها حول هذا اليوم لما فيه من فائدة كبرى مما هو مختصٌّ ببحثنا هذا، وأهم هذه الروايات في الواقع هي ثلاث روايات، إحداها لمحمد بن السائب الكلبي، والأخرى لابنه هشام، والثالثة للخطيب التبريزي ذكرها دون إسناد في شرحه للمفضليات مع بضع روايات أخرى لا ترقى لهذه الروايات الثلاث كما سنرى.

أولاً: رواية محمد بن السائب الكلبي

وهي التي نقلها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني، فقال:[١٣٣]

وأما ما وجد عن ابن الكلبي في كتاب حمّاد الراوية، فإن كسرى بعث إلى عامله باليمن بِعِيْر، وكان باذام على الجيش الذي بعثه كسرى إلى اليمن، وكانت العير تحمل نَبْعاً، فكانت تُبَذْرَق - أي تُخفر - من المدائن حتى تدفع إلى النعمان،

---

[١٣٣] الأغاني الجزء ١٧ الصفحة ٣١٨ من طبعة دار إحياء التراث العربي-بيروت.

ويبذرقها النعمان بخفراء من ربيعة ومضر حتى يدفعها إلى هوذة بن علي الحنفي، فيبذرقها حتى يُخرجها من أرض بني حنيفة، ثم تدفع إلى سعد - يقصد سعد تميم - وتُجعل لهم جعالة، فتسير فيها، فيدفعونها إلى عُمّال باذام باليمن.

فلما بعث كسرى بهذه العير قال هوذة للأساورة: انظروا الذي تجعلونه لبني تميم فأعطونيه، فأنا أكفيكم أمرهم، وأسير فيها معكم حتى تبلغوا مأمنكم، فخرج هوذة والأساورة والعير معهم من هَجر، حتى إذا كانوا بـ (نطاع)[١٣٤] بلغ بني سعد ما صنع هوذة، فساروا إليهم، وأخذوا ما كان معهم، واقتسموه وقتلوا عامة الأساورة، وسلبوهم، واسروا هوذة بن علي، فاشترى هوذة نفسه بثلاثمائة بعير، فساروا معه إلى هجر، فأخذوا منه فداءه، ففي ذلك يقول شاعر بني سعد:

---

[١٣٤] من الغريب حقاً أن يكون هوذة قد خرج من هجر متوجهاً بالقافلة لديار بني حنيفة، وهي اليمامة في طريقه لتسليمها لليمن، ثم يمرّ بنطاع، فما حاجته للمرور بنطاع وهو بذلك يكون قد ضاعف عليه المسافة بين هجر واليمامة، فأقرب الظنّ أن هوذة ربما يكون قد استلم القافلة وحملها من أحد موانئ البحر القديمة التي تقع شمال القطيف لا هجر، وإذا صحّ أن النعمان بن المنذر كان يخفرها من الحيرة حتى يوصلها إلى هوذة بن علي فلا يصح أنه كان يعطيها إياه في هجر لأنه من غير المعقول أن تكون وجهة القافلة إلى اليمن فتمر بهجر، ويخرج بها هوذة من هجر ثم يقصد بها نطاع التي تقع على بعد ٨٠ ميلاً شمال غرب القطيف، و ١٥٠ ميلاً شمال الأحساء ثم يوجهها من هناك إلى اليمامة فاليمن، فهذا ضد العقل، ولكن سيمر بنا فيما يلي في رواية هشام بن الكلبي أن الرحلة عكسية أي أن هوذة كان قد استلمها في اليمامة وهي قادمة من اليمن ثم سار بها يخفرها إلى أرض العراق، وبالتالي فإن هذا هو الأصح لأن نطاع حينها تكون في طريقه إلى العراق، وهي منهل ماء معروف، فلا بد أن يمرّ بها، وعندها وقعت المعركة.

وَمِنَّـاْ رَئِيْسُ القَـوْمِ لَيْلَـةَ أدْلَجُـوْا بِـهَوْذَةَ مَقْـرُوْنَ اليَدَيْـنِ إلىْ النَّحْـرِ
وَرَدْنَـاْ بِـهِ نَخْـلَ اليَمَامَـةَ عَانِيَـاً عَلَيْـهِ وثَـاْقُ القَـدِّ وَالحلَـقُ السُّـمْرُ[135]

فعمد هوذة عند ذلك إلى الأساورة الذين أطلقهم بنو سعد، وكانوا قد سُلبوا، فكساهم وحملهم، ثم انطلق معهم إلى كسرى، وكان هوذة رجلاً جميلاً شجاعاً لبيباً، فدخل عليه، فقص أمر بني تميم وما صنعوا ... وقال كسرى لهوذة: رأيت هؤلاء الذين قتلوا أساورتي وأخذوا مالي أبينك وبينهم صلح ؟ قال هوذة: أيها الملك بيني وبينهم حساءُ الموت، وهم قتلوا أبي، فقال كسرى: قد أدركت ثأرك، فكيف لي بهم ؟ قال هوذة: إن أرضهم لا تطيقها أساورتك، وهم يمتنعون بها، ولكن احبس عنهم الميرة، فإذا فعلت ذلك بهم سنةً أرسلت معي جنداً من أساورتك، فأقيم لهم السوق فإنهم يأتونها، فتصيبهم عند ذلك خيلك.

ففعل كسرى ذلك، وحبس عنهم الأسواق في سنة مجدبة، ثم سَرّح إلى هوذة، فأتاه، فقال: ائت هؤلاء القوم فاشفني منهم واشتف، وسرّح معهم (جوار بودار) ورجلاً من (أردشير خرّة)[136] فقال لهوذة: سر مع رسولي هذا، فسار في ألف أسوار حتى نزلوا المشقّر من أرض البحرين، وهو حصنُ هجر، وبعث هوذة إلى بني حنيفة فأتوه، فدنوا من حيطان المشقر، ثم نودي: إن كسرى قد بلغه الذي أصابكم في هذه السنة، وقد أمر

[135] قلت وهذا أيضاً يشكل، ففي النص أنهم ساروا معه إلىهجر حيث أخذوا منه فداءه، وفي الشعر يقول أنهم وردوا به نخل اليمامة عانيا.

[136] كذا ورد، وسيأتي في رواية التبريزي أنهما رجل واحد.

لكم بميرة، فتعالوا فامتاروا، فانصبّ عليهم الناس، وكان أعظم من أتاهم بنو سعد، فجعلوا إذا جاءوا إلى باب المشقر أدخلوا رجلاً رجلاً حتى يذهب به إلى المكعبر فتُضْرب عنقه، وقد وضع سلاحه قبل أن يدخل، فيقال له: ادخل من هذا الباب واخرج من الباب الآخر، فإذا مرّ رجلٌ من بني سعد بينه وبين هوذة إخاء، أو رجلٌ يرجوه قال للمكعبر هذا من قومي، فيخلّيه له.

فنظر خيبري بن عبادة إلى قومه يدخلون، ولا يخرجون وتؤخذ أسلحتهم، وجاء ليمتار، فلما رأى ما رأى قال: ويلكم أين عقولكم ؟! فوالله ما بعد السّلب إلا القتل، وتناول سيفاً من رجل من بني سعد يقال له مصاد، وعلى باب المشقّر سلسلة ورجلٌ من الأساورة قابضٌ عليها، فضربها، فقطعها ويد الأسوار، فانفتح الباب، فإذا الناس يُقتلون، فثارت بنو تميم، ويقال إن الذي فعل هذا رجلٌ من بني عبس يقال له عبيد بن وهب، فلما علم هوذة أن القوم قد نذروا به أمر المكعبر فأطلق منهم مائةً من خيارهم، وخرج هارباً من الباب الأول هو والأساورة، فتبعهم بنو سعد والرّباب، فقتل بعضهم، وأفلت من أفلت. انتهى نصّاً.

وقد مرّ بنا الشعر الذي قاله عبيد بن وهب مفتخراً بذلك غير أن الذي جاء في جمهرة النسب للكلبي نفسه أن كاسر السلسلة هو عمارة بن سليمان أحد بني مقاعس ثم أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم.[137]

---

[137] را. الكلبي، جمهرة النسب الصفحة ٢٣٤ من طبعة دار عالم الكتب–بيروت.

ثانياً: رواية هشام بن الكلبي

وقد رواها الطبري في تاريخه، فقال ما نصّه:[138]

(وحدثت عن هشام بن محمد قال بعث وهرز بأموال وطرف من طرف اليمن إلى كسرى فلما صارت ببلاد بني تميم دعا صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي بني تميم إلى الوثوب عليه فأبوا ذلك فلما صارت في بلاد بني يربوع دعاهم إلى ذلك فهابوه فقال يا بني يربوع كأني بهذه العير قد مرت ببلاد بكر بن وائل فوثبوا عليها فاستعانوا بها على حربكم فلما سمعوا ذلك انتهبوها وأخذ رجل من بني سليط يقال له النطف خرجا فيه جوهر فكان يقال أصاب كنز النطف فصار مثلا وأخذ صعصعة خصفة فيها سبائك فضة وصار أصحاب العير إلى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فكساهم وزودهم وحملهم وسار معهم حتى دخل على كسرى وكان لهوذة جمال وبيان فأعجب به كسرى وحفظ له ما كان منه ودعا بعقد من در فعقد على رأسه وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة فمن ثم سمي هوذة ذا التاج وقال كسرى لهوذة أرأيت هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا من قومك هم قال لا قال أصلح هم لك قال بيننا الموت قال قد أدركت بعض حاجتك ونلت ثأرك وعزم على توجيه الخيل إلى بني تميم فقيل له إن بلادهم بلاد سوء إنما هي مفاوز وصحاري لا يهتدى لمسالكها وماؤهم من الآبار ولا يؤمن أن يغوروها فيهلك جندك وأشير إليه أن يكتب إلى عامله بالبحرين وهو

---

[138] را. الطبري، تاريخ الأمم والملوك الجزء ٢ الصفحة ٢٦١ من طبعة دار الفكر- بيروت.

آزاد فروز بن جشنس الذي سمته العرب المكعبر وإنما سمي المكعبر لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل وآلى ألا يدع من بني تميم عينا تطرف ففعل ووجه له رسولا ودعا بهوذة فجدد له كرامة وصلة وقال سر مع رسولي هذا فاشفني واشتف فأقبل هوذة والرسول معه حتى صار إلى المكعبر وذلك قريب من أيام اللقاط وكان بنو تميم يصيرون في ذلك الوقت إلى هجر للميرة واللقاط فنادى منادي المكعبر من كان ها هنا من بني تميم فليحضر فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام يقسم فيهم فحضروا فأدخلهم المشقر وهو حصن حياله حصن يقال له الصفا وبينهما نهر يقال له محلم وكان الذي بنى المشقر رجل من أساورة كسرى يقال له بسك بن ماهبوذ كان كسرى وجهه لبنائه فلما ابتدأه قيل له إن هؤلاء الفعلة لا يقيمون بهذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء فإن فعلت ذلك بهم تم بناؤك وأقاموا عليه حتى يفرغوا منه فنقل إليهم الفواجر من ناحية السواد والأهواز وحملت إليهم روايا الخمر من أرض فارس في البحر فتناكحوا وتوالدوا فكانوا جل أهل مدينة هجر وتكلم القوم بالعربية وكانت دعوتهم إلى عبد القيس فلما جاء الإسلام قالوا لعبد القيس قد علمتم عددنا وعدتنا وعظيم غنائنا فأدخلونا فيكم وزوجونا قالوا لا ولكن أقيموا على حالكم فأنتم إخواننا وموالينا فقال رجل من عبد القيس يا معاشر عبدالقيس أطيعوني وألحقوهم فإنه ليس عن مثل هؤلاء مرغب فقال رجل من القوم أما تستحي أتأمرنا أن ندخل فينا من قد عرفت أوله وأصله قال إنكم إن لم تفعلوا ألحقهم غيركم من العرب قالوا إذا لا

نستوحش لهم فتفرق القوم في العرب وبقيت في عبد القيس منهم بقية فانتموا إليهم فلم يردوهم عن ذلك فلما أدخل المكعبر بني تميم المشقر قتل رجالهم واستبقى الغلمان وقتل يومئذ قعنب الرياحي وكان فارس بني يربوع قتله رجلان من شن كانا ينوبان الملوك وجعل الغلمان في السفن فعبر بهم إلى فارس فخَصَوا منهم بشرا - قال هبيرة بن حدير العدوي رجع إلينا بعدما فتحت إصطخر عدةٌ منهم أحدهم خصي والآخر خياط - وشد رجل من بني تميم يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب فقطعها وخرج فقال

تَذكَّرْتُ هِنْداً لاتَ حِيْنَ تَذكُّر ... تَذكَّرْتُهَا وَدُوْنَهَا سَيْرُ أشْهُر
حِجَازِيَّةٌ عُلْوِيَّةٌ حَلَّ أهْلُهَا ... مَصَابَ الخَرِيْفِ بَيْنَ زَوْرٍ وَمِنْوَر
ألاَ هَلْ أتَىْ قَوْمِيْ عَلَىْ النَّأْيِ أنَّنِيْ ... حَمَيْتُ ذَمَارِيْ يَوْمَ بَابَ (المُشَقَّر)
ضَرَبْتُ رِتَاْجَ البَاْبِ بالسَّيْفِ ضَرْبَةً ... تَفَرَّجَ مِنْهَاْ كُلُّ بَاْبٍ مُضَبَّر

ثالثاً: رواية ابن حبيب والمفضّل الضبّي:

وقد ذكرها أبو الفرج في الأغاني أيضاً[١٣٩] برواية علي بن سليمان الأخفش عن أبي سعيد السّكري عن ابن حبيب، وعنه عن ابن الأعرابي عن المفضَّل، قال: (قالوا جميعاً: كان من حديث يوم الصفقة أن باذام عامل كسرى باليمن بعث إلى كسرى عِيراً تحمل ثياباً من ثياب اليمن ومسكاً وعنبراً، وخرجين فيهما مناطق محلاّة، وخفراء تلك العِير فيما يزعم بعض الناس بنو الجعيد المراديون، فساروا من اليمن لا يعرض لهم أحد، حتى إذا كانوا بـ (حمض) من بلاد بني حنظلة بن

[١٣٩] انظر نفس الجزء والصفحة المتقدمان من نفس المصدر.

يربوع وغيرهم أغاروا عليها، فقتلوا من فيها من بني جُعيد والأساورة، واقتسموها، وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال وعتيبة بن الحارث بن شهاب والنّطف بن جُبير وأسيد بن جنادة، فبلغ ذلك الأساورة الذين بهجر مع (كزارجر) المكعبر، فساروا إلى بني حنظلة بن يربوع، فصادفوهم على (حوض)[140]، فقاتلوهم قتالاً شديداً، فهُزمت الأساورة وقُتلوا قتلاً ذريعاً، ويومئذٍ أخذ النّطف الخرجين اللذين يُضرب بهما المثل.[141]

فلما بلغ ذلك كسرى استشاط غضباً، وأمر بالطعام فادُّخر بالمشقر ومدينة اليمامة، وقد أصابت الناس سنةٌ شديدة، ثم قال: من دخلها من العرب فأميروه ما شاء.

فبلغ ذلك الناس، قال: وكان أعظم من أتاها بنو سعد، فنادى منادي الأساورة: لا يدخلها عربي بسلاح، فأقيم بوّابون على باب المشقّر، فإذا جاء الرجل ليدخل قالوا: ضع سلاحك وامتر، واخرج من الباب الآخر، فيُذهب به إلى رأس الأساورة فيقتله، فيزعمون أن خيبري بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد – وهو مقاعس – قال: يا بني تميم ما بعد السلب إلا القتل، وأرى قوماً يدخلون ولا يخرجون، فانصرف منهم من انصرف من بقيتهم، فقتلوا بعضهم وتركوا بعضاً محتبسين عندهم. انتهى

غير أن لابن الأعرابي الذي كان من ضمن رواة هذا الخبر عن المفضل رواية أخرى فيها بعض اختلاف عن هذه الرواية،

---

[140] ربما تكون حرض، أو حمض.

[141] انظر مجمع الأمثال للميداني في قولهم: أصاب كنز النطف.

وذكرها له الميداني في كتابه مجمع الأمثال في شرح المثل (أجشع من أسرى الدخان) فقال: ذكر أبو عبيدة أنهم الذين كانوا قطعوا على لطيمة كسرى، وكانوا من تميم، وذكر ابن الأعرابي أنهم كانوا من بني حنظلة خاصّة، وان كسرى كتب إلى المكعبر (مردان به) عامله على البحرين أن ادعهم إلى المشقر وأظهر أنك تدعوهم إلى الطعام، فتقدم المكعبر في اتخاذ طعام على ظهر الحصن بحطبٍ رطب، فارتفع منه دخان عظيم، وبعث إليهم يعرض الطعام عليهم، فاغترّوا بالدخان، وجاءوا فدخلوا الحصن، فأصفق الباب عليهم، فغبروا هناك يُستعملون في مِهَن البناء وغيره، فجاء الإسلام وقد بقي البعض منهم، فأخرجهم العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر رضي الله عنه، فسار بهم المثل، فقيل فيمن قُتل منهم: (ليس بأول من قتله الدخان)، و (أجشع من الوافدين على الدخان)، و (أجشع من وفد تميم). انتهى نصاً

وهذه الرواية تنفي ما في رواية الكلبي من أن المكعبر قد هرب مع هوذة عند افتضاح الأمر، بل الصحيح أن بقية بني تميم هم الذين هربوا كما في هذه الرواية عن أبي عبيدة والمفضَّل، وكما يُستَشَفُّ من رواية الخطيب التبريزي الآتية بعد هذا.

رابعاً: رواية الخطيب التبريزي

وذلك في شرحه لاختيارات المفضّل الضَّبي المعروفة باسم المفضليات، وتعد من أدق الروايات التي وصفت الوقعة بالمشقّر، وذكرت بعض الأماكن القريبة منه مثل الجيّار التي

ذكرها ياقوت في معجمه البلداني، ولأجل ذلك نوردها بنصّها أيضاً حيث قال في شرح بيت عامر بن الطفيل المتقدم، وهو قوله:

صَبَرْتُ حِفَاظَاً[142] يَعْلَمُ اللهُ أَنَّنِي أُحَاذِرُ يَوْمَاً مِثْلَ يَوْمِ (الْمُشَقَّرِ)

فقال:[143]

(يوم المشقر يومٌ كان فيه بلاء وشرّ، والمشقر مدينة بهجر، وكانت بنو تميم وألفاف من القبائل قطعوا على لطيمة كسرى جاءت من قبل باذام من قبل اليمن، فلما صارت في أرض نجدٍ خفرها هوذة بن علي الحنفي، فعرض لها بنو تميم بموضع يقال له (نطاع)[144]، فأخذوا منها سيوفاً ومناطق ذهب وآنية جوهراً وعطراً.

وكان الزبرقان فيهم، وهو قوله:

اللهُ أَعْطَانِي وَأَنْعَمَ يَوْمَ زَوْمَلَةَ الأَعَاجِمْ

---

[142] سبق ووردت: " لكي لا " بدلاً من كلمة " حفاظاً " هنا.

[143] را. التبريزي، شرح اختيارات المفضل الصفحة ١٤٨٩ من طبعة دار الكتب العلمية-بيروت.

[144] قلت هذا هو الصحيح الذي يصحح ما اعترضنا عليه في رواية الكلبي المتقدمة من أن هوذة خرج باللطيمة من هجر إلى نجد فمرّ بنطاع، واستغربنا هناك أن يخرج هوذة باللطيمة من هجر قاصداً نجداً ويمر بنطاع التي تبعد عن طريق هجر إلى نجد بحوالي ١٥٠ ميلاً، ولكن هذه الرواية هنا تصحح خطأ تلك الرواية، فهوذة كان متجهاً باللطيمة من نجد إلى مشارف العراق لتسليمها إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وبالتالي فإن مروره بنطاع هو أمرٌ منطقي جداً، فنطاع كانت محطة استراحة للمسافرين من وسط الجزيرة العربية إلى العراق لما يتوفر بها من مياه للشرب ونخل وسكن، وهي لازالت بنفس الصّفة حتى اليوم، ويمرّ بها الشارع المؤدي من النعيرية إلى الصّحّاف.

ويـروى: " وغنّـم "، وزوملـة أبـل كثـيرة عليـها تجـارات، وادّعـى الفـرزدق أن صعصعـة بـن ناجيـة جـدّه كـان رئيـس القـوم فيهم في قولـه:

وَرَئِيْـسُ يَـوْمِ نِطَـاْعَ صَعْصَعَـةُ الَّـذِيْ حِيْنَـاً يَضُـرُّ، وكَـاْنَ حِيْنَـاً يَنْفَـعُ

ورئيسها من بـني سعد – يشك فيـه.

فمضـى الأسـاورة الذيـن كـانوا فيـها، وهـوذة معـهم، فأخـبروا كسـرى الخـبر، فكتـب إلى (جوانبـوذان) رجـل مـن أرض (شـير خُـرّة)، وكـان عاملـه علـى هجـر يـأمره أن يصفـق علـى مضـر، ووافق ذلـك جدبـاً مـن الزمـان، وكتـب إلى عُمّالـه علـى عـذار العـرب – وهو فصل مـا بـين العـرب والعجـم – أن يمنعوهـم الميرة.

وفتـح (جوانبـوذان) بـاب المشـقر، وأذن للعـرب في المـيرة، ومكـر بـهم، فجعـل يدخلـهم خمسـةً خمسـةً، وعشـرةً عشـرة، وأقـل وأكـثر يدخلـون مـن (بـاب السّـوق) علـى أن يخرجـوا مـن (بـاب جَيّـار)[١٤٥]، فكلمـا دخلـت قطعـة ضـرب أعناقـهم، فلمـا طـال ذلـك عليـهم يدخـل النـاس ولا يخرجـون بعثـوا فنظـروا إلى أبـواب

[١٤٥] جاء في معجم البلدان للحموي: جَيَّارٌ بالفتح ثم التشديد، وهي في اللغة الجـصُّ والصاروج، وهي أيضاً حَرٌّ في الصدر: وهو موضع بالبحرين كان عنده مقتل الحُطَم واسمه شُرَيح بن ضُبيعة بن شُرَحبيل بن عمرو بن مَرْثد بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بـن ثعلبة لما ارتدَّت بكر بن وائل في أيام أبي بكر، رضي الله عنه، و قال في رسم (حِواريـن): .. وقال الحفصي: حِوَارَيْن، بلفظ التثنية وكسر أوله، والجيّار قريتان بالبحرين، كأنه ضم الجيّار إلى حوار وسماهما حِوارَيْن.

المشقّر[146] فإذا هي مأخوذ بها ما خلا الباب الذي يدخلون منه، فشدّ رجل من عبس، فضرب السلسلة، فقطعها وخرج، وخرج من كان يليه، وأمر المكعبر وهو (جوانبوذان) – وإنما سُمي مكعبراً لكعبرته الرؤوس – بإغلاق الباب، ثم قتل من بقي في المدينة.

وكان كسرى حين قدم عليه هوذة أوجهه ونادمه وألبسه تاجاً من تيجانه ... وقَدُم – أي هوذة – على (جوانبوذان) يريد أن ينفذ إلى اليمامة يوم الصَّفقة، فكلم هوذة (جوانبوذان) في مائة من بني تميم، فوهبهم له وأعتقهم هوذة، وكانت الصَّفقة يوم فِصْح – أي يوم فطرهم[147] – فقال الأعشى:

سَائِلْ تَمِيْمَاً بِهِ أيَّامَ صَفْقَتِهِمْ ... إذْ بَايُعُوْهُ أسَارَىْ كُلُّهُمْ ضَرَعَاْ

خامساً: رواية ياقوت الحموي

وهي الرواية التي أوردها في معجم البلدان رسم (الصَّفقة) ومن الطريف أنه عدّ الصفقة موضعاً، والمعروف أن هذا اليوم سُمّي بهذا الاسم بسبب صَفْق باب المشقر على بني تميم فيه وقتلهم بداخله، وهو الذي اتفق عليه جميع المؤرخين، ومن ضمنهم ياقوت نفسه وفي هذا الخبر الذي ننقله عنه هنا، وإذاً فالصفقة ليست اسم موضع أو بلد بعينه، وعلى أية حال فقد ذكر ياقوت خبر هذا اليوم فقال:

---

[146] قوله: " أبواب المشقر " يدل على أنّه كان لهذا الحصن أكثر من بابين، وربما كان له أربعة أبواب في كل جهة أصلية باب.

[147] وزاد ابن الأثير في تاريخه في ذكر يوم الصفقة هذا، فقال: وكان يوم الصفقة وقد بُعثَ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، وهو بمكة بعد لم يهاجر.

(ويوم الصفقة: من أيام العرب، قالوا إنه أول أيام الكلاب وهو يوم المشقر، وسمي يوم الصفقة لأن باذام عامل كسرى على اليمن أنفذ لطيمة إلى كسرى أبرويز في خفارة هوذة بن علي الحنفي، فلما قاربوا أرض العراق خرجت عليهم بنو تميم وفيهم ناجية بن عفان[148] فأخذوا اللطيمة بموضع يقال له نطاع فبلغ كسرى ذلك فأراد إرسال جيش إليهم فقيل له: هي بادية لا طاقة لجيشك بركوبها ولكن لو أرسلت إلى ماجشنثت وهو المعكبر وهو بهجر من أرض البحرين لكفاهم، فأرسل إليه في ذلك فأطمع بني تميم في الميرة وأعطاهم إياها عامين، فلما حضروا في الثالثة جلس على باب حصنه المشقر وقال: أريد عرضكم علي، فجعل ينظر إلى الرجل ويأمره بدخول الحصن فإذا دخل فيه أخذ سلاحه وقتل ولم يدر آخر، ثم نذر أحد بني تميم بذلك فأخذ سيفه وقاتل به حتى نجا فأصفق الباب على باقيهم في الحصن فقتلوا فيه فلذلك سمي يوم الصفقة؛ قال الأعشى يمدح هوذة:

سَائِلْ تَمِيْمَاً بِهِ أَيَّامَ صَفْقَتِهِمْ ... لَمَّا رَآهُمْ أَسَارَىْ كُلُّهُمْ ضَرِعَاْ
وَسْطَ (المُشَقَّرِ) فِيْ عَيْطَاءَ مُظْلِمَةٍ ... لاْ يَسْتَطِيْعُوْنَ بَعْدَ الضَّرْبِ مُنْتَفَعَاْ
بِظُلْمِهِمْ بِـ (نِطَاْعَ) اَلْمَلْكَ إِذْ غَدَرُوْا ... فَقَدْ حَسَوْا بَعْدُ مِنْ أَنْفَاسِهَاْ جُرَعَاْ

---

[148] كذا وردت في طبعتي دار بيروت ودار الكتب العلمية، وهو تحريف "عقال" فهذا الرجل هو من أجداد الفرزدق الشاعر، والفرزدق اسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي، ولكنّ يبدو من بيت شعر الفرزدق المتقدم أنّ جدّه صعصعة هو الذي شهد يوم نطاع هذا وليس أبوه ناجية بن عقال.

أشهر المقتولين والمأسورين في يوم المشقر

١. مِحْجَنُ بنُ كثوَة التَّمِيْمِي

ذكره البلاذري في أنساب الأشراف، وذكر أنه قُتل يوم الصفقة بالمشقر.

٢. قَعْنَبُ بنُ يَزِيْدٍ الرِّيَاحِيْ التَّمِيْمِيْ

وقد مرّ في أخبار يوم المشقر فيما مضى، وفي كتاب أنساب الأشراف للبلاذري: وقتل قعنب يوم الصفقة بالمشقر اعتوره رجلان من بني شنّ،[149] فقتلاه.

٣. مَعْبَدْ بنُ سَعْنَةَ الهِلاْلِيْ التَّمِيْمِيْ

ذكره البلاذري في أنساب الأشراف، وقال أنه ممن حبس بالمشقر زمن الصفقة، فهلك هناك.

٤. رَبِيْعَةُ بنُ مَقْرُوْم بنِ قَيْسِ بنِ جَابرٍ الضَّبِّي

ترجمه ابن حجر في الإصابة، وذكر عن دعبل في طبقات الشعراء أنه ذكره، وقال عنه: مخضرم حبسه كسرى بالمشقر، ثم أدرك القادسية، وأنشد له في ذلك شعراً، ولم يذكر الشعر.

٥. قُرَّةُ بنُ نَصْر:

٦. حَزَنُ بنُ نَصْر:

٧. مَشْجَعَةُ بن نَصْر:

العدويون التميميون؛ قال ابن حجر في ترجمة قُرّة في الإصابة نقلاً عن أبي عبيد في حكاية يوم المشقر: كان ممن أسره المكعبر عامل كسرى على هجر في نوبة المشقر .. وكان ممن سلم من القتل قُرَّة وحَزَن ومَشْجَعة بنو نصر، فأرسلوا مع

---

[149] هم بنو شَنّ بن أفصى بن عبد القيس قبيلة عظيمة لها ذكر وشأن في التاريخ.

جماعة منهم إلى كسرى، فاستبقاهم، فجعلوا مشجعة خاطباً، وحزناً ترجماناً، فلما غزا المسلمون اصطخر خرجوا إلى المسلمين، فصاروا معهم.

٨. قَيْسْ

٩. عَمْرُوْ

اليربوعيان التميميان، وقد ذكرهما البغدادي في كتابه خزانة الأدب في شرح بيت متمم بن نويرة من قصيدته العينية، وهو قوله:

وَغَيَّرَنِيْ مَاْ غَاْلَ قَيْسَاً وَمَاْلِكَاً ... وَعَمْرَاً وَجُزْءَاً بِـ (المُشَقَّر) المْعَاْ

فقال: .. وقيس وعمرو رجلان من بني يربوع.

١٠. جُزْءُ بنُ سَعْدٍ الرِّيَاْحِيُّ التَّمِيْمِيْ

وذكره البغدادي أيضاً في خزانة الأدب مع قيس وعمرو اليربوعيين المتقدمين، وقال عنهم: وهؤلاء قتلهم الأسود بن المنذر يوم المشقر. انتهى

وقوله أنّ من قتلهما هو الأسود بن المنذر انفرد به البغدادي، ولم يكن الأسود صاحب يوم المشقر أو الصفقة.

أحداث أخرى شهدها المشقر:

١. **فتك سابور بأهل المشقر:**

وهو أقدم من يوم بني تميم بكثير، ولكن لكون أبي الفداء قد انفرد بذكر المشقر في هذا الخبر ولم نجد من يؤيده، ولكون وقعة بني تميم فيه هي الأبعد صدى، فقد ذكرناها قبله، وذكرنا هذه هنا، حيث قال أبو الفداء عن حملة الملك الفارسي سابور[١٥٠] على جزيرة العرب ما هذا نصُّه:

" وفي أيام صباه طمعت العرب في بلاده وخربوها، فلما بلغ سابور المذكور من العمر ست عشرة سنة، انتخب من فرسان عسكره عدة اختارها وسار بهم إلى العرب، وقتل من وجده منهم، ووصل إلى الحسا والقطيف، وشرع يقتل ولا يقبل فداء، وورد المشقر وبه أناس من تميم وبكر بن وائل، وعبد القيس، فسفك من دمائهم ما لا يحصى." [١٥١]

٢. **حرب الردّة (عام ١٢ للهجرة)**

جاء في كتاب فتوح البلدان للبلاذري: وقال غير هشام بن الكلبي أتى الحطم ربيعة وهو بجواثى وقد كفر أهلها جميعاً

---

[١٥٠] هو شاهبور الثاني حكم وهو ابن عشر سنوات، فكانت مدة حكمه طويلة جداً حيث بلغت ٧٠ سنة من ٣٠٩ – ٣٧٩ للميلاد، وقد حمل على جزيرة العرب حملة هائلة كان يخلع أكتاف كل من يأسرهم من العرب، ومن هنا سمّته العرب سابور ذا الأكتاف، وقد ذكر حملته هذه الطبري في تاريخه، ولكنه لم يذكر المشقر، وإنما ذكر بدلاً منها أنه دخل مدينة هجر.

[١٥١] المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء الصفحة: ٦٢

وأمروا عليهم المنذر بن النعمان فأقام معهم .فحصرهم العلاء حتى فتح جواثى وفض ذلك الجمع وقتل الحطم .والخبر الأول أثبت، وفي قتل الحطم يقول مالك بن ثعلبة العبدي:

تَرَكْنَا شُرَيْحَاً قَدْ عَلَتْهُ بَصِيْرَةٌ كَحَاشِيَةِ البُرْدِ اليَمَانِيِّ المُحَبَّر

البصيرة من الدم ما وقع في الارض.

وَنَحْنُ فَجَعْنَا أمَّ غَضْبَانَ بابْنِهَا وَنَحْنُ كَسَرْنَا الرُّمْحَ فِي عَيْنِ حَبْتَر

وَنَحْنُ تَرَكْنَا مَسْمَعَاً مُتَجَدِّلاً رَهِيْنَةَ ضَبْعٍ تَعْتَرِيْهِ وَأَنْسُر

قالوا :وكان المنذر بن النعمان يسمى الغرور فلما ظهر المسلمون قال: لست بالغرور ولكني المغرور .ولحق هو وفل ربيعة بالخط فأتاها العلاء ففتحها وقتل المنذر ومن معه، ويقال إن المنذر نجا فدخل إلى (المشقر) وأرسل الماء حوله فلم يوصل إليه حتى صالح الغرور على أن يخلي المدينة فخلاها ولحق بمسيلمة فقتل معه.

وقد مرَّ بنا في الفقرة (١٧) ذكر انهزام مسمع بن شيبان البكري والد مالك بن مسمع في حرب الردَّة بهجر، وموته هناك قتيلاً، ثم ما كان من محاورة شقيق بن ثور البكري لمالك بن مسمع حين قال له: إنما رفعك قبر بتستر، وردّ شقيق بقوله، وأنت فقد وضعك قبرٌ بالمشقر، ومنه يتضح أنّ مسمع بن شيبان والد مالك مدفون في مدينة المشقر.

٣. حزب الخوارج (٧٢ - ٧٤ للهجرة)

كان الخوارج بقيادة أبي فديك عبد الله بن ثور بن ثعلبة أحد بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل، والذي احتل البحرين واتخذ من (جواثى) مقراً له فيها، وقد سار إليه من

العراق القائد الأموي عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي القرشي في عشرة آلاف مقاتل، فأوقع بأبي فديك وقعةً تُعدُّ من أشد الوقعات على الخوارج إذ بلغ عدد القتلى فيها منهم ٦٠٠٠ آلاف قتيل، والأسرى ٨٠٠ كما في البداية والنهاية لابن كثير ونهاية الأرب للنويري.

وقد ذكر هذه الوقعة أكثر من مؤرخ إلا أنّ أوفى من استقصاها وذكرها بتفصيل نادر هو البلاذري في كتابه أنساب الأشراف، ولأهمية الوقعة وذكر هجر والمشقر فيها وبعض أعلام المواقع في البحرين، فقد رأينا أن نذكرها كاملةً، وهذا نصُّها:

قالوا: ولما خالف نجدة بن عامر من خالفه من أصحابه، ولّوا أمرهم أبا فديك عبد الله بن ثور، وكانوا بايعوا قبله ثابتاً التمّار، وكانت أخته عند أبي فديك، ثم قالوا لا يقوم بأمرنا إلا رجلٌ من العرب، وجعلوا الاختيار إليه فاختار لهم أبا فديك.

فلما ولي خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد[١٥٢] البصرة وجّه أخاه أمية بن عبد الله إلى أبي فديك وهو بالبحرين، فهزمه أبو فديك وفضحه، فقال الفرزدق:

جَاءُوْا عَلَىْ الرِّيْح أوْ طَارُوْا بِأَجْنِحَةٍ　　　سَارُوْا ثلاثاً إلىْ الجَلْحَاْءِ[١٥٣] مِنْ (هَجَراْ)

حدثنا أبو خلف بن سالم المخزومي؛ ثنا وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عمّه مصعب بن زيد ومحمد بن أبي عيينة قالا: خرج أبو فديك بالبحرين، فلقيه أمية بن عبد الله،

---

[١٥٢] بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

[١٥٣] الجلحاء هذه كانت تقع على فرسخين من البصرة. انظر معجم ما استعجم للبكري.

فهزمه، فركب أمية فرساً له جواداً كان يقال له المهرجان، فدخل البصرة عليه في ليلتين أو ثلاث، فقال يوماً وهو بالبصرة: لقد سرت على المهرجان إلى البصرة فدخلتها في ليلتين أو قال ثلاث، فقال له بعضهم: هذا المهرجان، فلو ركبت النوروز لم تسر ليلةً حتى تدخلها.

قالوا: خرج أبو فديك بالبحرين، فبعث إليه خالد أخاه أمية فهُزِم، فبعث إليه عمرَ بن عبيد الله بن معمر فقتله[١٠٤]، وقالوا هَزَم أبو فديك أمية، وهزم قطريٌّ[١٠٥] عبدَ العزيز بن عبد الله[١٠٦] بالأهواز بعد ذلك وفضحه، فقال الفرزدق:

وَكُلُّ بَنِي السَّوْدَاْءِ قَدْ فَرَّ فَرَّةً ... فَلَمْ تَبْقَ إلاّ فَرَّةٌ عِنْدَ خَاْلِدِ
فَضَحْتُمْ قُرَيْشَاً بِالفِرَاْرِ وَأَنْتُمُ ... لَدَىْ الحَرْبِ أَنْكَاْسٌ قِصَاْرُ السَّوَاْعِدِ

قال الهيثم: هَزَم أبو فديك أميةَ بن عبد الله، فندب عبد الملك عمر بن عبيد الله بن معمر، وضمَّ إليه عبد الرحمن بن عضاه الأشعري، ومعه وجوه أهل الشام، وقدم الكوفة، فأجلسه بشر على سريره وأكرمه، فسار فواقع أبا فديك فانهزم أهل البصرة، وقاتل في أهل الشام والكوفة، فقتلَ أبا فديك.

وكان لقاءه إيّاه بالبحرين، وكان أبو فديك في اثني عشر

---

[١٠٤] وسيأتي أنّ الذي أرسل عمر هو عبد الملك بن مروان كما سنرى.

[١٠٥] هو أبو نعامة قطري بن الفجاءة التميمي ثم المازني، البطل المشهور، رأس الخوارج. خرج زمن ابن الزبير، وهزم الجيوش، واستفحل بلاؤه. جهز إليه الحجاج جيشا بعد جيش فيكسرهم، وغلب على بلاد فارس، وله وقائع مشهودة، وشعر فصيح سائر.

[١٠٦] بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أخو خالد وأمية.

ألفاً، وكان على جند البصرة عبّاد بن الحصين، ونُصِبَ رأس أبي فديك في رحبة البصرة.

.. المدائني عن أشياخه قالوا: بويع عبد الله بن ثور ابو فديك أحد الحرقيين، والحرقيان: تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة بن عكابة سنة إحدى وسبعين، فأقام باليمامة ستّة أشهر، ثم فتك به مسلم بن جبير، وهو من أهل الحجاز لمخالفته إيّاه في رأيه، وقوله بقول نجدة، فوجأه اثني عشرة وجأة، وقال:

وَخَالَفْتُ قَوْمِيَ فِيْ دِيْنِهِمْ ... خِلافَ صَبَاْ الرِّيْحِ جَاْءَتْ جَنُوْبَاْ

أرَجِّيْ الإلَهَ وَغُفْرَانَهُ ... وَيَرْجُوْنَ دِرْهَمَهُمْ وَالجَرِيْبَاْ

فقُتِلَ مسلمُ، وحُمل أبو فُديك فبرئ من جراحاته، وقيل لأبي فُديك: لا خير لك في المقام باليمامة مع بني حنيفة لأنّا لا نأمنهم عليك، فخرج أبو فديك إلى البحرين، فأقام بـ (جواثى)[157]، فوجّه إليه مصعب بن الزبير محمدَ بن عبد

[157] هي قرية معروف موضعها مشهور حتى اليوم، وهو يقع إلى الشمال من جبل الشبعان (القارة) بخمسة كيلومترات تقريباً، وقد كانت في السابق إحدى قصبات البحرين على الإطلاق، ومسجدها نال شهرةً كبيرة باعتباره ثاني مسجد أقيمت فيه الجُمُعة بعد مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي عام ٢٨٦ للهجرة كان سيد جواثى العريان بن إبراهيم الربعي العبدي، وهو الذي ذكره المسعودي في كتابه التنبيه والأشراف عند ذكره لخبر استيلاء أبي سعيد الجنابي مؤسس دولة القرامطة في البحرين، ولكن المسعودي سَمّاه العُريان بن الهيثم الربعي، وكلمة "الهيثم" تحريف لكلمة "إبراهيم" لا ريب إن لم يكن ذلك تطبيعاً من النُّساخ، وقد ذكر

الرحمن الإسكاف، فقال أبو فديك: يا معشر المسلمين إنّ الله قد أذهب عنكم نزغ الشيطان وأنقذكم من فتنة نجدة، وصيّركم إلى أنصاركم، فأنتم تناضلون عن دين الله، أو ما سمعتم ما أعد الله للمجاهدين في سبيله حين قال: "والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبلنا وإن الله لمع المحسنين" فمن كان الله معه فهو المفلح المنجح، وقال: "ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله

شارح ديوان ابن المقرَّب العُريانَ بن إبراهيم هذا ورفع نسبه إلى بني عامر بن الحارث من عبد القيس، وذلك في شرح القصيدة التي أولها:

كم بالنهوض إلى العُلا تعداني ... ناما، فما لكما بذاك يدان

حيث جاء في شرح أحد أبياتها وهو قوله:

إني لأخشى أن تلاقوا مثلما ... لاقى بنو العياش والعُريان

.. والعُريان رئيس بني مالك، وهو العريان بن إبراهيم بن الزحّاف بن العريان بن مورق بن رجاء بن بشر بن صهبان بن الحارث بن وهب بن عُصْبة بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث. انتهى

وعامر بن الحارث هؤلاء قبيلة عظيمة من عبد القيس، وهم بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

والأرجح أنّ هذا الزعيم ربما يكون قد قُتل من قبل أبي سعيد الجنابي، وقد فصّلنا بعض أحوال هذا الزعيم في تحقيقنا لديوان ابن المقرَّب الصادر حديثاً فليراجعه من أراد الاستزادة.

وأما جواثى فقد خربت منذ مدة طويلة بسبب تعاقب الحروب عليها كما في هذه الحرب وغيرها، ثم بسبب انثيال كثبان الرمال الجارفة عليها في الأزمنة المتأخرة، وقد أزيحت هذه الرّمال في الآونة الأخيرة عن بقايا أطلال هذه المدينة، فبان مسجدها المبارك الذي بقي محتفظاً بمحرابه، وبان معه بعض مباني هذه المدينية العتيدة.

أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزقون" فاشرُوا أنفسكم تنالوا الفوز كما وعدكم، واصبروا وصابروا ورابطوا واتّقوا الله لعلكم تفلحون، وإياكم والفرار من الزحف فتبوؤا بسخط من الله ويحل عليكم غضبه، ثم ناهضهم.

وكان البصريون يرون أنّ ابن الإسكاف إذا عاين أبا فديك قتله، فلم ينتصف النهار حتّى انهزم البصريون، ومضى ابن الإسكاف منهزماً.

وأقام أبو فديك بالبحرين، وسار مصعب إلى الكوفة، وتشاغل بأمر عبد الملك ولقائه، فجمع زياد بن القُرشي جمعاً من أهل البحرين ومن أهل البصرة، ولقي أبا فديك محتسباً، فقال له السائب بن الأخرس من ولد اللبؤ[١٥٨] بن عبد القيس: ويحك يا ابن القرشي لا تخرج إليهم، فأبى وسار إليهم، فلقيه

---

[١٥٨] لم أجد ترجمةً للسائب بن الأخرس اللبؤي هذا، ولكن قبيلته اللبؤ بن عبد القيس حيٌّ عظيم ذكرهم محمد بن السائب الكلبي في كتابه جمهرة النسب، وقال أنهم بالموصل وتوّج كثير، وجاء في شعر ابن المقرب ما يثبت أن منهم مَنْ كان يسكن البحرين ديار عبد القيس المعروفة بهم في عهده، وذلك في قوله يستنهض قبائل الأحساء وبطون عبد القيس لحرب البدو:

وفي (حارثٍ) و (اللبو) غرٌّ غطارفٌ   يبرُّ على الخصم الألدِّ خصامها

وقد علّق الشارح هناك بقوله: يعني الحارث بن عوف بن عامر بن الحارث، واللبؤ بن عبد القيس.

راجع شرح ديوان ابن المقرَّب بتحقيق الكاتب وزميليه علي البيك وعبد الغني العرفات.

عمارة الطويل، وهو عمارة بن عقبة بن مليل، وعمير بن سلمي من ولد زيد بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة، فقُتل ابن القرشي، وتفرق أصحابه، فقال الشاعر:

تمتع قبل جيش أبي فديكٍ … وقبل عمارة الرجل الطويل
أغرّ سميدع يمشي إذا ما … تتابع مشية الجمل الصؤول
وقبل الطير ينهش لحم قوم … بمعترك البيانق والخيول
وقبل معرس لا شك فيه … سينأى بالخليل عن الخليل
فما لك حين تقطع صرّتاج … إلى البيض العباهر من سبيل
لقاء الأسد أهون من لقاءٍ … به التحكيم يُشهر بالأصيل

قالوا: وقُتل مصعب في سنة اثنتين وسبعين، وقدم خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص والياً على البصرة من قبل عبد الملك، فوجّه أخاه أمية بن عبد الله في سنة ثلاث وسبعين إلى أبي فديك في اثني عشر ألفاً وأبو فديك في سبعمائة، فلما تواقف الجمعان وتراءيا؛ قال أبو فديك: قد ترون عدوكم، والقليل المنصور خير من الكثير المخذول، فاستنصروا ربكم واصبروا لعدوكم.

فاقتتلوا ثم تحاجزوا على السواء، ثم عاودوا القتال فقاتلوهم حتى زالت الشمس، فكمن لهم ثابت التمّار في مائة، واستطرد الخوارج، وأتبعهم أمية، فلما جاوز موضع الكمين خرجوا عليهم وهم يحامون من خلفهم، وكرَّ أبو فديك وأصحابه، فصبر البصريون ساعة ثم انهزموا، وصرع أمية، فحماه عون بن عبد الرحمن بن سلامة التيمي، وحوى أبو فديك عسكرهم.

ومضى أمية والناس منهزمين إلى البصرة، وأصاب أمية في

طريقه ضُرّ، ولم يجد طعاماً، فلقي أعرابياً، فقال له عون: ما معنا دراهم، ولكني أعطيك درعي هذه وتبيعني ناقتك؛ قال: لا أب لك؛ أتراها تساوي ناقتي؟ قال: والله لهي خير منك ومن أبيك ومن ناقتك، فأخذ الدرع ونحروا الناقة، فأصابوا منها، فأكثر أمية الأكل، فقال عون: ألم ينهك الطبيب عن لحم الجزور؟ قال: ويحك اسكت، فليس هذا بموضع مزاح.

فلما قدموا البصرة لزم أمية بيته استحياءً من الناس حين هُزم وفَرّ، فأتاه خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم التميمي، فقال: الحمد لله الذي خار لنا عليك، ولم يخر لك علينا؛ أما والله لقد كنت حريصاً على الشهادة طالباً لها، ولكن الله أبى إلا أن يزين بك مصرنا ويؤنس بك وحشتنا، ويجلوا بك غمّنا.

وقال الفرزدق يذم أمية:

أميَّ هلاّ صبرت النفس إذ جزعت ... فتُبليَ الله عُذراً مثل من صبرا
طاروا سراعاً وما سلّوا سيوفهم ... وخلفوا في (جواثى) سيدي مضرا
ساروا على الرّيح أو طاروا بأجنحةٍ ... ساروا ثلاثاً إلى (الجلحاء) من (هجرا)
لو كنتَ إذ جشأت ربَّطْتَ جرونها ... ولم تولّهم يوم الوغى الدُّبُرا

يعني بسيدي مضر: عبد الله بن الحشرج الجعدي، والحارث بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب؛ ارتثّ بـ (جواثى) فحُمل إلى البصرة، فمات بها ودفن، ويقال بل مات هناك، فحمل في صندوق إلى البصرة.

وقال بعض الشعراء:

يوما بني خالدٍ يومان قد فضحا ... يومٌ بفَسَّا، ويومٌ كان في (هجرا)

وقال آخر لأمية:

أما القتال فلا أراك مقاتلاً ... ولئن فررت ليعرفن الأبلق

وقال أبو الحسن علي بن محمد المدائني وغيره: بلغ عبد الملك أمر أمية بن عبد الله، فقال لعمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب بن تيم بن مرّة، وهو عنده: اكفني أبا فديك؛ فقال: لا يمكنني، فقال عبد الملك: والله لتسيرن إليه؛ قال: والله لا أفعل؛ قال: فارفع حسابك لفارس وصححه؛ قال: نعم، وقام، فاتبعه روح بن زنباع الجذامي، فقال: يا أبا حفص تردُّ على أمير المؤمنين، ويقسم فتقسم!!؛ قال: يا أبا زرعة إنّ أخاه بشراً بالكوفة وابن عمّه خالد بن عبد الله بالبصرة، وهما حائلان بيني وبين ما أريد من النخبة، وإن يندبا معي إلا ضعفة الناس من لا يحامي على دين ولا حسب، فإن صبرت قُتلتُ ضيعةً، وإن انحزت افتضحت.

فرجع روح إلى عبد الملك بقول عمر، فأرسل إليه عبد الملك فردّه، وقال: يا أبا حفص؛ لو رأيت بين عيني أمير المؤمنين وتداً أما كنت نازعه وواقياً أمير المؤمنين مكروهه؟ قال: بلى والله يا أمير المؤمنين بنفسي وأهلي ومالي؛ قال: فإنّ أبا فديك وتد بين عيني، فاكفني أمره؛ قال: نعم إن أعفيتني من عَنَت بشر وخالد؛ قال: فليس لأحد عليك سلطان في بلد تنزله، وليس لك أن تصلي بالناس ولا تجبي الخراج، وأنت مسلط على الدواوين، فانتخب من شئت وكم شئت، وكتب له بذلك إلى بشر، فسار حتّى قدم الكوفة على بشر، فأكرمه وأقعده معه على السرير، وقال: والله لو لم يكتب إلي أمير المؤمنين بما

كتب فيك لقويت، فهذه الدواوين فانتخب من شئت، وهذا المال فأعطهم، فانتخب من كل ربع ألفين، وأعطاهم أعطياتهم، فلم يكلمه بشر في تخليف أحد، وقال لهم: سيروا إلى البصرة، واستعمل عليهم محمد بن موسى بن طلحة بن عبيد الله.

وساروا، وتزوج عمر بالكوفة عائشة بنت طلحة، فأقام عندها أياماً، ثم اتبع محمد بن موسى، وحمل معه عائشة، فقدم البصرة، وأوصل كتاب عبد الملك إلى خالد، وانتخب من أهل البصرة ثلاثة عشر ألفاً، فكلمه خالد في قوم ليخلفهم، فأبى ذلك، فمنعه خالد الديوان، فقال بيهس بن صهيب الجرمي: إنّ بشر بن مروان لم يكلمه في تخليف أحد، وهو أخو أمير المؤمنين، ولم يطمع في ذلك، فقال: إنّه لم يدع لي محدّثاً ولا سميراً، فكفّ خالد حتّى استكمل ما أراد، فقال العجاج:

لقد سمى ابن معمر لما اعتمر ... مغزىً بعيداً من بعيدٍ وصَبَرْ
في نخبة الناس الذي كان افتخر ... ثلاثةً وستةً واثني عشر
ألفاً يجرون من الخيل العَكَر

فقال عمر بن عبيد الله: لا حول ولا قوّة إلا بالله.

وكان المهلب[١٥٩] بالبصرة قد عزله خالد عن قتال الأزارقة، وولى قتالهم عبد العزيز أخاه، فأثبته عمر فيمن يخرج معه،

[١٥٩] هو المُهلّب بن أبي صفرة الأزدي، فارسٌ مشهور كان له باعٌ طويل في حرب الخوارج، ولأبنائه ذكرٌ وصيت وحروب في أيام الدولة الأموية.

وأثبت عبّاد بن الحصين[١٦٠]، فقال له المهلب: إني رمد العين، فاختر أي بنيّ شئت ليخرج معك واعفني؛ قال: لا.

وعسكر عمر؛ وأخذ الناس في الجهاز، وأعطاهم أعطياتهم، ورأى المهلب، فقال له: مُرْ ابنك المغيرة بالتجهّز والخروج مكانك فإنّ أهل مصرك محتاجون إليك يا أبا سعيد.

وبعث خالد إلى عمر بمال، فقال: اقسمه في فرسانك، فقسمه فيهم، وفضّل المغيرة بن المهلب، وقال: أما والله لأربحن عليه ربحاً رغيباً.

فتجهز الناس بجهاز حسن وأداة كاملة، وخرجوا إلى المعسكر بالنّحيت[١٦١]، وخرج المغيرة في ثلاثين مجففاً فعرضهم عمر، فجاءه الصّلتان العبدي[١٦٢]، فقال: حاجتك؟ قال: أنشدك؛ قال: إياك أن تكلمني في أن أعفي أحداً من وجهه

---

[١٦٠] عباد بن الحصين بن يزيد بن عمرو الحبطي التميمي، أبوجهضم: فارس تميم في عصره؛ ولي شرطة البصرة أيام ابن الزبير، ثم كان مع أخيه مصعب أيام قتل المختار، وشهد فتح (كابل) مع عبد الله ابن عامر، ورحل إليها، فقتله العدو هناك.

[١٦١] جاء في معجم ما استعجم للبكري في رسم (الشباك): .. قال المفجع: إذا جاوزت النّحيت من أرض البصرة، وصرت بين الأحواض وأنقاء الطوى، فهناك الشباك. انتهى

وفي رسم (المسْلَهِمّة) من المصدر نفسه: .. وكان يقال للشبكة التي بجنب النحيت شبكة المحضر، والنحيت: من قرى البصرة الدانية.

[١٦٢] أحد شعراء عبد القيس المشهورين، وجاء في إكمال الكمال لابن ماكولا ج ٧ ص ٧١ :الصلتان العبدي أحد بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس قال أبو عبيدة اسمه قثم بن خبية شاعر مشهور.

هذا؛ قال: ما كنت لأرغب بأحد عنك؛ قال: هات؛ فأنشده:

لـن يعـدم الخـابط المؤمـل إنْ حَـلَّ بـدار ابـن معمـر ورقـا
لا يخلـف الوعـد حـين تسـأله ولا يُـرى عابسـاً ولا غلقـا

في أبيات، فقال: حاجتك؟ قال: ما تركت لي حاجة غير صحبتك، قال: ما أرغبني في أن تصحبني، ولكني أكره أن أعرضك، فقال الصَّلتان:

رأيـت صـروف الدهـر ليـس يفوتـها صغـيرٌ ولا ذو حنكـةٍ يتفكـرُ
فكم من شجاع طاول الدهر قـد نجـا ومـن حـائدٍ عـن عمـره لم يعمـر

قال صدقت، وأمر له بأربعة آلاف درهم، وحمله على فرس، وأعطاه سلاحاً. وصيّر عمرُ بن عبيد الله على أهل الكوفة جميعاً - وهم ثمانية آلاف -: محمدَ بن موسى بن طلحة، وعلى ربع أهل المدينة: بشرَ بن جرير بن عبد الله البجلي، وعلى ربع كندة وربيعة: إسحاق بن الأشعث، وعلى ربع تميم وهمدان: محمد بن عمير بن عطارد، ويقال مطر بن ناجية، ويقال عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وعلى ربع مذحج وأسد: زياد بن النضر الحارثي وابنه، ويقال زحر بن قيس الجعفي، وكان على جماعة أهل البصرة: عمر بن موسى بن عبيد الله بن معمر، وعلى خمس أهل العالية: سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي، ويقال السدوسي، وعلى تميم: عباد بن الحصين، وإليه الخيل كلها.

وعلى عبد القيس: الحَكَمُ بن مُخَرِّبَة[١٦٣]، وعلى الأزد:

[١٦٣] لم تقع لي ترجمة مفردة لهذا الزعيم العبدي الذي ذكر البلاذري في موضع آخر من كتابه هذا أنه قُتل في وقعة مسكن بين الحجاج وابن الأشعث، وكان مع ابن الأشعث،

ويبدو أنّه شقيقُ المثنى بن مُخَرِّبَة العبدي أحد زعماء التوابين كما في تـاريخ الطـبري، وأن أباهما هو الصحابيُّ مُخَرِّبَةُ العبدي، واسمه كما ذكر ابن سعد في طبقاته (١ : ٣٥١) مدرك بن خوط وذكر أنه هو الذي طلب من الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – أن يبعثـه إلى أهل عمان ليدعوهم للإسلام فوجهه إليهم، ولكن الكلبي أسماه في جمهرة النَّسب عند ذكر ابنه المثنى (الصفحة٥٩٣) باسمه مُخَرِّبَة وليس مدركاً وسمَّى أباه حوطاً وليـس خوطـاً كمـا عند ابن سعد، وأما الفيروزابادي فقد وافق على ما يبدو ابن سعد حيـث قـال في القـاموس المحيط: ومُخَرِّبَة كمُحَدِّثِة: مدرك بن خوط الصحابي وإن كان يُحتمل التصحيف لدى أيٍّ منهم في اسم أبيه، إلا أنني وجدتُ البلاذري في موقع آخر من كتابه أنساب الأشراف هذا قد ذكر المثنى في أحداث وقعة الجمل فسمَّاه المثنى بن محربـة – بالحـاء غـير المعجمـة – وذكر أنّه قدم على أمير المؤمنين علي – عليه السلام – في الرَّبَـذة عنـد توجهـه إلى العـراق فأخبره بمقتل عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة العبدي على أيدي طلحـة والزبـير، وقـد ذكر البلاذري عن أبي اليقظان سبب تسمية والد المثنى بمحربة، فقال: وقال أبو اليقظان: هو المثنى بن بشير بن محربة، واسم محربة مدرك ابن حوط ، وإنما حربته السلاح لكـثرة لبسه إياه، وقد وفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم. انتهى

ويفهم منه أنّ المثنى يكون حفيداً لمخرِّبة أو محربة وليس ابناً له، وهو ما لم يقل بـه غيره كالكلبي الذي يُعدُّ عمدة النسابين ومرجعهم، وقد رفع الكلبي نسب مُخَرِّبة إلى شـنّ بن أفصى بن عبد القيس، فقال عنه أنّه مخربة بن حوط بن يثربي بن عبـد الله بـن عـائذ بن أغواث بن الحارث بن مازن بن عمرو بن الجعيد بن صَبرة بن الدِّيْل بن شَنٍّ بن أفصـى بن عبد القيس.

وبقي أن نذكر أنّ أصحاب كتب الحديث وتراجم الصحابة قد ذكروا تاجراً بزّازاً من عبد القيس من أهل هجـر في زمـن الرسـول – صلـى الله عليـه وآلـه وسلم – واختلفـوا في تسميته فمنهم من سمّاه مخرمة العبدي ومنهم مـن سمـاه مخرفـة العبـدي وآخـرون سمَّـوه مخرقة العبدي حيث ذكروا أنه كان شريكاً لسويد بن قيس العبـدي وأنـهما كانـا يجلبـان البز من هجر إلى مكة، وأنّ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – اشـترى منـهما، ولعـل

المغيرة بـن المـهلب.

.. قـالوا: وسـار بالنـاس، فلمـا نـزل (الوفـراء)[164] وجّـه خمسـمائة فـارس، وبعـث معـهم الفعلـة، وقـال: احفـروا لي خندقـاً فـإذا فرغتـم فـأعلموني، فتقدمـوا فحفـروا لـه خندقـاً وأعلمـوه، فـارتحل فـنزل الخنـدق، وقدمـهم ليحفـروا في المـنزل الآخـر خندقاً[165]، فلم يـزل يصنـع ذلـك وتحفـر لـه الخنـادق وينزلهـا حتـى

مخرمة أو مخرفة أو مخرقة هذا هو مخربة الصحابي المذكور هنا والد الحكم والمثنى، والله أعلم.

[164] لم تزل الوفراء محتفظةً باسمها حتى الآن في المنطقة، وهي اليوم داخـل أراضـي دولة الكويت، وتقع إلى الجنوب من الكويت العاصمة بـ ٨٠ كلم تقريبـاً، ويبـدو مـن هـذا الخبر أنها كانت محطة استراحة للمسافرين بين العـراق والبحريـن. وقـد أكّـد ذلـك ابـن المقرَّب العُيوني عندما ذكرها في شعره من قصيدته القافيّـة الـتي مـدح بـها الملـك الأشـرف الأيوبي فقال فيها ذاكراً لها وبعـض المواضـع الـتي تقـع في جهتـها مثـل كظيـم (كاظمـة) والغضي ويشير إلى الإبل، ويطلب من مرافقيه عدم المرور بـهذه المواضـع حتـى ولـو مـاتت عطشاً:

وَعَدُّوْا وُرُوْدَاً عَـنْ (كُظَيْـم) وَنَكِّبُـوْا ... (غضيًا) فَمَاْ بالنَّوْم تُطْوَىْ السَّـمَاْلِقُ
وَلاْ تَـرِدُوْا إلاّ الْتِقَاْطَـاً، وَلَـوْ أتَـىْ ... ظَمَاْهَـاْ عَلَـىْ أجَرَاْمِـهَاْ وَالوَدَاْئِـقُ
فَإِنْ هِيْ إلَىْ (الوَفْرَاْءِ) تَاْقَتْ فَـإِنَّنِيْ ... إلَىْ مَوْرِدٍ عَـذْبٍ بِـ (حَـرَّاْنَ) تَـاْئِقُ

[165] إنّ هذا التصرُّف من هذا القائد يدلُّ على حنكـة حربيـة كبـيرة لديـه، لأنّ هـذه الأراضي التي بين البصرة والبحرين كان يسـكنها بعـض قبـائل العـرب المشـهورة بالسـطو والبطش من تميم وضبة وعامر بن صعصعة، ولطالما بيَّتت هـذه القبـائل القوافـل والجيـوش التي كانت تحلُّ في تلك الأراضي، وكـانت تفعـل ذلـك في آخـر الليـل حيـث تكـون هـذه القوافل والجيوش غاطّةً في سبات عميق مما يحدث البلبلـة والفوضـى فيـها عنـد سماعـهم

حتى أتى (هجر) ونزل (جواثى) في خندق، وأبو فديك بالمشقر[١٦٦] في جمع كثير من الأعراب كانوا ضووا إليه بعد هزيمة أمية، فقال أبو فديك لأصحابه: قد أتاكم هؤلاء القوم فمن أحب لقاء الله فليقم، ومن أراد الدنيا فليذهب حيث شاء فهو في حلّ، فتفرقوا عنه، وبقي فيما بين التسعمائة إلى الألف، وعمر في أحد وعشرين ألفاً.

وقال رجل لأبي فديك: إن عطية بن الأسود بريء من نجدة، فإن كنا مخطئين فنجدة محق، وإن كنا محقين فعطية لنا ولي فما تقول؟ قال: ليس هذا يوم نظر؛ عدُوُّنا قد نزل فنجتمع على حربه حتى يحكم الله بيننا، ثم ننظر فيما سألت عنه؛ قال: فعلام أسفك دمي؟ ولحق باليمامة.

لصياح الفرسان وزعقاتهم، وكان غاية هذه القبائل هو سلب ما لدى هذه القوافل والجيوش من أنعام وأموال وماشية أكثر من القتل الذي لا يتورعون عنه أيضاً فيما لو رأوه محققاً لرغبتهم في السلب، وهذه الأعمال كانت تفتُّ في قوّة أي جيش يتعرض لهجومهم وتنشر الذعر في نفوس أفراده كما حدث لجيش القائد العباسي كجكينا عندما قصد هذه المنطقة لمحاربة أهل البحرين وذكرها مفصلةً شارح ديوان ابن المقرَّب كما في طبعتنا المحققة والصادرة حديثاً، ومن هنا ندرك مدى الذكاء الذي كان يتمتع به هذا القائد عمر بن عبيد الله بن معمر عندما كان يأمر بحفر خندق له ولجيشه في كل محطة استراحة يصلها في طريقه إلى هجر لتقيه مثل هذه الهجمات المحبطة.

[١٦٦] لقد مرَّ بنا فيما سبق أنّ أبا فديك قد سكن في جواثى أول نزوله هجر، ولكن يبدو أنّه أدرك بعد أن كسر الجيوش السابقة التي أتته أنَّ المُشقَّر أشدّ تحصيناً وأفضل استراتيجيةً للدفاع من جواثى، خصوصاً وأنّ حصن المشقر يقع على تلٍّ عالٍ يشاهد مَن يرقاه كل حركة لجيش أو جماعة تقصد هجر بعكس جواثى الذي كان حصناً أرضيّاً وتكمن حصانته في متانة سوره الذي ثبت مع الوقت أنّه غير كافٍ لردع الجيوش الغازية.

وجعل عمر على الحرس: عَبَّاد بن الحُصين الحبطي، فخرج ليلةً، فتلقاه المغيرة بن المهلب، فقال عباد: من هذا؟ وقال المغيرة: من هذا؟، فضربه عباد فشجّه، فقيل له: هذا المغيرة، فكفَّ عنه، فغضبت الأزد للمغيرة، ولبسوا السلاح، فجاء رجل من هناءة من الأزد، وكان متألهاً، فقال له رجل من قومه: اتّقِ الله، فقال: اغرب؛ تقول لي اتق الله وقد ضُرب ابن المهلب؟!.

وبلغ عباداً، فقال: أعلى هذه الحال، ونحن بإزاء العدو، ولئن كانت بيننا صيحة ليهلكن هذا الجيش، فمشى إلى المغيرة، فاعتذر إليه، ويقال إنه إنما كان هذا أيام مايرنا بنهر تيرى وهم يقاتلون الأزارقة، وضرب عباد المهلب فغضبت الأزد، والأول أثبت.

وأقام عمر بن عبيد الله ثلاثة أيام ثم أتاهم أبو فديك، فنزل بإزائهم، وخندق خندقاً دون خندق[١٦٧]، وخرج عمر من معسكره

---

[١٦٧] لقد مرَّ بنا قبل قليل أنَّ عمر بن عبيد الله نزل في جواثى، وأنّ أبا فديك كان بالمشقر الواقع بالقرب من جبل الشبعان (القارة)، فهذا يعني أنَّ أبا فديك قد قصد معسكر عمر بن عبيد الله في جواثى من جبل الشبعان (القارة)، وجواثى تقع إلى الشمال من جبل الشبعان هذا بينهما خمسة كيلومترات ونصف تقريباً مما يعني أنَّ حربهم قد وقعت إلى الجنوب من جواثى في البريّة، وفي تلك الناحية يوجد موضع قديم به عين ماء عذبة يُعرف اليوم بالصُّويدرة، ولعله هو المكان القديم الذي ذكره البلدانيون العرب باسم الصادر (انظر رسمها في معجم البلدان للحموي)، وقالوا أنه من قُرى بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بالبحرين، وقد مرَّ بنا أيضاً أنّ جواثى كان بها العُريان بن إبراهيم من بني عامر هؤلاء، فأغلب الظنّ أنّ أبا فديك قد خرج من

ينظر ومعه رجلان من بني حنيفة[168]، فلقوا رجلاً من أصحاب أبي فديك، فحملوا عليه فقال: سبحان الله أما تستحيون؟ ثلاثةٌ على فارسٍ واحد؟! ليبرز إليَّ رجلٌ رجلٌ، فبرز إليه أحد الحَنَفيَّيْن فلم يصنع شيئاً، وطعنه الخارجي فقتله.

وخرج إليه عمر بن عبيد الله بنفسه، فوقف له الخارجي، فلما دنا منه وحشه بالرمح، ثم ضربه بالعمود على رأسه، فصرعه، ونزل إليه فأجهز عليه.

ورجع عمر إلى أصحابه، فقال: ما يئست من الحياة قط إلا يومي هذا فدفع الله، رأيت الحنفيين جميعاً قد أحسنا القتال، وطعناه فلم يصنعا شيئاً، فعلمت أنّ على جسده شيئاً يقيه الطعن، فقلت لا يقتله إلا العمود، فلما قتلته نظرت فإذا عليه سنون.[169]

فلما كان اليوم الرابع من مقام عمر قال أبو ماعز الحارثي: لو خرج منا إلى هؤلاء القوم فوارس فذاقوهم، فخرج أبو ماعز في ثلاثمائة فارس حتّى أتى خندق أبي فديك، فأشرفوا عليهم، فخرج إليهم فوارس من الخوارج فاستطرد لهم أبو ماعز وأصحابه حتى إذا انقطعوا كرّوا عليهم، فصرعوا من الخوارج

المشقر وخندق عند الصادر (الصويدرة) الواقعة للجنوب من جواثى حيث وجود عين الماء العذبة التي ظلت حتى وقت قريب أفضل مورد للشرب لدى أهالي العمران من مدن الأحساء والبادية المحيطة بها، وأنّ الوقعة بينهم كانت فيما بين الصادر (الصويدرة) هذه وبين جواثى.

[168] أي من بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

[169] يبدو أنها نوع من الدّروع الواقية.

أربعة أو خمسة، وبلغ ذلك عمر فأقبل في الناس وقد تحاجزوا، وانصرف الخوارج، فلام عمر أبا ماعز، وقال: كدتم تفضحونا؛ لو قتل منكم رجل واحد لهُدَّ العسكر، فقال مجاعة بن عبد الرحمن العتكي: قد وقى الله ما حذرت.

ورجع عمر إلى عسكره، فلما كان الغد نهض عمر للقتال، وصفَّ الناس وقدَّم الرجَّالة، وخرج الخوارج من عسكرهم، فركزوا رماحهم، واستتروا بالبرانع[١٧٠]، فقال أهل البصرة للرجَّالة: حركوهم، فقال عباد: إن خَلْف هذه البرانع أذرعاً شداداً وأسيافاً حداداً وأنفساً سخية بالموت، وهم شادّون عليكم لا يقوم لها شيء، فإن كانت فيكم جولة فليكن انصرافكم على حامية يمنع بعضكم بعضاً فإنهم يتبعونكم وأكثرهم رجّالة، فإذا لغبوا فكُرُّوا عليهم.

قال: وقال رجل من الخوارج: شدّوا عليهم واحذروا تخطئة الحمار؛ يقول: احذروا قول عباد حين قال ليكن انصرافكم على حامية، فإذا لغبوا فكرُّوا عليهم، فنحَّوا البرانع، وأصلحوا رماحهم وسيوفهم، وشدّوا على الميسرة وفيها أهل البصرة، فكشفوهم، فذهبوا في الأرض.

وصُرع المُغيْرة، فحماه الكوثر بن عبيد، ويقال عبد بن معمر، واعتزل المغيرة بن المهلب ومجاعة بن عبد الرحمن الأزدي في فوارس، فقاتلوهم، وتراجع الناس، فردّوا الخوارج وحازوهم إلى موقعهم، ومر اصحاب عمر بن عبيد الله بعمر بن موسى جريحاً، فاحتملوه وشدوا على الخوارج حتّى أدخلوهم عسكرهم

---

[١٧٠] هو نوع من الأكسية الرقيقة توضع عادة على ظهر الدابة.

وأحرقوا فيه تبناً، وهاجت الريح فأمالت الدخان في وجوههم، فقتلوا منهم ثلاثة، ويقال ثمانية وذلك الثبت، وأسروا ثلاثة نفر، فقتلهم عمر صبراً.

فلما كان اليوم الثالث من هذا اليوم باكرهم أبو فديك بالقتال، فقال لأصحابه: إنْ قُتلت فأميركم أبو طالوت[١٧١]، وزحفوا جميعاً مستميتين، فشدوا على الناس شدّة أزالت الميمنة والميسرة والقلب من أهل العراق، فبقي عَبَّاد بن الحصين وسنان بن سلمة والمغيرة بن المهلب، فأمر عباد غلمانه: مهيراً ووازعاً وميسرة فجثوا وأشرعوا رماحهم، ونادى عباد: أيها الناس أنا عباد، فقال له غلامه الوازع: يا سيدي لا تنوه باسمك فيقصدوا إليك، قال: ويحك، إني إنْ ثبتُّ ولم أنوّه باسمي أقدموا علي، فإذا عرفوني لم يقدم علي منهم أحد.

فرجع مجاهد بن بلعاء في الخيل، وكان عبّاد صيَّره خليفته على الخيل، فرجع في عدة من البصريين وجماعة من أهل الكوفة من بني تميم، ومضى الباقون فلم يكن لهم ناهية دون البصرة، فقال عبّاد لمجاهد: احمل عليهم، فقال إني عليك لهيّن حين تأمرني بالإقدام بالخيل وليس معي رجالة تقيها، فقال عبّاد: فليترجل بعضهم، فترجلوا، وقال عمر لعباد: ما ترى؟ فقد ذهب الناس، قال: الصبر، فقال: ما شاورتك إلا وأنا أريد أن أسألك أيَّ موتة ترى أن أموت قال: انزل، فنزل

---

[١٧١] هو مطر بن عقبة بن زيد بن الفند، واسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمَّان بن مالك بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. (تاج العروس مادة: شهل)، وذكره الطبري في تاريخه (٤ : ٤٣٨).

عن بـرذون لـه أشـهب ابيـض، وأقدمـوا عليـهم، فكـان عبـاد يحمـل عليـهم، فيطاعنـهم ثـم يرجـع فيقـول: إنـا لله، فصـبروا مليـاً، فسمعوا صارخـاً يقـول: صُـرِع أمـيرُ المؤمنـين - يعـني أبـا فديـك - وأطـافوا بـه، فـأقبل عمـر كأنـه جمـل هـائج قـاصداً لمصـرع أبـي فديـك، وحمـاه أصحابـه حولـه، فشـدوا عليـه بأسـيافهم، فمـا انثنـى حتـى أخـذ برجـل أبـي فديـك، فسـحبه والـدم يسـيل مـن كمـه، والسـيوف تـأخذه، فـذب عنـه عبـاد بـن الحصـين والمغـيرة بن المـهلب وسـنان بـن سـلمة ومحمـد بـن موسـى ومجـاهد بـن بلعـاء حتـى أفرجـوا عنـه، وانحـازوا وإنّ رجـل أبـي فديـك لفـي يـده، فقـال: احـتزوا رأسـه، فـاحتزوه، وبعـث بـه مـن سـاعته إلى البصـرة.

وأتبـع ابـن بلعـاء الخـوارج، ثـم رجـع، ومضـى الخـوارج إلى (المشـقر)، فوجّـه عمـر بـن عبيـد الله إليـهم مجـاهد بـن بلعـاء وبيـهس بـن صـهيب الجرمـي وعرفطـة بـن رجـاء اليشـكري، فحصـروا الخـوارج حتـى نزلـوا علـى حكـم عمـر، فقتـل المـوالي واسـتحيى العـرب.

وكـان علـى خيـل أبـي فديـك عبـد الله بـن صبـاح الزِّمّـاني، فلمـا طلـب الأمـان كلـم قـومٌ مـن بـني حنيفـة عمـرَ وقـالوا إنّـا قـد أمّنّـاه، فقـال: لا ولا نعمـة عـين، وأرسـل إليـه فحبسـه، فـهرب مـن السـجن، فلقـي أعرابيـاً معـه بعـيران، فقـال: أتكريـني إلى اليمامـة؟ فقـال: نعـم بكـذا وكـذا، فقـال عبـد الله: بـل أضعفـه لـك علـى أن ترفق بـي في المسير؛ قـال: ذاك إليـك، فحملـه.

وطلبـه عمـر بـن عبيـد الله بـن معمـر، وبلـغ الأعرابـي أنّ عمـر

يطلب ابن صباح الزِّمَّاني، فلما سار بقية يومه قال للأعرابي: أتدري من أنا؟ قال: لا قال: أنا عبد الله بن صباح الزِّمّاني هربت من السجن وعمر يطلبني وإن يأخذني هلكتَ وذهب بعيرك فأنت أعلم قال: غررتني قال: أتراني أضعفت لك كراءك وأنا آمن؟!، فطرد به شلا[١٧٢] حتّى قدم اليمامة، ثم أتى البصرة فاستجار بعامر بن مسمع[١٧٣]، فأخذ له عامر بن مسمع الأمان من خالد، فكان يغدو إلى خالد.

.. قالوا وقدم المنهزمة من أصحاب أبي فديك إلى البصرة، فكان أول من دخلها منهم عبد الله بن عثمان بن أبي العاص الثقفي، ثم تتابعوا، فسرَّ ذلك خالد بن عبد الله، ودعا بسرير له فجلس عليه وأعلم الناس أنّ عمر قد انهزم، وأرسل إلى عبد الله بن عمير الليثي، وكان قد انهزم عن بعض الخوارج، فبشَّره بانهزام عمر، فأعتق كل مملوك له.

وبعث خالد يوم جاء خبر هزيمتهم رسولاً إلى عبد الله بن عبيد الله بن معمر فأخبره بأن أخاه قد انهزم، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ إني لأنتظر من الله إحدى الحسنيين الشهادة أو الظفر، فأما الهزيمة فلا أخافها عليه، ولا سيما ومعه ابنة عمّه.

ودخل المهلب على خالد، فقال له: يا أبا سعيد ما عندك من خبر أبي حفص؟ فقال: عندي أنّ أبا فديك قد قُتل ورأسه

---

[١٧٢] الشلّ: السير السريع للإبل أو الطرد.

[١٧٣] هو عامر بن مسمع بن مالك البكري، وأبوه هو الذي تقدمت المناظرة بينه وبين شقيق بن ثور البكري في النص رقم (١٨) فيما سبق.

يـأتيك، قـال: ومـا علمـك؟ قـال: وجـهت مـع المغـيرة ابــني غلامـين، فقلـت: إن ظفـر عمـر فوجّـه إلي فلانـاً، وإن ظفـر أبـو فديـك فوجّـه فلانـاً، ولا ترسـل واحـداً منـهما حتّـى يتبـين لـك الظفـر، فبعـث بـالذي أمرتـه أن يرسـله إذا ظفـر عمـر، قـال: مـا أتاك الغلام إلا منـهزماً قـال: مـا بذلـك أخـبرني.

قـالوا: فإنـه ليحـدث إذ دخـل رسـول عمـر بـن عبيـد الله بـرأس أبـي فديـك، فألقـاه بـين يديـه، فقـال: ويحـك كيـف كـان الأمـر؟ قـال: انـهزم النـاس، وصـبر عمـر وعبّـاد ونفـر يسـير معـهما سـاعةً ثـم كـرَّ أهـل الحفـاظ، فقـاتلوا الخـوارج، فقتـل أبـو فديـك، وأخـذ الرسـول بأذنيـه ثـم هـزّه، وقـال: يـا أبـا فديـك كيـف رأيـت ضـرب بني عثمان بن عمرو بن كعـب بـن سـعد بـن تيـم بـن مُـرّة بـن كعـب بن لؤي؟ وذلك أنّ عمـر بـن عبيـد الله مـن ولـده.

فتنـاول خـالد نعليـه وانتعـل، وقـال: أفّ، ودخـل مغمومـاً، فكـان عبـاد بـن الحصين يقـول: مـا رأيـت أحـداً يقـاتل يـوم أبـي فديك غير المغيرة بن المـهلب وسـنان بـن سـلمة بـن المحبـق.

وقـالت عائشـة بنـت طلحـة يومئـذٍ: مَـن الرجـل الـذي كـان إذا صـاح كـادت الأرض تتصـدّع مـن صوتـه؟ فقـال لهـا عمـر: ذاك عبّاد بـن الحصين.

وقـال خَـيْر بـن حبيـب بـن عطيّـة، أحـد بـني مـالك بـن سـعد: اسـتأذنت علـى عمـر بـن عبيـد الله بـن معمـر بـالبحرين، فقـال آذنـه: مـن أنـت؟ قلـت: خـير، فدخـل ثـم رجـع إلي فقـال: أي خـير؟ قلـت: خـير بـن حبيـب، وعلمـت أنّـه قـد عرفـني وتفـاءل بـاسمي، فدخـل ثـم رجـع فـأذن لي، فدخلـت عليـه وجاريتـه تشـدُّ

عليه جيب الدّرع وهي تبكي، فكلمته بحاجتي ثم خرجت وخرج، فقُتل يومئذٍ أبو فديك .. وكان مقتل أبي فديك سنة أربع وسبعين.

.. وقال بعض الشعراء:[١٧٤]

ضَجَّتْ (جواثى) وَلَمْ تَفْرَحْ بِمَقْدَمِنَا   لَمَّا قَدِمْنَا وَمَاذَا يَنْفَعُ الضَّجَرُ

كَانَتْ لَنَا (هَجَرٌ) أرْضَاً نَعِيْشُ بِهَا   فَأرْسَلَ النَّارَ فِي حَافَاتِهَا عُمَرُ

٤. هروب دبيس بن صدقة الأسدي إلى المشقر عام ٤١٧ هـ.

وقد ذكر ذلك ابن خلدون في تاريخه[١٧٥] في حوادث ذلك العام، فقال:

" كان دبيس[١٧٦] في واقعته مع البرسقي[١٧٧] قد أسر عفيفا الخادم ثم أطلقه سنة سبع عشرة وحمله إلى المسترشد رسالة بخروج البرسقي للقتال يتهدده[١٧٨] بذلك على ما بلغه من سمل أخيه وحلف لينهبن بغداد فاستطار المسترشد غضبا وأمر البرسقي بالمسير لحربه فسار في رمضان من سنته ثم تجهز

---

[١٧٤] يبدو من البيتين أنه من شعراء أهل هجر، أو من شعراء الخوارج.

[١٧٥] انظر الجزء ٣ صفحة ٥٠٢.

[١٧٦] هو دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الناشري الأسدي، وأبوه صدقة هو باني الحلّة السيفية ومؤسس الدولة الأسدية فيها، وأخباره مشهورة في التاريخ.

[١٧٧] هو الملك قسيم الدولة أبو سعيد آقسنقر سُمّي بالبرسقي لأنه كان غلاماً لبرسق غلام السلطان طغرلبك السلجوقي، وقد مات البرسقي عام ٥٢٠ للهجرة. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩ : ٥١٠.

[١٧٨] أي أنّ دبيس يتهدد الخليفة العباسي المسترشد.

للخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فجاءه سليمان ابن مهارش[١٧٩] صاحب الحديثة في بني عقيل وقرواش بن مسلم وغيرهما ونهب دبيس نهر الملك من خاص الخليفة ونودى في بغداد بالنفير فلم يتخلف أحد وفرقت فيهم الاموال والسلاح وعسكر المسترشد خارج بغداد في عشر ذى الحجة وبرز لاربع بعدها وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ووزيره معه نظام الدين ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم فنزل بخيمة وبلغ البرسقي خروجه فعاد بعسكره إليه ونزل المسترشد بالحديثة بنهر الملك واستحلف البرسقي والامراء على المناصحة وسار فنزل المباركة وعبى البرسقي أصحابه للحرب ووقف المسترشد وراء العسكر في خاصته وعبى دبيس أصحابه صفا واحدا وبين يديهم الإماء تعزف وأصحاب الملاهي وعسكر الخليفة تتجاذب القراءة والتسبيح مع جنباته ومع اعلامه كرباوى خراسان وفي الساقة سليمان بن مهارش وفي ميمنة البرسقي أبو بكر ابن الياس مع الامراء البلخية فحمل عنتر بن أبي العسكر من عسكر دبيس على ميمنه البرسقي فدحرجها وقتل ابن أخي أبي بكر ثم حمل ثانية كذلك فحمل عماد الدين زنكي ابن اقسنقر في عسكر واسط على عنتر بن أبي العسكر فأسره ومن

---

[١٧٩] من أحفاده: خضر بن بدران بن مُقلّد بن سليمان بن مهارش العِبادِي العُقيلي الذي وفد على الظاهر بيبرس كما ذكر ذلك القلقشندي في كتابه قلائد الجُمان في الصفحة ١٢٣ نقلاً عن الحمداني.

معه وكان من عسكر المسترشد كمين متوار فلما التحم الناس خرج الكمين واشتد الحرب وجرد المسترشد سيفه وكبر وتقدم فانهزمت عساكر دبيس وجيء بالاسرى فقتلوا بين يدي الخليفة وسبي نساؤهم ورجع الخليفة إلى بغداد في عاشوراء من سنة سبع عشرة وذهب دبيس وخفي أثره وقصد غزية من العرب فابوا من ذلك ايثاراً لرضا المسترشد والسلطان فسار إلى (المشقر) من البحرين فأجابوه وسار بهم إلى البصرة فنهبوها وقتلوا أميرها وتقدم المسترشد للبرسقي بالانحدار إليه بعد أن عنفه على غفلته عنه وسمع دبيس ففارق البصرة وبعث البرسقي عليها زنكي بن اقسنقر فأحسن حمايتها وطرد العرب عن نواحيها ولحق دبيس بالفرنج في جعبر وحاصر معهم حلب فلم يظفروا وأقلعوا عنها سنة ثمان عشرة فلحق دبيس بطغرل بن السلطان محمد وأغراه بالمسترشد وبملك العراق كما نذكر".

في الواقع إن معرفة موضع المشقر هو المفتاح الذي سيرشدنا إلى معرفة موقع الصّفا الحصن التوءم لحصن المشقر، وسيرشدنا أيضاً لمعرفة عين محلم الشهيرة، وموضع مدينة هجر الأشهر.

كل ذلك يجعلنا نركز البحث حول تحديد المشقر بعض الشيء، وقد علمنا من النصّ رقم (٣) هنا أن امرأ القيس أوضح لنا أن المشقر والصّفا قريبين من بعضهما بدليل قوله في وصف النخل الذي بينهما أنه: "دوين الصّفا اللائي يلين المشقرا" وهو نفس ما يدلّ عليه النصّ رقم (١١) من قول عرفطة بن عبد الله المالكي الأسدي عن نفس هذا النخل: " دوين الصّفا اللائي يحفُّ المشقرُ" بل إن قول عرفطة الأسدي أكثر توضيحاً للقرب بين هذين الحصنين فهو أراد أن هذه النخيل تحف بالمشقر وليس العكس بالطبع، والفعل "يحفّ" أكثر دلالة على القرب من الفعل "يلي"، وفيه تأكيد على أنه لا يفصل بين الحصنين سوى هذه البساتين النضرة من النخل السّامق.

ونفس هذا القرب يتضح لنا من قول هشام بن الكلبي في روايته التي أوردها الطبري في تاريخه لأحداث يوم المشقر حيث ورد فيه عن بني تميم: "فأدخلهم المشقر، وهو حصنٌ حياله حصنٌ يقال له الصّفا" وكلمة حياله تعني يقابله، ولا يقال لمكان أنه حيال مكان آخر إلا إذا كان يُرى أحدهما من الآخر رأي العين، ثم إن قول أبي عبيدة في النصّ (٣٣): "وقصبة هجر الصّفا والمشقّر والشبعان" يدل على القرب بينها

أيضاً لأن هجر مهما كانت مدينة كبيرة فإنها بمقاييس ذلك العصر لن تكون كما هي عليه مدننا الحديثة، بل إن أكبر المدن في الجزيرة كانت تحاط بسور من الطين أو الحجارة، وبالتالي فلن تكون هذه المدينة كبيرة جداً، ولكنها معقولة الحجم كما هي مدينة ثاج التي لا تزال أطلال سورها قائمة حتى اليوم، فإذا كانت مدينة هجر لها ثلاث قصبات هي الصّفا والمشقر والشبعان، فإن هذه الأماكن أو المواضع ينبغي أن تكون متقاربة، والشبعان هو الجبل المعروف الآن باسم جبل القارة الكبير ذي الكهوف الباردة الشهيرة[١٨٠]، وهو وإن تغير اسمه القديم الشبعان إلى القارة إلا أن الوصف الذي وُصِف به لم يتغير، وهو كهوفه البارده في الصيف القائظ، وإحاطة النخل والأنهار به من كل جهاته، وبالتالي فإن المشقّر والصّفا يجب أن يكونان قريبين من هذا الجبل المعروف.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله قول أبي عبيدة نفسه في النصّ المتقدم من أن بين الصّفا والمشقر نهرٌ يجري يقال له العين صرنا متأكدين أن الصّفا والمشقر قريبين من بعضهما جداً لا محالة، وهما في نفس الوقت قريبان جداً من جبل الشبعان (القارة حالياً).

ومعظم من ذكر المشقر من الرواة والمؤرخين أجمعوا على أن المشقر حصنُ هجر على الإطلاق كما في نص الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه في أول بحثنا هذا، وسؤال الرسول الأكرم – صلى الله عليه وآله وسلم– لوفد عبد القيس عن أي هجر

---

[١٨٠] انظر الصورة رقم (١) في آخر البحث.

أعزّ، وإجابتهم له بقولهم: المشقر، فإن هذا لا يقال إلا عن حصن أو مدينة محصّنة، وقد أشار إلى كون المشقر حصناً أو قصراً كلاً من طرفة بن العبد أو المخبل السّعدي[181] في النصّ رقم (٤) بقوله:

وَلَئِنْ بَنَيْتَ لِيَ (المُشَقَّرَ) فِي هَضْبٍ تُقَصِّرُ دُونَهُ العُصْمُ
لَتُنَقِّبَنْ عَنِّيْ المَنِيَّةُ إنّ اللهَ لَيْسَ كَحُكْمِهِ حُكْمُ

فواضح من لفظة "هضْب" أنَّ المشقر ليس حصناً فقط، بل ومبني على هضبة سامقة تقصر حتى الوعول عن ارتقائها، وهو عين ما قاله ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان في النصّ رقم (٤٤) إذ قال عن المشقر نفسه أنه على تلٍّ عالٍ ويقابله حصنُ بني سدوس يقصد بذلك حصن الصّفا، وبنو سدوس هؤلاء إن لم يكونو بني سَدُوسَ بن شيبان بن ذُهل بن ثَعْلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[182] فهم من بني تميم، وهم بنو سدوس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وهم إخوةٌ لبني عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ومن بني عبد الله بن دارم هؤلاء كان المنذر بن ساوى بن عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم صاحب هجر الذي كاتبه النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- وعرض عليه الإسلام، وبنو سدوس هؤلاء يبدو أنهم كانوا مع إخوتهم بني عبد الله بن دارم في هجر، وبالتالي فإن

[181] حيث مرّ بنا الاختلاف في نسبة البيتين التاليين لأيهما هما.

[182] انظر جمهرة النسب للكلبي الصفحة ٤٨٥ وما بعدها، وكان لبكر بن وائل بطونٌ سكنت البحرين وهجر منها بالذات.

حصن الصّفا يكون لهم، كما أن المنذر بن ساوى وقومه أبناء عمومتهم الذين كانوا يلقبون بالأسبذيين كانوا يقيمون بالمشقر الحصن المقابل للصفا كما ذكر ذلك كلاً من أبي عمرو الشيباني كما في النص رقم (٣٢) وابن الأثير في كتابه النهاية في غريب الحديث حيث اتفقا على أن الأسابذة أو الأسبذيين كانوا مسلحة بالمشقر، وزاد أبو عمرو: "منهم المنذر بن ساوى من بني عبد الله بن دارم، ومنهم عيسى الخطي، ومنهم سعيد بن دعلج. انتهى

وقد بات واضحاً من النّصوص التي ذكرت أنّ المشقر حصنٌ والصّفا حصنٌ آخر يقابله أن الحصنين متشابهان ليس في البنيان والخصائص المعمارية فقط، بل وفي كون الحصنين كليهما بُنيا فوق تلٍّ مرتفع أيضاً كما في نصٍّ ابن الفقيه الصريح الخاص بالمشقر وهو النصّ رقم (٤٤) وكذلك النصوص رقم (١٢) و(٣٥) و(٥٦) والنصّ رقم (٢٧) بالنسبة لحصن الصَّفا.

وهنا يرسم لنا خيالنا منظراً أخاذاً لحصنين فوق تلّين مرتفعين بينهما نهرٌ عظيم يجري، والنخلُ يحفُّ بهما من كل جانب يقعان بالقرب من جبل الشبعان المعروف اليوم بجبل القارة.

أبْنُ الأَعْرَاْبِيْ وَالعَلاْمَةُ الفَاْرِقَةْ

وقبل أن نستبق الأحداث لا بد من إيراد أدق وأخطر النصوص التي ذكرناها فيما سبق، وهو تعريف ابن الأعرابي لمدينة المشقر في النصّ رقم (٣٥)، وفي الواقع لا مناقضة بين حصن المشقر ومدينة المشقر، فلشهرة الحصن سُمّيت باسمه

المدينة التي تكتنفه، وهذا ما سنعرفه من نصّ ابن الأعرابي الذي نعيده هنا لأهميته، حيث قال: " (المشقر): مدينة عظيمة قديمة، في وسطها قلعة على قارة تسمى (عُطالة)، وفي أعلاها بئرٌ تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر في زيادتها، وتحلبها نقصانها". انتهى

فقد أعطانا ابن الأعرابي ما يُعرف اليوم بمصطلح " العلامة الفارقة " وهي الميزة التي لا تتغير مهما كرَّ الجديدان، ألا وهو قوله أن القارة التي تسمى عطالة كان في أعلاها بئرٌ تثقب هذه القارة حتى تنتهي إلى الأرض، وتذهب فيها، وماء هجر يتحلب إلى هذه البئر، وارى أنه ربما قد سقطت كلمة من هذا النصّ الهام – لا تضرّه كثيراً – قبل كلمة هجر، وهي كلمة (عين) أي أن ماء عين هجر يتحلب إلى هذه البئر، وعين هجر معروفة، وهي العين التي ذكر ابن دريد أن من عُرفوا بقبائل تنوخ البحرين قد سُمّوا بذلك لأنهم تنخوا بعين هجر[١٨٣]، وكذلك ذكر هذه العين كلاً من النويري في كتابه الموسوعي نهاية الأرب، والمقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا[١٨٤] في نصٍّ نادر جداً عن فتح أبي سعيد الجنابي لهجر سوف نذكره كاملاً عند البحث عن موقع هجر.

وقد جاء في هذا النص قوله: ".. فإذا لهجر عينٌ عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الأرض غير بعيد منها.

---

[١٨٣] انظر الاشتقاق لابن دريد

[١٨٤] انظر الجزء الأول الصفحة ١٦٠ من طبعة القاهرة.

ولـو ربطنـا بـين هـذا النـصّ النفيـس ونـصّ ابـن الأعرابـي النــادر لعرفنـا أن ابـن الأعرابـي كـان يريـد أن يقـول أن مـاء عـين هجـر كـان يتحلـب إلى البئر[185] الـتي كـانت تثقـب القـارة، ولا يفوتنـا هنـا جملـة نصّـي النويـري والمقريـزي في وصفـهما لعـين هجـر أنـها تخرج مـن نشـزٍ مـن الأرض، فـهذا النَّشَـز في نصِّـهما هـو التـل الـذي كـانت تقـوم فوقـه قلعـة المشـقر كمـا في نـصِّ ابـن الأعرابـي، وهـو الصحيح لأن قلعـة المشـقّر هـي المبنيـة فـوق التـلّ، أمـا حصـن المشـقر فـهو التـلّ نفسـه كمـا سـنرى بعـد قليـل، وأمـا مدينـة المشـقر فـهي المدينة التي تكتنف هـذا التـلّ مـن جوانبـه وتقـوم في سـفحه.

ثـم نعـود لمـا أسميناه بالعلامـة الفارقـة في نـص ابـن الأعرابـي، وهـو قولـه أن البـئر تثقـب القـارة، فالقـارة بمعناهـا اللغـوي هـي: الجُبَيْـلُ الصغـيرُ المُنْقَطِـعُ عـن الجبـال، أو الصَّخْـرَةُ العظيمـةُ[186].

فـهل توجـد بـالقرب مـن جبـل الشـبعان المعـروف اليـوم باسـم جبل القارة قـارةٌ بـهذا الوصـف؟

ثـم هـل يوجـد في أعلـى هـذه القـارة بـئرٌ يخترقـها إلى الأرض ثـم إلى عين كانت تنبـع مـن هـذا الجبـل؟

الجواب عن كـلا السـؤالين هـو نعـم.

ولكـن قبـل الاسترسـال في الإجابـة والكـلام حـول ذلـك يجـب أن نصحـح خطـأً أثـار ولا زال يثـير اللّبـس حتـى اليـوم في تحديـد جبـل القـارة الـوارد في النصـوص القديمـة علـى أنـه في البحريـن ثـم في هجر منـها.

---

[185] إن المعنى اللغوي للتحلّب هو السيلان، وتَحَلَّب الشيء أي سال.

[186] انظر القاموس المحيط مادة (ق ا ر)

جَبَلُ القَارَةِ القَدِيْمُ لَيْسَ بِجَبَلِ القَارَةِ الحَدِيْثْ

لقد رجَّح بعضُ الباحثين ومنهم الشيخ حمد الجاسر أنَّ قرية القارة المعروفة اليوم من قُرى الأحساء إنما سُمّيت بهذا الاسم لوقوعها بالقرب من الجبل الكبير المعروف الآن باسم جبل القارة.[١٨٧]

وهو سهوٌ غريب من الشيخ الجاسر لأنَّه قد ذكر في نفس الموضع أنّ الجبل المعروف اليوم باسم جبل القارة لم يكن يدعى بهذا الاسم في السابق، وإنما كان اسمه الشبعان، وهو الاسم الذي اشتهر به عند العرب ووصفوه بتميّزه بالكهوف الباردة التي يتبرد بها الأهالي القاطنون حوله كما مرَّ بنا في النصوص التي تحمل الأرقام (٥)، (١٨)، (١٩)، (٥٤)، (٥٥)، وعكس كلام الشيخ الجاسر هو الصحيح أي أنّ هذا الجبل الذي كان يُعرف قديماً بالشبعان إنما أطلق عليه اسم جبل القارة نسبةً إلى هذه القرية التي تقع بالقرب منه نظراً لكونها أشهر القرى في تلك الناحية.

والذي أوقع الشيخ الجاسر – رحمه الله – ومن سار على منواله في هذه الرَّبكة هو وجود نصوص قديمة ذكرت وجود جبل أو جبيل في البحرين يُسَمّى (القارة) كما مرَّ بنا في النصَّين (٣١) و (٤٦)، فظنوا أنّه هو الجبل المعروف الآن باسم القارة، والواقع أنّه جبلٌ آخر غيره كما سنرى بعد قليل.

لِمَاذَا سُمِّيَتْ قَرْيَةُ القَارَةِ بِهَذَا الاِسْمْ؟

من المعاني اللغوية للفظة (القارة): الجُبَيْل الصغير، الجبيل

---

[١٨٧] انظر المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر رسم (القارة).

الصغير المنقطع عن الجبال، الصخرة العظيمة المستديرة كأنها جثوة[188]، وقد سُمِّيت قرية القارة بهذا الاسم لأنه يوجد في جنوبها الملاصق لها جُبَيْلٌ مستدير غريب الشّكل والتكوين ذو كهوف متفاوتة الحجم، وفوقه صخرة كبيرة منحوتة بشكْلٍ عجيب كأنها ثلاثة رؤوس أحدها متجه إلى الجنوب وهو يشبه رأس امرأة، وآخر متجه نحو الشمال، وهو يشبه رأس رجل، أما الثالث فهو في الوسط بينهما ويشبه رأس أسد في منظره، وهذا الجبل لا زال يُعرف حتى اليوم باسم جبل (رأس القارة)[189] وهو الذي عناه الجغرافيون العرب عندما تكلّموا عن جبلٍ في البحرين أسموه القارة في كتبهم، فقد مرّ بنا قول الحفصي في النص رقم (٤٦) من أن القارة جبل في البحرين، وقول هشام بن الكلبي في النصّ رقم (٣١) عن القارة أنه جبيلٌ بنته العجم بالقفر والقير، وهو فيما بين الأطيط والشبعاء.

الأَطِيْطُ وَالشَّبْعَاءُ قَارَتَانِ فِيْ هَجَرْ

إنّ قول هشام الكلبي عن القارة أنّه جبيل بين الأطيط والشبعاء هو كلام دقيق من هذا العالم الموسوعي الضلِّيع، وقد سبق وقلنا أن الشيخ حمد الجاسر قد رأى أن الشبعاء ما هو إلا تحريف للشبعان أي الجبل الكبير المعروف الآن باسم جبل القارة، وبيّنا خطأ ما قال، كما بيّنا أن الأطيط هو الموضع الذي أضاف إليه امرؤ القيس حصن الصّفا فأسماه (صفا الأطيط) في

---

[188] انظر لسان العرب مادة (قور)، والجثوة: الحجارة المجموعة كما في الصحاح.

[189] انظر الصورة رقم (٢)، وقد أصبح اليوم في وسط القرية بعد التوسع العمراني فيها.

شعره الذي ذكره الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب[190] قائلاً أنه ذكر فيه ثمانية مواضع من البحرين، وهو قوله:

لَمَنِ الدِّيَارُ عَرَفْتُهَا بِـ (سُحَامِ) ... فَـ (عِمَايَتَيْنِ) فَـ (هَضْبِ ذِي إِقْدَامِ)

فَـ (صَفَا الأَطِيْطِ) فَـ (صَاحَتَيْنِ) فَـ (غَاسِمِ) ... تَمْشِي النِّعَاجُ بِهَا مَعَ الأَرْآمِ[191]

أَفَمَا تَرَى أَظْعَانَهُنَّ بِـ (عَاقِلٍ) ... كَالنَّخْلِ مِنْ (شَوْكَانَ) حِيْنَ صِرَامِ؟!

وقد ردّ الشيخ الجاسر قول الهمداني هذا، وقال إن أكثر هذه المواضع – إن لم يكن كلها – في بلاد نجد، ثم دلل بعد ذلك على نفس قول الهمداني عند ذكره لهذه المواضع في نجد، ثم استشهاده بنفس هذه الأبيات لامرئ القيس، وهو كلامٌ يصحُّ من الشيخ في بعضه فقط، غير أن الشيخ الجاسر استدرك بعد ذلك فأورد كلام ابن الكلبي الذي أوردناه هنا في النصّ رقم (٣١)، وهو قوله: عن القارة أنه جُبيل بين الأطيط والشبعاء، حيث عقّب الشيخ الجاسر قائلاً:[192]

" وإذا صحّ كلام ابن الكلبي وكان منطبقاً على القارة المذكورة[193] فإنه يمكن القول بوجود موضع يُدعى الأطيط[194]

---

[190] انظر الصفحة ٣٩٠ أو النصّ رقم (٣)

[191] الأرآم: جمع رِئْم، وهو ولد الظبية.

[192] انظر رسم (الأطيط) من المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية.

[193] يقصد التلّ الصغير الذي أسماه في معجمه أبا الكباري أو الشبعان والواقع شرق عين باهلة على طريق الهفوف / الحليلة.

[194] هذا كلام صحيح، ولا مانع أبداً من تعدد المسميات، وخصوصاً في جزيرة العرب، فهم كانوا يطلقون اسم الظواهر الطبيعية على ما يرونه من الأراضي، كما أن القبائل المهاجرة إلى أراضٍ جديدة كانت كثيراً ما تطلق اسماء مواضع من الأرض التي

هنـاك، ولكـن – والكـلام للجاسـر – ليـس الـذي ذكـر امـرؤ القيـس. انتهى

ومـا قالـه الشـيخ الجاسـر صحيـح في بعضـه غـير أنـه حـام حـول الحِمـى ولم يقـع فيـه، ثـم حـاول أن يجعـل الأطيـط هـو التـلّ الصغـير الـذي يمـرّ بـه الطريـق المـؤدي مـن الهفـوف إلى قـرى الحليلـة والقـارة، وهـو الجبيـل الـذي يقـع إلى الشّـرق مـن عـين باهلـة بميـل واحـد تقريبـاً والـذي قـال الشـيخ أنـه يُسـمّى أبـو الكبـاري ويُسـمّى أيضـاً بالشـبعان[١٩٥] وكـل ذلـك صحيـح، غـير أن ما لم يـدُر بخلـد الشـيخ الجاسـر هـو أن هـذا التـلّ الصغـير والـذي لا زال يُعـرف باسـم الشـبعان مـا هـو إلا الشّـبعاء الـوارد في نـصّ هشـام الكلـبي عـن جبيـل القـارة بعينـه حـين قـال عنـه أنـه يقـع بـين الأطيـط والشـبعاء، فالشـبعاء هـو هـذا التـلّ الصغـير الـذي صـار النـاس يطلقـون عليـه اسـم الشـبعان وليـس غريبـاً أبـداً أن يتحـرف الشـبعاء إلى الشـبعان فـهما بنفـس المعنـى تقريبـاً سـوى أن كلمـة الشـبعاء مؤنثـة وكلمـة الشـبعان مذكـرة وهـو أمرٌ ليـس بـذي أهميـة تذكـر، ويبـدو لي أن هـذا التـلّ الـذي قلنـا أنـه يقـع إلى لشـرق مـن

هاجرت منها على مواضع مشابهة لها في الأراضي التي هاجرت إليها، فعمان مثـلاً يقـال أن الأزد سمّوها عماناً على اسم جبلٍ في اليمن كانوا يسكنون بقربه، والجار الميناء الشـهير على البحر الأحمر يوجد له نظيرٌ على ساحل الخليج وله نفس الاسم أيضاً وهو أمرٌ يطول لو تتبعناه مما حدا ببعض الجغرافيين العرب إلى تأليف كتبٍ للتفريق بين الأماكن المتشابهة لفظاً والمختلفة مكاناً كما فعل كلاً من الحازمي وياقوت الحموي.

[١٩٥] وله اسمٌ آخر أخبرني به غير واحد من أهالي الأحساء ممن مزارعهم قريبة منـه. وهو صبخة الموسى، ويقصد بهم آل موسى عائلة من عوائل الأحساء المعروفة.

عين باهلة إنما سُمّي بالشبعاء لأنه يقع في منطقة كثيرة الأنهار من مياه العُيون فإلى الغرب منه بميل أو أقل تقع عين باهلة المعروفة، وإلى الجنوب منه يقع نهرُ سُليسل العظيم بخلجانه المتفرعة منه، وأما إلى الشمال من هذا التلّ فيقع نهر عين عظيمة وخطيرة تُدعى اليوم باسم عين الحارة، والواقع منبعها بالقرب من مدينة المبرز، فلكل هذه الأنهر التي يقع في منتصفها هذا التلّ الصغير المعروف اليوم باسم أبي الكباري أو صبخة محمد الموسى أو الشّريدية سُمّي منذ القدم باسم الشّبعاء، وظلّ هذا الاسم معروفاً له حتى اليوم سوى أنه ذُكِّر بعد تأنيث فسُمّي بالشبعان، وهو الأمر الذي أحدث إرباكاً كبيراً لدى الباحثين والمؤرخين في عصرنا، فهم قد عرفوا أن جبل الشبعان كما حدده ووصفه الجغرافيون العرب القدماء كياقوت وغيره هو جبلٌ في البحرين يُتَبَرَّد بكهوفه أي أن به كهوفاً باردة، وهذه الصّفة لا يملكها - وبجدارة - سوى جبل وحيد وفريد في هذه المنطقة وهو الجبل المعروف اليوم باسم جبل القارة، والذي لا زال يُعرف أيضاً حتى اليوم باسمه القديم الشّبعان، أما هذا التلّ الصغير الذي قلنا أنه هو الشبعاء المذكورة في نص ابن الكلبي فلا يُوجد به أي كهفٍ يُذكر، وبالتالي فهو الشبعاء وليس الشّبعان المشهور، وعليه فقد بات نصُّ ابن الكلبي واضحاً لنا في تحديد موقع جبيل القارة الذي ذكره، فهو يقع بين الأطيط والشبعاء، وصرنا نعرف الآن أن الشَّبعاء هو هذه القَارَةُ أو التلّ الذي ذُكّر بعد تأنيث، والواقع بالقرب من عين باهلة، ولو بحثنا عن جُبَيْل صغير بقربه

تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرها ابن الكلبي عن القارة ذلك الجبيل الذي بنته العجم بالقفر والقير والذي يقع بين الشبعاء هذه وقارة أخرى كانت تُعرف بالأطيط لما وجدنا جبيلاً ينطبق عليه هذا الوصف سوى هذا الجبيل العجيب الذي أشرنا إليه قبل قليل والواقع جنوب قرية القارة، والذي لا زال يحمل نفس الاسم بعد إضافة لفظة راس إليه (راس القارة) فهو بعينه جبيل القارة الذي قال عنه الكلبي أنه يقع بين الأطيط والشبعاء، وقد عرفنا الآن أن الشبعاء هو تلٌّ مساوٍ له في الحجم تقريباً يقع بالقرب منه من الجهة الجنوبية الغربية، وكون القارة بين الأطيط والشبعاء فهذا يقتضي وقوع الأطيط أو قارة الأطيط إلى الجهة الشمالية الشرقية من جبل رأس القارة، وهذا كله صحيح وحاصل حيث يوجد بالفعل قارةٌ أخرى تقع في تلك الجهة، ولكننا سنرجئ الكلام حولها الآن إلى ما بعد.

الْقَاْرَةُ وَالشَّبْعَاْنُ جَبَلَاْنِ قَدِيْمَاْنِ مُخْتَلِفَاْنْ

إنَّ ما يهمنا الآن هو توضيح خطأ محاولة الشيخ الجاسر إسقاط الأوصاف التي ذكرها ابن الكلبي عن جبل القارة – التي دوَّناها قبل قليل – على الجبل الكبير الذي صار يُعرف اليوم بقدرة قادر باسم جبل القارة بعد أن كان اسمه في السابق الشبعان المشهور بكهوفه الباردة، وهو الاسم الذي لا زال بعض الأهالي في القرى المحيطة به وما جاورها يعرفونه به أيضاً حتى اليوم، وهو بذاته الجبل الذي ذكره عدي بن زيد بقوله:[١٩٦]

تَـزَوَّدْ مِـنَ (الشَّـبْعَاْنِ) خَلْفَـكَ نَظْـرَةً   فَـإِنَّ بِـلَاْدَ الجُـوْعِ حَيْـثُ تَمِيْـمُ

[١٩٦] انظر معجم البلدان لياقوت الحموي رسم (الشبعان)

وكذلك قول عمرو بن أحمر - أو الحمراء - الباهلي الذي ذكره بالصِّفة المميزة له وهي برودة كهوفه حيث قال:

أَبَىْ (الشَّبْعَانُ) بَعْدَكَ حَرَّ نَجْدٍ وَأَبْطُحَ بَطْنِ مَكَّةَ حَيْثُ غَارَا

وهو نفسه الجبل الذي ذكره كلاً من نصر الإسكندري والزبيدي حين قالا:[197]

(الشبعان جبل بهجر يتبرد بكهافه).

وذكره شارح شعر ابن المقرب الذي هو من أهالي القرن السابع الهجري، وذلك عند شرحه للقصيدة التي أولها:

كم بالنهوض إلى العلا تعداني ناما فما لكما بذاك يدان

حيث ذكر عند قوله:

إني لأخشى أن تلاقوا مثلما لاقى بنو العياش والعريان

فعلّق الشارح بقوله:

(ويعني بالعياش عيّاش بن سعيد رئيس بني محارب، وكان منزله بالجبل المعروف بالشّبعان من جبال هجر، وهو في وسطها تحفُّ به أنهارها وبساتينها.)

فهذه الأوصاف كلها لا تنطبق ولا ينبغي لها أن تنطبق سوى على جبلٍ واحد فقط حتى اليوم، وهو هذا الجبل العظيم المعروف الآن باسم جبل القارة الكبير، ولكن ليس هو القارة التي عناها ابن الكلبي في نصّه المتقدم، فهو يقول عن تلك القارة أنها جبيل وجبل القارة الذي أراد الشيخ حمد إسقاط كلام ابن الكلبي عليه أكبر من أن يقال له جبيلاً بل هو جبلٌ

---

[197] انظر المصدر نفسه، وتاج العروس للزبيدي مادة (شبع)

بالفعل كما وصفه الجغرافيون القدماء وقبلهم الشعراء الذين استشهدوا بشعرهم حول ذلك، وإن تسمية جبل الشبعان باسم جبل القارة اليوم ما هي إلا تسمية حديثة ليست بالقديمة، وذلك لكون قرية القارة الواقعة بالقرب من ركنه الشمالي الغربي[١٩٨] هي أشهر القرى الأربع التي تشارك قريةَ القارة باقتسامها أركان هذا الجبل الأربعة فلهذا أطلق اسم القرية على الجبل، وصار يُعرف باسم جبل القارة، ولكنه ظلّ محتفظاً باسمه القديم الشبعان لدى بعض كبار السنّ والمثقفين من أهل الأحساء، وأما قرية القارة فقد سُمّيت بهذا الاسم - كما سبق وأشرنا - نسبةً إلى الجُبَيل الذي كان يحمل اسم جبل القارة، ولا زال محتفظاً بنفس الاسم حتى اليوم ولكن بإضافة كلمة (راس) إليه فصار يُعرف باسم (راس القارة) وهو نفسه هذا التلّ العجيب التكوين ذو الرؤوس الثلاثة، والواقع الآن في وسط قرية القارة بعد توسعها.

وسَنرى بعد قليل أن قول ابن الكلبي عن جبيل القارة هذا من أن العجم بنته بالقفر والقير هو كلام صحيح، ولكن ليس في بناءه كجبل فهو تكوين طبيعي لا دخل للإنسان فيه، ولكن المقصود ببناء العجم له هو تهيئته ونحت غُرفٍ فيه وتسويره ليكون حصناً فريداً، كما نود أن نؤكد مرَّةً أخرى أن ما قاله الجغرافي الحفصي من أن القارة جبلٌ بالبحرين كما في رسم

---

[١٩٨] من الطريف أن قرية القارة هي القرية الوحيدة من القرى الأربع التي ليست ملاصقة لهذا الجبل، ففي حين أن كلاً من قرى التويثير والتيمية والدالوة تقع ملاصقة تماماً له فإن قرية القارة كانت تبعد عنه قبل التوسع بما يقارب الخمسمائة متر تقريباً.

القارة من معجم البلدان[199] فإنما هو يعني نفس هذا الجبيل الصغير المشار إليه هنا، وليس الجبل الكبير، وهذا النصّ للحفصي هو الذي سبب – كما أسلفنا – إرباكاً لا مزيد عليه لدى كُتّاب ومؤرخي هذا العصر، فهم عندما قرأوا هذا النصّ ذهب فكرهم إلى أن المعني هو الجبل الكبير لأنه في وقتهم هذا يعرف باسم جبل القارة فأسقطوا المسمى القديم على الحديث، وغاب عن خلدهم أن هذا الجبل اكتسب هذا الاسم – القارة – حديثاً، وأن اسمه القديم والصحيح هو الشبعان كما هو معروف، وعليه فإن نصّ الحفصي من أن القارة جبلٌ بالبحرين لا يريد به الجبل الكبير المعروف الآن بالاسم نفسه، بل أراد به هذا الجبيل العجيب الواقع الآن وسط قرية القارة، وكان في السابق يقع إلى الجنوب منها، والذي ظل محتفظاً بالاسم نفسه حتى اليوم.

وإذ عرفنا الآن أنَّ المقصود بجبل القارة الذي ورد في أقوال القدماء هو هذا التلّ المتوسط في قرية القارة، والذي لا زال يُعرف حتى اليوم باسم جبل راس القارة، فإننا نقرر هنا وبكل تأكيد وثبوت أن جبل راس القارة هذا هو نفسه قارة عُطالة الوارد ذكرها في نص ابن الأعرابي النادر، والذي كانت تقوم عليها قلعة المشقر، وأن حصن المشقّر هو نفسه هذا التلّ العجيب التكوين وليس سواه، وسوف نرى أن جميع الأوصاف التي قيلت عن المشقّر وما حوله تنطبق تماماً على هذا التلّ، ولكنني سأوضح ذلك بعد أن أسرد للقارئ قصّة اكتشافي لكون

[199] وانظر معجم المنطقة الشرقية للشيخ الجاسر نفس الرسم.

هذا التلّ هو تلّ المشقَّر، ولم يكن هذا التلّ مختفياً أو مجهولاً في الواقع بل كان كنار ٍ على علم، غير أنه لم يدر بخلد أحد أن يكون هذا الجبيل المعروف باسم جبل راس القارة هو صاحب الاسم المُدوِّي شهرةً في تاريخ جزيرة العرب (المشقّر)، وإليكم القصّة:

المُشَقَّرُ مُلْهِمُ الشِّعْرِ وَشَاْغِلُ البَاْحِثِيْنْ

منذ أن بدأت اهتماماتي بمعرفة تاريخ هذه المنطقة التي ولدت فيها، وأعني بها ما كان يُعرف في السابق باسم البحرين أو إقليم البحرين فقد كنت من أشد المعجبين بهجر وما ذكره لها المؤرخون وأحاطوه بها من هالة أخبارية تستحقها، وكان إعجابي يتركز حول عيونها وما بلغته من شهرة مدوية لغزارة مياهها وأنهارها ونخيلها حتى صارت مضرب الأمثال في ذلك، ومنه قولهم: (كناقل التمر إلى هجر)، (اسطِ مَجَرْ تُرطِبْ هجر)، (هجَرٌ ونصف القوت)، و(لا قَدْح إن لم تور ناراً بهجر)، إلى غير ذلك، ثم بدأ هذا الإعجاب يتركز بحصن هجر الأشهر المعروف في التاريخ باسم المُشَقَّر، وما ناله هذا الحصن العظيم من شهرة كبيرة وارتباطه بيوم يعد من أشهر أيام العرب عُرف في التاريخ باسم يوم المشقر أو يوم الصّفقة نسبة إلى صفقة باب هذا الحصن على بني تميم فيه حيث تم قتل الكثيرين منهم بداخله، وكنت دائماً ما أسأل نفسي هل من المعقول أن يكون حصناً بهذا الحجم وهذه الشهرة والعظمة يندثر بكل سهولة دون أن نعرف له اليوم أثراً؟.

ولطالما كان نصُّ ابن الأعرابي يشغل تفكيري ويأسرني في

نفس الوقت، وكنت دائماً ما أتسائل بيني وبين نفسي كيف لا يُهْتَدى لموضعٍ وُصِف بهذا الوصف الرائع الأخاذ، وهل هنالك دلالة أكبر من وجود قارة تقع بالقرب من مدينة هجر، وأنه يوجد في أعلى هذه القارة بئرٌ تثقبها إلى أسفلها حيث عين ماءٍ عظيمة في سفح هذه القارة لا ينضب معينها كانت المنهل العذب الذي يستقي منه أصحاب هذه القلعة، وهو ما جعلها تغدو قلعة حصينة عجز كلٌّ من حاصرها عن فتحها حتى ضُربت بها الأمثال في العزّ والمنعة.

وكُنت دائماً ما أخاطب نفسي: لو كان الأمر مجرّد حصنٍ أو قصرٍ لقلنا أنه اندثر مع عاديات السنين، ولو كانت عيناً لقلنا أنه قد نضب ماؤها أو دُفنت بفعل فاعل، وهو أمرٌ سهل حدوثه، وكذلك لو كان هذا المشقر مجرد بساتين لقلنا قد تغيّر رسمها الآن، وما أكثر البساتين التي تغيّرت رسومها في الواحة، ولكنَّ ما لدينا هنا هي قطعة من جبل أو تلٍّ صغير، وهذا التلّ ليس ككلِّ التلال، بل إن في أعلاه بئرٌ حفرها البشر تثقبه إلى أسفله، وهي علامة لا يمحوها الزمن، ولا بد أن تكون موجودة لأنها ليست بئراً أرضية حتى تدفن أو تندثر بل هي بئر في تلٍّ عالٍ أو هضبة شامخة، فكانت هذه الأسئلة وغيرها تطرح نفسها عليّ بقوة إلى أن جاء اليوم الذي ضحكت لي الأقدار فيه.

فِيْ قَرْيَةِ الطُّرَيْبِيلِ التَّارِيْخِيَّةِ اكْتَشَفْتُ المُشَقَّرْ

في إحدى زياراتي المتكررة والعديدة للأحساء، وكان ذلك في أحد أيام الشّتاء الجميلة - والأحساء في الشتاء تتحول إلى قطعة

من الفردوس - كان ذلك اليوم هو الرابع والعشرين من شهر شوّال لعام ١٤١٤ للهجرة، عندما كنت في القرية التاريخية المعروفة بالطريبيل، وهي نفس القرية التي عدّها ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان[٢٠٠] من قُرى بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس في هجر، وذكرها أيضاً ياقوت الحموي في معجمه، وقد قصدت هذه القرية في التاريخ المذكور في أثناء تجوالي في واحة الأحساء للبحث عن مسمّيات جغرافية قديمة، وكنت قاصداً لمزرعة فيها تُدعى (العُضَيْبيْ) التي تقع في أقصى الجنوب الغربي من قرية الطريبيل وإلى الشّرق مباشرة من موقع القرية القديمة المندثرة التي كانت ولا زالت تعرف بـ (عَسَلَّج)[٢٠١] وهذه المزرعة (العُضَيبي) يملكها أحد أعيان قرية القارة، وهو الحاج أحمد بن محمد آل حمود، والذي كان هو المقصود شخصياً لإشارة كثير من أهالي قرية القارة إليه على أنه من العارفين بالقرية والقرى التي حولها، وأسماء المواضع والبساتين في هذه الأماكن، وكان اهتمامي بمعرفة أسماء البساتين المحيطة بالجبل وقراه لعلمي بأن كثيراً من المدن والقرى القديمة في الأحساء كما هو الحال في بلدي القطيف قد أصبحت - بعدما حلَّ فيها الخراب - بساتين وحدائق مزروعة كما حصل لمدينة الزارة العظيمة في القطيف، وقرية (الوُجَيْر) التي عدّها ابن الفقيه الهمذاني من قرى بني

---

[٢٠٠] انظر الصفحة ٣٠

[٢٠١] لقد مرّ بنا ذكرها في النصِّ رقم (٤٥) حيث ذكر الأزهري أنَّ بعض خُلُج نهر محلم كانت تسقي هذه القرية.

محارب المذكورين قبل قليل، وهي اليوم بساتين نخيل تقع جنوب قرية الجبيل، والتي كانت تُعرف هي الأخرى في السابق باسم (جَبَلة)[٢٠٢] حيث لا زال الجزء الأوسط من هذه القرية يُعرف بنفس الاسم حتى اليوم.[٢٠٣]

ولم أكن في رحلتي تلك أعرف وأنا قاصدٌ للحاج أحمد آل حمود أنني كنت على موعدٍ مع اكتشاف التلّ الذي كان يُعرف في التاريخ باسمٍ شهير جداً هو المشقر، فبعد أن قام الرجل بآداب الضيافة والكرم المعروف عن أهالي الأحساء بصفة عامة بيَّنت له أنني من المهتمين بمعرفة مواضع الآثار القديمة في المنطقة، وأنني قد قُمت بزيارة قريته القارة، وأن الكثير من

---

[٢٠٢] وهي التي ذكر صاحب كتاب المناسك أنّها كانت في مملكة موسى بن عمران بن الرجَّاف من عبد القيس، وذكر أنها تقع أسفل هجر كما في المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، وقد ذكرها الحموي في معجم البلدان ونصّ على أنها لبني عامر من عبد القيس، ولا تناقض بين قول صاحب المناسك أنها كانت في مملكة موسى بن عمران بن الرجَّاف من عبد القيس وعد ياقوت إياها على أنَّها لبني عامر من عبد القيس، فموسى بن عمران بن الرجَّاف الذي ذكره صاحب المناسك هو من بني عامر الذين ذكرهم ياقوت، وجدُّ موسى هذا أعني الرَّجّاف هو أيضاً جد الزعيم العبدي العُريان بن إبراهيم بن الرجَّاف صاحب جواثى الذي ذكره المسعودي في التنبيه والأشراف كما مرَّ بنا، وذكره شارح ديوان ابن المقرَّب عند ذكره لمحاربة أبي سعيد الجنابي لأهل هجر، وقد مرَّ بنا تفصيل ذلك فيما مضى من هذا الكتاب عند الكلام على حرب أبي فديك بالمشقر، وقد رفع شارح الديوان المقرَّبي نسب العريان إلى بني عامر بن الحارث من عبد القيس، وهم المعنيون هنا في كلام ياقوت على انهم أهل جبلة، والذين ينتمي إليهم زعيمها موسى بن عمران بن الرجَّاف وابن عمّه زعيم جواثى العُريان بن إبراهيم بن الرجَّاف.

[٢٠٣] ينطقه أهلها بهذه الصورة: اِجْبَلَة.

أهلها قد أرشدني إليه، وأخبرني عن مدى خبرته بمعرفة أسماء المواضع والبساتين، فلم يرُعني إلا قوله لي دون سؤال وباللهجة الأحسائية الدارجة: (شِفتْ جَبَل رَأْس القارة؟) فذهب ظني إلى أنه يعني الجبل الكبير الشهير الذي كان يُعرف سابقاً باسم جبل الشّبعان، ويعرف حديثاً باسم جبل القارة كما بيّنت ذلك، وفيما استفسرت منه حول ما إذا كان يقصد هذا الجبل الكبير أجابني على الفور: (لاْ مُوْ هَذَاْك الجَبَل الكَبيْر .. هَذَاْك جَبَل القَاْرَة، وَأنَا أعْنِيْ جَبَلْ رَاْس القَاْرَةْ اللّيْ دَاْخِل البَلَدْ)[٢٠٤] هكذا قالها حيث عرفت أنه يقصد التلّ العجيب التكوين الذي ذكرنا قبل قليل، وقبل أن أسأله بادر هو إلى إخباري بما لم يصكّ مسامعي خبرٌ أحسن منه فيما أنا بصدده، حين قال لي أن في أعلى هذا الجبل بئرٌ محفورة إلى الأرض، وأن هذه البئر كانت تصل إلى عين أسفل الجبل أو التلّ لا زالت تُعرف حتى اليوم باسم عين (الخسيْف)، وأخبرني أيضاً أن العمالقة - كذا قال - كانوا يسكنون في هذا الجبل وداخله في الكهوف التي فيه حيث كانت به آثار بيوتهم ومساكنهم، وأنهم أي العمالقة كانوا قد حوصروا في هذا الجبل، فكانوا يأخذون الماء من عين الخسيف بواسطة البئر التي تثقب الجبل.

ولا أخفي شعوري في تلك اللحظات التي مرّت علي كالحلم، فها هو الحاج أحمد آل حمود يعيد إلى ذهني نفس الوصف الذي أرّقني كثيراً، وهو وصف ابن الأعرابي لقلعة

---

[٢٠٤] هكذا كتبتها كما نطق بها الحاج الحمود بلهجته الدارجة.

المشقر التي كانت تقوم على قارة أي جبل صغير يدعى عطالة، وأن في أعلى هذه القارة بئرٌ تثقب القارة إلى الأرض حيث مياه عين هجر، وهو نفسه كلام الحاج أحمد آل حمود رغم أن ما بين الرجلين أكثر من ألف ومأتين من السنين تقريباً، وبالتالي فإنني الآن لم يعد يتخامرني أي شكٍ في أن هذا التلّ المعروف باسم (راس القارة) اليوم هو المشقّر بكل عظمته وسموِّه، وكان كلّ همّي بعد سماعي لهذا الخبر من الحاج أحمد آل حمود هو أن أتخلّص من كلّ محاولات الكرم الملحة التي أبداها الحاج الكريم لاستضافتي على العشاء حيث أن الوقت كان بعد العصر، وكان هَمّي الشاغل هو توثيق هذه المعلومات فأي عشاء يخطر على البال حينها، وبعد جهدٍ جهيد، وبعد أن أخذ المواثيق مني بأن أعود إلى زيارته في وقت قريب سمح لي بمغادرة بستانه الفردوسي.

وبالفعل خرجت من مزرعته في الطُّريبيل على وجه السرعة ميمماً شطر قرية القارة وتلّها العظيم .. هذا التلّ الذي طالما مررت به عند زياراتي المتكررة للقرية، ولكن لم يدر في خلدي في تلك الزيارات السابقة أنه من الممكن أن يكون هو حصن المشقّر مع أن كلّ الأوصاف الظاهرية تنطبق عليه، وهاهي السيارة الآن تسير بموازاة الجبل العظيم الشبعان متوجهةً إلى قرية القارة التي ما إن وصلتها حتى رأيت ذلك التلّ الأشمّ يجثم قبالة ناظري مثل السَّبع المهيب[٢٠٥]، وبالفعل دلفت إليه على عجل، وكانت دقات قلبي أسمعها في أذني قبل أن أحسُّ

[٢٠٥] انظر الصورة رقم (٣).

بـها بـين جوانحـي، ومـا إن وصلـت إليـه حتـى تملّكـني شـعورٌ عجيـب لا يوصـف، فـها أنـا أخـيراً أمـام حصـن المشـقر العظيـم، وها أنا أمـام عـين الخسـيف الـتي تقع أسفل سـفحه الغربـي بميلـة إلى الجنوب[٢٠٦]

وَصْفُ المُشَقَّرْ

كـانت العـين في الواقـع عبـارة عـن غـار صغـير في الجبـل نفسـه[٢٠٧]، ولا يستطيع الرجـل البـالغ دخـول هـذا الغـار منتصبـاً إلا أن يحـني رأسـه قليـلاً، وكأنـه يـؤدي فـروض الطاعـة والـولاء التي تعـوّد عليـها هـذا الحصـن مـن قِبَـل مـن كـان يقصـده يـوم كـان في أوج عـزّه سـواء كـان للمـيرة أو للبيـع والشـراء في سـوقه الشـهيرة أو حتّـى لمشـاهدة مـا حولـه مـن طبيعـة خلاّبـةٍ طالمـا تغنّـى الشـعراء بـها.

ودخلـت إلى داخـل الغـار الصغـير أو العـين حيـث تبيّـن لي أنـها قـد رُدمـت بحصـى وتـراب يتضـح مـن الوهلـة الأولى أنـه بنوعـه وشـكله مخـالفٌ لصخـر الجبـل وحجارتـه الشـقراء الجميلـة وإلا لمـاذا سُمّي المشـقر إذاً، وكـانت العـين تـأخذ شـكلاً بيضويـاً طـول قطرهـا مـن الشـمال إلى الجنـوب ٥ أمتـار والقطـر الآخـر مـن الشـرق إلى الغـرب ٤ أمتـار، وكـانت فتحـة الغـار أو العـين متجهـة إلى الجنـوب الغربـي، وعنـد وقـوفي في وسـط الـردم الـذي رُدم بـه فُوَّهـة العـين رفعـت رأسـي للأعلـى مذهـولاً لمـا رأيـت، حيـث لم يكـن لهـذا الغـار في الواقـع سـقف في هـذا الجبـل وإنمـا كـان سـقفه

---

[٢٠٦] انظر الصورة رقم (٤).

[٢٠٧] انظر الصور بالأرقام: (٥)، (٦)، (٧) في آخر الكتاب.

مفتوحاً على هيئة بئر رباعي الشَّكل يتخذ شكل المعيّن الهندسي، وطول كلّ ضلع ٣ أمتار تقريباً، وهو منحوت في صخر التلّ بعمق يصل إلى ١٥ متراً تقريباً حتى يصل إلى العين التي تقع أسفله مباشرة[٢٠٨]، والتي أقف الآن فوق فوّهتها المردومة تماماً.

وقد كانت هذه العين في السابق محفورة في داخل الجبل نفسه تماماً كما في الوصف الذي ذكره ابن الأعرابي في النص رقم (٣٥) عندما قال عن هذه البئر أنها: " تثقب القارة حتى تنتهي إلى الأرض وتذهب في الأرض، وماء هجر يتحلّب إلى هذه البئر في زيادتها".

غير أنّه الآن لم تعد هذه البئر أو العين ذاهبةً في الأرض كما وصفها بل دُفِنَت الآن، وبقي منها فقط المغارة التي كانت العين تنبع منها بقوَّة، وقصبة البئر الهابطة من أعلى التلّ إليها، وقد كان لها في السابق مجرىً وحيداً كان الماء يخرج منه متفجراً نحو الجنوب الغربي، وهذا المجرى هو نفسه اليوم المدخل الوحيد لهذا الغار الذي كان يضم العين بداخله، وهذا الغار لا يسميه أهل القارة غاراً، بل لا يُعرف عندهم إلا باسم عين الخسيف.

وبعد أن أخذت بعض الصُّور للعين وبئرها خرجت من الغار، واتجهت شمالاً ماشياً فوق المصطبة التي يقوم التل عليها حيث شاهدت بعد ٢٥ متراً تقريباً مدخل مغارةٍ أخرى

---

[٢٠٨] انظر الصور: (٨)، (٩)، (١٠)، (١١) في آخر الكتاب.

يبدو من شكله المهذَّب أنه نُحتَ بأيدٍ بشرية[٢٠٩]، وظننت قبل الدُّخول فيه وبالقياس على ارتفاع مدخله المتواضع أنه ربما يكون بحجم غار العين السابق أو أكبر منه بقليل، ولكن سرعان ما اتضح لي عكس ذلك تماماً، فبمجرد أن دخلت من باب الغار الذي يقع في سفح الركن الشمالي الغربي لهذا التل العملاق والذي تتجه فتحته للغرب حتى أصبت بذهول عجيب، فإن مدخل الغار لا يوحي أبداً بما يُشاهدُ في داخله، فهذا المدخل لا يؤدي إلى مجرّد مغارة، بل إلى رواق مستطيل يبلغ طوله ٢٠ متراً في عرض ٤ أمتار[٢١٠]، وفي وسط هذا الرّواق نُحِتَ عمودٌ من سَقفِ الرّواق إلى أرضيته يصل ارتفاعه إلى المترين وهو بذاته ارتفاع سقف المغارة في هذا الجزء منها، وهذا العمود منحوت بشكلٍ جميل، فهو مُفلطَح عند السَّقف ثم يستدقُّ كخصر الإنسانٍ في وسطه، ثم يعود إلى التفلطح عندما يقترب من أرضية المغارة متخذا تقريباً هذا الشكل)([٢١١] وإلى الشرق من هذا العمود أو الأسطوانة توجد كُوَّة كالبوابة الصغيرة تنفذ إلى غرفة واسعة يتبع لها ما يشبه المستودعات الصغيرة التي تختفي خلف عمودين يشبهان العمود الذي وصفناه قبل قليل، وهذه الغرفة لا تتخذ شكلاً هندسيّاً معيناً، فهي في بدايتها تأخذ شكل مستطيل يمتد بطول الرّواق المتقدم ذكره، ثم إلى الشرق منه وبمساحة أقل تقع خلف العمودين غرفة

---

[٢٠٩] انظر الصورة رقم (١٢).

[٢١٠] انظر الصورة رقم (١٣).

[٢١١] انظر الصورة رقم (١٤).

أخرى غير متساوية الأبعاد، ولكن ما لفت نظري وجود نورٍ قوي ينساب إلى هذه الغرفة من الجهة الشمالية التي ما كدت أرفع بصري إليها حتى بدت أمامي بوابة أخرى لنفس المغارة تؤدي إلى خارج الجبل تقع في الجهة الشمالية منه، وهي أكبر من البوابة التي دخلت منها بكثير، وتشكل معها ما يشبه الرقم ٧ بالنسبة للرائي من داخل المغارة، فالبوابة التي دخلت منها مدخلها من الغرب، وهذه البوابة الأخرى مدخلها من الشمال، ويوجد بينهما كتلة صخرية من أساس التل بحيث تأخذ شكل زاوية حادة أو إذا توخّينا الدّقة فسنقول أنها تشبه الرقم ٧ كما أسلفت، في حين توجد كتل من الصخر كبيرة جداً تحجز بين نفس البوابتين من الخارج بحيث لا يستطيع أحدٌ أن يرى البوابة الأخرى وهو واقف عند البوابة الأولى من الخارج أمّا من الداخل فيراهما بكل وضوح، وحتى آلة التصوير استطاعت تسجيل ذلك[٢١٢].

هنا تذكّرت فجأة ما حصل لبني تميم يوم صفقة المشقر، فقد اتفق الجميع على أنَّ المقتولين والمأسورين منهم كان يُطلَبْ منهم أنْ يدخلوا من أحد أبواب هذا الحصن بحجّة أخذ أرزاقهم داخله على أنْ يكون خروجهم من بابٍ آخر فيه وهي حيلةٌ عملها حاكم الحصن لقتلهم داخله بحيث يظن إخوانهم المنتظرين خارجاً أنَّ إخوتهم الداخلين يأخذون ميرتهم ويخرجون من الباب الآخر للحصن حتّى فطن بعضهم للخدعة، وقد مرَّ بنا في النصِّ رقم (٥٦) قول صاحب كتاب

٢١٢ انظر الصورة رقم (١٥).

آثار البلاد عن المشقَّر أنه: " حصن بين نجران والبحرين على تل عال يقال انه من بناء طسم يقال له فج بني تميم لأن المكعبر عامل كسرى غدر بني تميم فيه."، ومن معاني كلمة (الفج): أنه الطريق الواسع في الجبل[٢١٣]، وهذا المعنى ينطبق تماماً على المدخل الشمالي لهذه المغارة، فهو واسع وداخل في الجبل.

وقد أضافت رواية التبريزي التي مرّت بنا عن يوم المشقر، فَسَمَّتْ أحد البابين بـ (باب السّوق) - أي سوق المشقر الشهير - والآخر (باب جيّار) الذي قُتِل بقربه الحُطَم أحد زعماء المرتدّين كما مرّ ذكره، وحسب هذه الرواية فإنّ الحرَس كانوا يدخلون التميميين من (باب السوق) على أنْ يخرجوا من (باب جَيَّار) فلا شكَّ أنَّ المدخل الشمالي لهذه المغارة هو باب السوق الذي كان التميميون يدخلون منه لأخذ أرزاقهم من هذه الغرفة التي أنا جالسٌ فيها الآن على أن يخرجوا من الباب الآخر وهو باب جيّار الواقع للغرب.

وأذكر في هذه اللحظة أنني جلست على صخرة كانت هناك لأستريح قليلاً، ولأسترد بعضاً من أنفاسي، وقد ارتسم أمام ناظري شريط مُصَوَّرٌ يعود بي إلى الوراء قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة رأيت فيه التميميين يدخلون إلى هذه المغارة واحداً واحداً أو خمسة خمسة - كما في بعض الروايات - يدخلون عزّلاً من السلاح من باب السّوق لهذه المغارة، والذي قلنا أنه البوابة الشمالية هنا على اعتبار أن البوابة الأخرى

[٢١٣] انظر لسان العرب مادة (فجج).

والـتي هـي بـاب جيّـار قريبـة مـن العـين ونـهرها بحيـث لا يكـون هنـاك متسـع مـن الأرض لإقامـة السـوق فيـها بعكـس البوابـة الشـمالية كمـا أن سـوق القـارة حتّـى وقـت قريـب، والـذي هـو وريـث سـوق المشـقر القديـم كـان يقـوم في جهـة البوابـة الشـمالية فاستأنسـنا بذلـك أن تكـون هـذه البوابـة الشـمالية هـي بـاب السـوق والبوابـة الأخـرى المطلـة علـى الغـرب هـي بـاب جيّـار، وعلـى كـلّ حـال دخـل التميميـون عـزّلاً مـن السـلاح مـن البوابـة الشـمالية هـذه علـى أن يـأخذوا ميرتـهم ويخرجـوا مـن البوابـة الأخـرى، ولكنـهم هيـهات لم يخرجـوا منـها بـل قُتلـوا داخلـها، وهـا أنـذا الآن جـالسٌ في وسـط المغـارة الـتي شـهدت سـفك دمـاء التميميـين، بـل هـا أنـذا جـالس وسـط المشـقر في عيطـاء مظلمـة كمـا في شـعر الأعشـى، ففـي لسـان العـرب: (وهَضْبـةٌ عَيْطـاء: مرتفِعـةٌ. وقـارةٌ عَيْطـاء: مُشْـرِفةٌ اسْـتطالتْ فـي السـماء) وهـاهو المعنـى اللغـوي لبيـت الأعشـى يتحقـق هنـا فـهذا التـل هـو بـالفعل مرتفـع ومشـرف ومسـتطيل إلى السـماء، والأعشـى أراد أن يقـول أن بـني تميـم قُتلـوا وسـط المشـقر تمامـاً في هضبـة مرتفعـة شـامخة، وهـو مـا يؤكـد بمـا لا مزيـد عليـه أن هـذا التـل (راس القـارة) هـو حصـن المشـقر نفسـه، ويزيـده تـأكيداً مـا مـرّ بنـا في النـص رقـم (٤) مـن قـول الأعلـم الشـنتمري: (والمشَقَّر بيـتٌ منقـور مـن حجـارة بـهجَر) فـهل بعـد كـل هـذا نحتـاج إلى أي دليـل آخـر لكـي يَثْبُـتُ لدينـا أن هـذا التـلّ هـو المشـقر أنـا لا أحتـاج لذلـك، ولا أعتقـد أن القـارئ بـات يحتـاج إلى ذلـك أيضـاً، فـهذا التـلُّ في أعـلاه البـئر الـتي تثقبـه إلى أسـفله إلى أن تصـل المـاء كمـا قـال ابـن الأعرابـي، وهـو تـلٌّ عـالٍ بـالفعل

كما ذكر ابن الفقيه الهمذاني، أو هضبة عيطاء مرتفعة ومشرفة ومستطيلة إلى السماء كما في بيت الأعشى، وهاهي هذه المغارة والمغارتان اللتان سنذكرهما بعد قليل بما فيهما من آثار يد الإنسان القديم تؤيد قول الشنتمري من أن المشقر بيتٌ منقور من حجارة بهجر، وهو عين ما أراده هشام الكلبي عندما قال عن القارة أنها جبيلٌ بنته العجم بالقُفْر والقير، فهو – رحمه الله – لم يرد المعنى اللفظي للفعل "بَنَىْ يبني"، وإنما أراد أنّ العجم نحتوا داخل هذا الجبل غرفاً ليسكنوا فيها، واستخدموا في ذلك القُفر والقير، فالقفر هي الزُّبل وقد استخدمها بناة المشقّر لإخراج الالحجارة المتخلفة عن عملية النحت داخل الجبل، والقير هو الزُّفْت، وقد استخدموه لطلي أسقف المغارات التي نحتوها داخل هذا التلّ لمنع تساقط الفتات الصخري عليهم أثناء جلوس الحاكم ورجاله.

ولإكمال الوصف لهذا التلّ العظيم فيجب القول أن هذه المغارة ذات المدخلين ليست هي فقط المغارة الوحيدة في هذا التل – وإن كانت هي الأكبر – فإلى الشرق مباشرة من هذه المغارة تقع مغارة أخرى غير متصلة بها من الداخل، وإن كان لهما نفس الجدار المشترك، والمغارة الشرقية أصغر من المغارة السابقة الذكر، وهي أي المغارة الشرقية هذه مليئة بقطع الفخار القديم والحديث، وينتصب أمام مدخل هذه المغارة مباشرة – وبشموخ – مسجد قديم ذو منارة اسطوانية غير مألوفة في بقية مساجد القرية والقرى المجاورة لها، وقد أكد لي أكثر من سألته عن هذا المسجد من أهالي القرية أنه قديم، وأنه معطّل منذ

مدة، وهذا ما جعلني أجزم بأنه هو المسجد الجامع بالمشقر الذي ذكره أبو عبيدة، ونقله عنه ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان كما في النص رقم (٣٣) غير أنّه قد رمم أكثر من مرّة بالطبع.

ويقع إلى الجنوب الشرقي من المغارة المذكورة وفي الجزء الشرقي من التل غرفة تُعدُّ بحق أجمل الغرف المنحوتة في هذا التلّ الأشم[٢١٤]، ويتجه باب هذه المغارة إلى الشرق ليستقبل ليستقبل شروق الشمس صباح كل يوم، وهذه الغرفة يتضح فيها وبشكل لا يقبل الشكّ أبداً أثرُ يد الإنسان متجليَاً في الإتقان الرائع لنحت مدخلها، والتهذيب المنسّق له، ثم لهندستها الجميلة من الداخل، فهي تشبه أول إقبالك على مدخلها الغرفة المستطيلة الرباعية الشكل وأبعاد هذه الغرفة هي ٤ × ٣ أمتار، ثم بمجرد أن تدخلها يرتسم أمامك مباشرة رواقٌ أكبر من الباب الخارجي وأوسع منه يؤدي إلى غرفة مستطيلة تمتد من الجنوب إلى الشمال، وتشكل مع الرّواق المذكور الحرف اللاتيني (T)، والمدهش أن أرضية هذه المغارة مُستوية ومُهذَّبة بعكس المغارات الأخرى، ولجمال تصميم هذه المغارة ودقة نحتها وتصميمها جزمت أنها هي مجلس الحاكم حيث كان يجتمع فيها مع رجال دولته المُعَيَّنيْن من قبل الفُرْس لإدارة الحكم في هذه البلاد التي كانت تابعةً لهم آنذاك، ولا يفوتني أن أذكر هنا بأنَّ أسقف جميع المغارات في هذا التلّ باستثناء مغارة العين التي لا سقف لها هي مغارات قد طُليت

---

[٢١٤] انظر الصورة رقم (١٧).

جميعها بالقار الأسود، وهو ما يلاحظه القارئ من بعض الصّور المرفقة بهذا البحث، وأذكر أنني عندما شاهدت ذلك قفز إلى ذهني لحظتها نصُّ هشامٍ الكلبي حول ما عمله العجم في هذا الجبل، واستخدامهم في بناءه للقفر والقير، وقد أوضحنا قبل قليل أن القفر هي الزّبل التي تستخدم لجمع الحجارة، وأن القير هو الزّفت أي القار، وبات أكثر وضوحاً لنا الآن ما أراده عَلاّمة العرب هشام من قوله عن هذا الجبيل أنه بنته العجم بالقفر والقير، فهو لم يرد أن يقول أن العجم بنتْ هذا الجبيل، فهو خلقة إلهية لا دخل للإنسان فيها، ولكنَّ هشاماً أراد ببناء العجم هنا هو نحت هذه الغرف فيه، فهي من صنع الإنسان لا محالة، ويُعرف ذلك بمجرد النظر إليها، ومنها يتضح لنا مدى الأهمية التي أولاها ملوك الفرس لنحت هذه المغارات في هذا التل إلى درجة أنهم جلبوا لذلك البنائين والفعلة من أرض فارس ثم لم يكفهم ذلك حتى أرسلوا لهم النساء ليتزوجوا بهن ويستوطنوا هذا المكان أي المشقر، كما لا يفوتنا أن نلتفت إلى إشارة هشام في نصّه عن جبيل راس القارة أنه في فلاة من الأرض[٢١٥] إلى اليوم أي عصر هشام، وذلك يرجع إلى أن ما بين تل المشقر هذا وبين جبل الشبعان الكبير الواقع شرقه بمسافة تقدر بـ ٥٠٠ متر خالية من النخل والزرع والنباتات، إضافة إلى أن شمال هذا التل وشماله الشرقي بنفس المسافة هو أرض ذات طبيعة صخرية غير منبتة للزرع على عكس باقي الأرض المحيطة بهذه المنطقة حيث هي مكتظة

---

[٢١٥] الفلاة: القفر من الأرض. انظر لسان العرب مادة (فلا).

بمزارع النخيـل، وهـذا هـو عـين مـا أراده هشام مـن قولـه أنّ القـارة في فـلاة مــن الأرض، فكأنــه أراد أن يقــول أنّ هــذه الرقعــة الــتي يوجـد فيـها تـلّ المشـقر هـي رقعـة جـرداء قفــراء مــن الـزرع علــى عكـس الأرض المحيطـة بـها الـتي هـي مكتظـةٌ كمـا قلنـا بمـزارع النخيـل، وقـد أتـاح وجـود تـلّ المشقّر في هـذه الرقعـة القفـراء وسـط غابـات النخيـل أن جعلـها مهيئـة لبنـاء البيـوت فيـها حتـى أصبحـت القريـة المعروفـة اليـوم باسـم قريـة القـارة[٢١٦]، والـتي يرجـع الفضـل في تأسيسـها لوجـود تـل المشـقر هـذا وحصنـه الـذي كـان مبنيـاً علـى هـذه القـارة الـتي أسماهـا ابـن الأعرابـي (عطالـة) كمـا في نصّه الشـهير المتقـدم[٢١٧]، وقـد ظـلَّ هـذا التـلُّ محتفظـاً باسمـه المضاف (القـارة)، ونُسـي اسمـه المضـاف إليـه وهـو (عُطالـة) مـع مـرّ السنين والعصـور.

المُشَقَّرُ حِصْناً وَمَدِيْنَةً

لقد مـرّ بنـا في النـص رقـم (٥٠) أن كسـرى أمـر هـوذة بـن علـي أن يبـني لعمالـه مدينـة بـهجر تكـون ملجئـاً لهـم عندمـا تغـدر بـهم العـرب إلى أن تأتيـهم النجـدة فبنـى الحصـن المعـروف بالمشـقر كمـا ذكـر ذلـك محمـد بـن عمـران البصـري العبـدي في كتابـه العفـو والاعتـذار، وهـذا الكـلام صحيـحٌ في بنـاء مدينـة قـرب حصـن المشـقر لا حصـن المشـقر نفسـه، والـذي كـان موجـوداً قبـل هـوذة بزمـنٍ كثـير، وإن الفعلـة الذيـن جـيء بـهم مـن فـارس لعمـل الغـرف الـتي

[٢١٦] انظر الصورة رقم (١٦) لقرية القارة وتلّ المشقّر، ولاحظ أنّها صورة مقرّبة لما كان عليه حال مدينة المشقر وحصنها في السابق قبل أن يصبح اسمها القارة.

[٢١٧] انظر النصّ رقم (٣٥).

في هذا التلّ والتي لا زالت موجودة حتى اليوم هم أقدم من هوذة بكثير، وإنما عمل هوذة تمثّل - كما هو واضح من النص هنا - في بناء مدينة تلتصق بهذا التل الشامخ المسمى المشقر من قديم، وهذه المدينة التي بناها هوذة بن علي هي الأساس الذي قامت عليه وتوسعت بإزائه بيوت أحاطت به من ناحيته الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية مؤسسةً بذلك للمدينة التي عُرِفت فيما بعد باسم مدينة المشقر، والتي تقوم على أنقاضها اليوم قرية القارة، لأن من أبسط القواعد التي كانت تقوم عليها الحصون القديمة هو وجود من يسكن داخل الحصن وخارجه ممن تعتمد معيشة أصحاب الحصن عليهم، كما أن من طبيعة الناس في هذه المنطقة قديما أنهم كانوا يفضلون أن تكون مواضع سكنهم بالقرب من حاضرة الحكم لتوفير سبل الحماية لهم وفي نفس الوقت يستفيد الحكام منهم في رعاية بساتين النخيل وتوفير مؤن المعيشة وعدة الدفاع لهم كصناعة السيوف والرّماح التي كانت مشتهرة في هذا الموضع بالذات أي هجر وقراها، فقد برز من بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بطنٌ مشهور هم بنو الحطمة بن محارب بن عمرو، وهؤلاء كانت شهرتهم في صنع الدروع التي عُرفت في التاريخ العربي باسم الدروع الحطمية، وبنو محارب هؤلاء هم سكان هجر منذ القدم، وقراهم التي ذكرها ابن الفقيه في كتابه البلدان جُلُّها لا زال معروفاً حتى اليوم مثل الحوطة والرميلة وعسلج والطريبيل والقرحاء[218] والوجير[219] وهي كلها قرى تحيط

---

[218] هي التي تقوم عليها اليوم قرية التويثير الواقعة في الركن الشمالي الشرقي لجبل

تحيط بجبل الشبعان المعروف اليوم باسم جبل القارة[٢٢٠]، فكان هؤلاء الناس وبيوتهم هم الأساس الذي توسعت لأجله القرية المعروفة اليوم باسم القارة، والتي كانت تُعرف في السابق باسم مدينة المشقر، والتي بيّنا فيما مضى أنها إنما سُميت باسم القارة نسبةً إلى هذا التل الذي كانت تقوم فوقه قلعة المشقر والذي كان يُعرف في السابق باسم قارة عطالة، أو القارة على الإطلاق، فإلى هذا الاسم الأخير نُسبت هذه القرية وأصبح يُطلق على التل اسم راس القارة تمييزاً له عن القرية التي اتخذت نفس الاسم، واحتكرته بامتياز بحيث صار اسماً لها عند إطلاقه دون غيرها بما في ذلك صاحب هذا الاسم الأصلي وهو تلّ المشقر أو قارة عطالة.

وقد كان لبلوغ هذه القرية من الشهرة حداً كبيراً أنها لم تكتفِ بنسبة تل المشقر لها بعد أن كانت منسوبةً إليه، بل وأضافت لها جبلاً آخر أخطر منه وأكبر بكثير هو جبل الشبعان الذي أصبح بقدرة قادرٍ يُعرف باسم جبل القارة نسبةً إلى هذه القرية، وهي تسمية ليست قديمةً كما كررنا ذلك مراراً، ومن هنا فإننا نعذر الشيخ حمد الجاسر في ردّه كلام هشام بن الكلبي عندما قال أن القارة جبيل بنته العجم بالقفر والقير فإن فكر الأستاذ الجاسر قد ذهب إلى أن المعني بهذا

القارة (الشبعان)، ولا زال وسط قرية التويثير يعرف حتى اليوم باسم القرحاء.

[٢١٩] وقد أصبح اليوم موضع نخل يعرف بنفس الاسم لآل الشايب من أهالي قرية الجبيل في الأحساء.

[٢٢٠] وسيأتي مزيد تفصيل حول ذلك عند الكلام عن مدينة هجر فيما يلي.

الجبيل هو هذا الجبل المعروف الآن باسم القارة وقديماً باسم الشبعان[٢٢١]، وقد أوضحنا فيما سبق أن قول هشام هو في غاية الدقة ولا سيما قوله عن هذه القارة أنها جبيلاً وليست جبلاً، فالجبل المعروف اليوم باسم جبل القارة لا يمكن أن يطلق عليه نعت جبيل فهو جبلٌ بكلّ جدارة، ولكن مراد هشام هو القارة التي تقع اليوم وسط قرية القارة، وهي نفسها قارة عطالة التي ذكر ابن الأعرابي أن قلعة المشقر كانت تقوم عليها والتي في أعلاها بئر تثقبها إلى أسفلها، وهي المعروفة اليوم باسم راس القارة، وبالتالي فإن قول هشام عنها أنها جبيلٌ وأن العجم بنته بالقفر والقير وأنها في فلاة من الأرض كل ذلك صحيح كما بيّنا مع توجيه قوله ببناء العجم له أي نحت غُرف بداخله، وهو عين ما نصّ عليه الأعلم الشنتمري المتقدم في النص رقم (٤) من أن المشقر منقور من حجارة بهجر، وهو المعنى نفسه الذي أراده هشام، ولم يرد غيره.

كما ينبغي أن لا ننسى هنا قول شارح شعر ابن المقرب الذي مرّ بنا في النص رقم (٥٥)، وقوله عن المشقر أنه سُمي مشقراً لأنه طُلي بالشّقر، والشّقر صبغ أحمر، ففي الواقع إن تلّ القارة هو أشقرٌ بالفعل، ولكن لا نستطيع الجزم بما إذا كانت هذه الشقرة هي صبغٌ من صنع البشر أم هي خلقة فيه، والأقرب الثاني.

إذاً فقد وصلنا الآن إلى نهاية المطاف بالنسبة لتحديد

---

[٢٢١] لا زال هذا الجبل يُعرف حتى اليوم باسم جبل الشبعان أيضاً عند بعض أهالي الأحساء ومثقفيها كما أسلفنا.

المشقر، وقد عرفنا أن هذا التلّ الذي لم يكن يثير أي اهتمام لأحد في السابق - اللهم إلا غرابة شكله - أنه هو بعينه التل الذي عُرف في التاريخ باسم المشقر الذي لا زالت أصداء ذكره تتردد في كتب الأدب والتاريخ العربيين، وها نحن نرى أن كل الصّفات التي ذكرها أعلام الثقافة العربية عن المشقر تنطبق انطباقاً تاماً على هذا التلّ العظيم الذي يقع اليوم داخل قرية القارة في وسطها.

وَثِيقَةٌ خَطِيْرَةٌ تُؤَيِّدُ نَصّاً يَقْدُمُهَا بِأَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ سَنَةْ

لقد مرَّ بنا في النصّ (٣٨) كلاماً هاماً للجاحظ دوَّنه في كتابه الحيوان ذكر فيه أنّ الناس كانوا يعمدون إلى المواضع التي تخلد مع الزمان فيكتبون عليها ما أرادوا تخليده لئلا يُمحى، ونصٌّ كلامه نعيده هنا للأهمية حيث قال:

" وكانوا يجعلون الكِتَابَ[٢٢٢] حَفْرَاً في الصُّخُوْر وَنَقْشَاً في الحِجَارَة وَخِلْقَةً مُرَكَّبةً في البُنْيَان فربَّما كان الكتابُ هو الناتئ وربّما كان الكتابُ هو الحفر إذا كان تاريخاً لأمر جَسيم أو عهداً لأمرٍ عظيم أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره أو تطويل مدته كما كتبوا على قُبَّةُ غُمْدَان وعلى باب القَيرُوان وعلى باب سَمَرْقَند وعلى عمود مأرب وعلى (رُكْنِ المشقَّ) وعلى الأبلَق الفَرْد وعلى باب الرُّها يعمِدُون إلى الأماكن المشهورة والمواضع المذكورة فيضعون الخطَّ في أبعدِ المواضع من الدُّثور وأمنَعِها من الدروس وأجدرَ أنْ يراها من مرَّ بها ولا تُنسى على وجه الدهر ". انتهى نصُّه

---

[٢٢٢] يقصد الكتابة، وليس الكتاب المتعارف عليه.

ولقد كنت أقول لنفسي كلَّ مرَّة أقرأ فيها هذا النصّ ليت شعري ما الذي كان مكتوباً على حصن المشقَّر، وفي أيّ ركن من أركانه كانت هذه الكتابة، وكنت أتحسَّر لعدم وجود متخصصين أكفاء في مجال التنقيب عن الآثار أو هيئة متخصصة في ذلك حتّى يتم التنقيب بكلٍّ دقّة حول هذا الحصن العتيد، لاكتشاف المزيد والمزيد عنه، ولكن ذلك شيءٌ أشبه بالحلم.

وما راعني إلاّ اتصال أحد المثقفين من أهالي قرية القارة[٢٢٣] ممن لهم اهتمامٌ واضح بدراسة الآثار الكثيرة التي تزخر بها بلده وما حولها من قرى، وكان قد قرأ بحثي هذا لأنني قبل أن أنشره الآن في كتاب خاص به، كنت قد نشرته في بعض مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت)، كما إنني قمت بطبع بضع نسخ منه وأهديتها لبعض المثقفين في الأحساء والمنطقة عامّةً حيث كان قصدي من ذلك أن يطّلع عليه من لعله يصحح خطئاً وقعت فيه أو يضيف لي علماً لم أكن أعرفه من قبل فأضيفه، وقد تحقق ذلك مع هذا الأستاذ الفاضل الذي فاجئني بقوله أنَّ بحوزته بعض الأوراق المقتطفة من سجلٍّ عثماني اسمه (سالنامة ولايت بصرة) كُتبَ عام ١٣١٨ هجرية، وأنّ في هذه الأوراق ذكرٌ لقلعة قديمة تقع بالقرب من قرية القارة، وقد كُتب عليها بالعبرانية تاريخ بنائها.

وكم كانت دهشتي عظيمة لسماعي مثل هذا الخبر لأنّ فيه تصديقٌ لكلامٍ قاله الجاحظ قبل أكثر من ١٠٦٠ عاماً حول

---

[٢٢٣] هو الأستاذ الفاضل أحمد بن عبد المحسن البدر.

الكتابة على أحد أركان المشقر، وقد تكرَّم الأستاذ الفاضل فصوَّر لي هذه الأوراق، وأهداني إياها، وكان فيها بخصوص هذا الأمر ما أنقله للقارىء نصّاً، وهو كما يلي[224]:

" .. وعلى مسافة ساعتين من مركز اللواء[225] خَرابةُ قلعةٍ قديمة بالقُرب من قرية (قارة)، وفي جهتها الشرقية جدار على ارتفاع خمسة أذرع، وهذا الجدار محكم متين مبني بالحجارة والجَصّ، وعليه تاريخ بالعِبرانيّة هو باقٍ للآن، وقد يُعلم منه أنّ القلعة مبنية قبل ألف وثمانمائة وثمانين سنةً، وقد خربت من زمنٍ بعيد." انتهى نصُّه.

فإذا كان هذا السجلّ كُتب - كما ذكرنا - عام ١٣١٨ للهجرة، فهو يوافق العام الميلادي ١٩٠٠، وكاتب هذا السجلٍ يقول أنّه قد يُعلم من التاريخ المكتوب على جدار القلعة بالعِبرانية أنها بُنيَت قبل ١٨٨٠ سنة، فإنّ تاريخ بنائها حسب ما ذكر هو العام ٢٠ للميلاد، فإن صحّ ما ذكرهُ كاتب هذا السجلّ، فإنه يمثل اكتشافاً خطيراً لعام بناء حصن المشقر الصحيح، وهو العام ٢٠ للميلاد، وقد جزمت بذلك لأنه لا يتخامرني أدنى شكّ في أنَّ هذه القلعة المؤرخ بناؤها، والتي ذكرها كاتب هذا السجلّ هي قلعة المشقر بذاتها، وهي رأس القارة.

وبالفعل فإنّ بعض أهالي قرية القارة، وحتى وقتنا هذا لا زالوا يتذكرون وجود حجرٍ بمثل هذه الصفة التي ذكرتها السالنامة، ومنهم السيد نافع بن عبد الله بن عبد المحسن الشخص الذي أخبرنا أنّه شاهد بأمّ عينيه هذا الحجر المبني بالحجارة والجصّ، والمنقوش عليه

---

[224] سالنامة ولاية بصرة عام ١٣١٨هـ، جغرافيا لواء نجد الصفحة ١٤٠.

[225] يقصد مدينة الهُفوف.

كتابة لم تكن باللغة العربية التي يحسن قراءتها، وقد حدّد موقعه في الجهة الشمالية لجبل رأس القارة ملاصقاً له أمام مدخل المغارة المزدوجة التي قلنا في البحث أنها فج بني تميم، وأضاف السيد الشخص أنّهم استيقظوا في أحد الأيام فلم يجدوا لهذا الحجر أي أثر بحيث سُرق بليل.

وقد أكد لنا السيد حسن بن السيد محمد بن السيد هاشم العبد المحسن من أهالي القارة أنّه شاهد هذا الحجر أيضاً، ولكنه أضاف أنَّه في ليلة من الليالي جاء إلى البلد بعض الأمريكيين بمعيّة بعض البدو الذين أحضروا جمالهم، فاقتلعوا ذلك الحجر المنقوش، ثم ساروا به مدلجين إلى ميناء العُقير، وفي صبيحة اليوم التالي سار على أثرهم راشد آل مهدي ورجل آخر من أهالي القارة إلى أن وصلا العُقير، فوجدا الحجر قد قَصُّوا منه الجزء المنقوش عليه وأخذوه معهم، ورموا باقيه الذي أعادوه إلى البلد، وقد أخبرنا السيد حسن المذكور أنّ ذلك قد تمّ قبل حوالي ٤٠ – ٤٢ عاماً أي بين العامين ١٣٨٢ – ١٣٨٤هـ أو قبلهما بقليل.

الجدير بالذكر أنّه قد زار واحة الأحساء في الحقبة نفسها العالمُ الأمريكي فيدريكو فيدال الذي ألّف كتابه عن واحة الأحساء عام ١٣٧٢هـ، وهو مطبوع الآن، وقد ذكر فيه كل صغيرة وكبيرة أو شاردة وواردة من آثار الأحساء التي في غياهب الأرض وبطون الجبال ومساقط الأودية، ولكنه لم يذكر شيئاً عن هذا الحجر البارز للعيان!!، ولعلَّ الأكمة وراءها ما وراءها.

وعلى أية حال، ووفق هذا الحجر فإنّ تاريخ بناء حصن المشقر أو نحت غرف للسكن فيه كان في العام ٢٠ للميلاد.[٢٢٦]

---

[٢٢٦] مع ملاحظة أنَّ نحت الغرف في هذا الجبل قد لا يكون تمَّ كما هي عليه الآن في ذلك التاريخ المحدد وهو ٢٠ للميلاد، بل من المؤكد أنَّه قد تم نحت غُرفة واحدة أو اثنتين في ذلك الوقت، ثم تعاقب النحت والحفر فيه على حقب متفاوتة.

الصَّفَاْ: الحِصْنُ التَّوْمْ لِلْمُشَقَّرْ

بعد اكتشاف تل المشقّر، والرجوع إلى بلدي القطيف كان لا بد أن أرجع إلى النصوص الجغرافية التي ذكرت الصَّفا مرّةً أخرى للبحث والمقارنة، وفي الواقع فإن النصوص التي لدينا يندر أن تذكر الصفا مفرداً، وإنما تقرنه دائماً مع المشقر ومحلم أو مع أحدهما، وبالذات المشقر.

وقد ذُكر الصَّفا كما مرّ بنا في أول الكتاب في النصوص التي تحمل الأرقام: (٣)، (٤)، (٨)، (١١)، (١٢)، (١٧)، (١٨)، (٢٣)، (٢٥)، (٢٦)، (٢٧)، (٢٨)، (٣١)، (٣٢)، (٣٣)، (٤٥)، (٥٤)، (٥٥).

ومن هذه النصوص يتضح لنا أنَّ الصَّفا مدينة أو حصنٌ قريب من حصن المشقَّر، ولكن ورد في النصَّين (١٨)، و(٤٥) أنّ الصَّفا نهرٌ يتخلج من نهر محلّم[٢٢٧]، وأما النصُّ رقم (٢٧)، فهو النصُّ

[٢٢٧] لا تناقض إطلاقاً من كون صَفا هجر يذكر مرَّةً على أنَّه حصن ويذكر مرَّةً أخرى على أنَّه نهر، ومرَّةً ثالثة على أنَّه جبل، فهي جميعها الصَّفا نفسه، لأننا سوف نرى بعد قليل أنّ الصَّفا هو حصنٌ قائمٌ على جبل أو تلٍّ مرتفع، وبالتالي فإنّ الاسم كان يطلق في أولا الأمر على جبلٍ هناك، ثم بُني فوق هذا الجبل أو في داخله حصنٌ أطلق عليه اسم حصن الصَّفا نسبةً إلى هذا الجبل، وأمّا نهر الصَّفا، فقد جرَت عادة الأهالي لدينا في المنطقة أنْ يطلقوا الأسماء على أنهار العُيون حسب وجهة هذا النَّهر في كثيرٍ من الأحيان، فهناك نهرا المازني والحريثي اللذان يأخذان من عين الحقل سُمِّيا بهذا الاسم لأنهما يسقيان منطقة بساتين تحملان الاسمين نفسيهما، ونهر الضاحية الذي يأخذ من عين الجوهرية سُمِّي بذلك لأنه يتجه بالريّ نحو نخلٍ يحمل الاسم نفسه أيضاً، ومن هنا فإنَّ تسمية هذا

النصُّ الوحيد الذي وردت فيه الإشارة إلى أنَّ الصَّفا قد يكون جبلاً أو تلاً مرتفعاً.

وفي حين أن كتب المعاجم الجغرافية والمصادر التاريخية لم تولي الصّفا تلك العناية أو حتى نصف العناية التي أولتها للمشقر إلاّ أن ما ذكرته هذه المصادر عن الصّفا أصبح كافياً ووافياً بعد معرفة التل الذي كان يقوم عليه المشقر والذي يجب أن يكون مقابلاً للتلّ الذي كان يقوم عليه حصن الصَّفَا.

ومن النصوص التي ذكرنا قبل قليل نستنتج أن المشقر والصفا ليسا قريبان من بعضهما وحسب، وإنما هما متشابهان في أغلب صفاتهما، فكما أن حصن المشقر كان مبنياً فوق تل عال[٢٢٨] فإن حصن الصفا أيضاً يجب أن يكون كذلك، وهو ما يدل عليه النصّ رقم (٢) من قول امرئ القيس عن النخل الذي بين الحصنين أنها دوين الصّفا ويلين المشقر، ونفس الشيء يقوله عرفطة بن عبد الله الأسدي في النصّ رقم (١١) من أن هذا النخل يحفُّ بالمشقر ودوين الصفا، وهذا يقتضي التشابه والتقارب والتماثل بين الحصنين لأننا لا يمكن أن نتوئم[٢٢٩] بين حصنين يمر بهما نهرٌ عظيم كمحلم ويكون أحدهما على الأرض والآخر فوق تلٍّ عالٍ ولكن هذه المقارنة تصحّ إذا كان الحصنان على نفس المستوى من العلوّ والتشابه، ومما يزيد هذه الصورة

النهر بنهر الصَّفا فلأنّه كان يتفرع من نهر محلم الكبير ويتجه نحو حصن الصَّفا هذا ليسقي النخيل الواقعة في جهته، فدعي بنهر الصَّفا لذلك.

[٢٢٨] انظر الصورة رقم (١٨).

[٢٢٩] من التوءمة.

وضوحاً هو قول أبي عبيدة في النص رقم (٣٣) من أن قصبة هجر المشقر والصفا والشبعان، ونحن نعرف الآن أن المشقر تلٌّ عالٍ والشبعان هو الجبل المعروف اليوم باسم جبل القارة، وبما أن هذين الموضعين هما كتلتان جبليتان، فمقتضى التخمين أن يكون الموضع الثالث المقرون بهما من قصبات هجر، وهو الصفا هو أيضاً جبلٌ مرتفع أو تلٌّ عالٍ، كما ينبغي أن لا ننسى المعلومة المكملة لنص أبي عبيدة السابق هذا، وهو قوله: " وبين الصفا والمشقر نهرٌ يجري يقال له العين " وهذا يقتضي كما أسلفنا المقاربة بين الحصنين وتشابههما، كما أنه توجد لدينا قرينة أقوى من ذلك في رواية هشام بن الكلبي ليوم المشقر أو الصَّفقة، وهو قوله في النصّ عن بني تميم: (فأدخلهم المشقر، وهو حصنٌ حياله حصنٌ يقال له الصفا بينهما نهرٌ يقال له محلم، فكلمة حياله لا تدل على المقاربة فحسب، بل والمشابهة أيضاً في التصميم والشكل، وهو ما يبدو أكثر وضوحاً في كلام ابن الفقيه في النصّ رقم (٣٧) الذي ذكر كلاماً مشابهاً لكلام أبي عبيدة، فقال عن المشقر: " هو حصنٌ بين نجران[٢٣٠] والبحرين يقال أنه من بناء طسم، وهو على تلٍّ عالٍ، ويقابله حصنُ بني سدوس، ويقال أنه من بناء سليمان بن داؤود عليهما السلام " وحصن بني سدوس هو نفسه الصّفا كما بينا فيما مضى، وقول ابن الفقيه أن المشقر على تلٍّ عالٍ يقابله حصن بني سدوس هو نفسه قول هشام بن الكلبي عن المشقر هو

---

[٢٣٠] سبق وأوضحنا في شرح النص (٣٦) أن نجران هذه هي نجران هجر في البحرين، وليست نجران الجنوب.

حصن حياله حصنٌ يقال لـه الصّفا غـير أن نـص ابـن الفقيـه نسب الصّفا إلى سكانه وهم بنو سدوس الذين بيّنا أنـهم أغلـب الظن تميميون، ونص ابن الفقيه هذا أكثر دلالة بقوله " يقابله " من قول هشام " حياله " فالمقابلة تقتضي كون المتقابلين على نفس المستوى تماماً من حيث العلوّ والهيئـة والشكل، غـير أن ياقوتاً الحموي قد ذكر نصّاً آخر أكثر دلالةً أيضاً حيث قال في رسم (المشقر): وقال غيره – يعني غير ابن الفقيه –: " المشـقر حصنٌ بالبحرين عظيم لعبد القيس يلي حصناً لهم آخر يقال له الصّفا قِبَلَ مدينة هجر، والمسجد الجامع بالمشقر، وبـين الصّفا والمشقر نهرٌ يجري يقال له العين، وهو يجري إلى جانب مدينة محمد بن الغمر. انتهى " وما يعنينا هنا أن نؤكد أن كلمة يلي تعني قرب الحصنين من بعضهما، وقد سبق وقرأنا النصَّ رقـم (٢٧) لذي الرمّة حيث ذكر فيه خيشـوم الصَّفا وأميله، وبينـا هنـاك أنّ الخيشـوم والأميـل مسميات خاصّـة بالجبـال، وتـدل على العلوّ، وهذا النـصّ صريح في دلالتـه علـى أنّ الصَّفا يقـع على تلٍّ عالٍ أو جبل، ولكن لأننا لسنا جازمين إنْ كان الصَّفا الذي ذكره ذو الرمّـة هـو صفا هجـر أم لا فقد ذكرنـاه هنـا في الأخير، فإن كان مراد ذي الرمّة هو صفا هجر، فحينها يكـون النصّ (٢٧) دليل صريح لا يقبـل الشكّ علـى أنّ الصَّفا يطلـق على جبيل أو تلٍّ عالٍ مثلما هو المشقَّر، ويقع بالقرب منه ومن جبل الشـبعان العظيم.

جَبَلُ الشَّبْعَانِ يَكْشِفُ عَنْ حِصْنِ الصَّفَا

إنَّ النتيجة التي توصَّلت إليها قبل قليل هي ما جعلني أقوم

برحلة أخرى للأحساء تكون مخصصة هذه المرّة لاستكشاف التلّ المفقود لحصن الصّفا، وبعد وصولي إلى قرية القارة ثم قرية التويثير قاصداً لمسجد قديم يقع إلىٰ الجنوب منها فوق دكةٍ صخرية من جبل الشبعان، وبعد أداء صلاة الظهر والعصر قصدت إلى المكان الذي أعدته الحكومة فوق الجبل للمتنزهين، والمؤدي إلى أكبر مغارات هذا الجبل العجيب البارد صيفاً والدافئ شتاءً، وتعرف هذه المغارة باسم (غار النَّشاشيب) غير أن هذه المغارة الباردة لم تكن ما أقصد إليه، وإنما قصدت إلى مكان يسهل الارتقاء منه إلى أعلى مكان في الجبل أستطيع الوصول إليه، وفي بعض المواضع من الجبل توجد مثل هذه الأماكن، وبعد أن وصلت إلى أعلى ارتفاع ساعدتني لياقتي للوصول إليه بحيث انكشف أمامي هذا البساط الأخضر الرائع من النخيل الباسقة التي تحيط بالجبل على مد البصر من جميع الاتجاهات، وهو ما ذكرني بقول أحد الأعراب الذين حفظت لنا كتب الأدب العربي شعره الذي يقول فيه:

وَقَفْنَ بَيْنَ (رَمْلَةٍ) وَ (قُفٍّ) وَبَيْنَ نَخْلِ (هَجَرَ) الْمُلْتَفِّ

فها أنا وسط هجر، وعلى جبلها الأشم الشبعان الذي هو في وسطها تحفُّ به أنهارها وبساتينها كما قال شارح ديوان ابن المقرب في النص رقم (٤٨) وهاهو النخل الملتف بهجر، ولكنني مع ذلك لن أسترسل هنا في وصف هذا الجبل الشامخ، كما إنني سوف أرجئ القول عن الموضعين القديمين (رَمْلَة) و (قُفّ) إلى بحث آخر، أما ما يشغل بالي الآن فهو تفكيري الذي راودني في تلك اللحظة من أنه لا بد من وجود جبلٍ أو تلٍّ عالٍ

غير تلّ القارة الشهير (المشقر)، وما هو إلا أن أدرت الطرف ناحية الشمال الشرقي من جبل الشبعان حتى أصبت بذهول مثل الذي أصابني عندما عرفت التل الذي كان يقوم عليه حصن المشقر.

كان سبب ذهولي هذه المرة هو مشاهدتي إلى الشمال الشرقي لجبل الشبعان بمسافة ٧٠٠ متر تقريباً جبلاً آخر غريب التكوين – عرفت فيما بعد أن الأهالي يسمونه حالياً بجبل أبي الحصيص – وبإزائه تلٌّ يشبه كثيراً تلّ المشقر أو راس القارة في قرية القارة من حيث الحجم والشكل، وكذلك الحال من حيث وجود صخرة منحوتة على هيئة الرؤوس الثلاثة التي على تل المشقر ولكن دونها في الفن والإبداع والدقة التي تتصف بها صخرة المشقر[٢٣١]، فقلت في نفسي عندها: إذا كان في هذا التلّ الشبيه لتل المشقر مغارات كالتي في تلّ المشقر فيجب أن يكون هذا التلّ ولا شك هو حصن الصّفا، ونزلت مسرعاً من جبل الشبعان، وتوجهت بالسيارة إلى ذلك الجبل والتلّ الذي يقابله، وحين وصلت إليه صدق ما كنت توقعته، فها أنا بالفعل أمام بوابة ليست بالكبيرة جداً لمغارة تبدو من الخارج أنها مغارة صغيرة، وقد بدا واضحاً أمام ناظري لون القير أو الزُّفت المسوح به سقفها، وهنا ابتسمت ابتسامة الرّضا، فها هو أثر الإنسان واضح في هذه المغارة، وهو نفس الأثر الموجود في مغارات تلّ المشقر، ولقد كان وضعهم للقير أو الزفت رغم قبحه ومباينته الشديدة للون التلّ الأشقر الجميل إنما هو لمنع تهايل

[٢٣١] انظر الصورة رقم (١٨).

الفتات الصخري من السقف عليهم أثناء جلوسهم في المغارات، ولقد كانت المغارة من الداخل هي الأخرى تعطي أكبر دليل على أنها من حفر الإنسان وصنعه في هذه الكتلة الصخرية الكبيرة كما هو الحال في تل المشقر، وأخيراً ها أنا أجزم الآن بكل تأكيد أنني أقف أمام ما كان يعرف قديماً باسم حصن الصّفا العظيم، ولربما أدركت حينها السبب الذي أطلق لأجله اسم الصّفا على هذا التلّ، وهو أن الصّفا في اللغة تعني الحجارة العريضة الملساء التي لا تنبت شيئاً[٢٣٢]، ومن الصدف أن يكون ملاصقاً لهذا التل حجارة بيض عريضة ضخمة على شكل قباب بيضوية شكلاً ولوناً، وهي ملساء ضخمة لا نبت فيها، فلعل الموضع سُمّي عند القدماء باسم الصّفا لوجود هذه الحجارة الضخمة.

إِذَاْ أَرَدْتَ مَاْ تَبْحَثُ عَنْهُ فَادْخُلِ المَغَاْرَةْ

لَنْ أنسى أبداً ذلك الموقف الطريف الذي حصل لي وأنا واقفٌ في حالة من الذهول – وهي حالة طالما تملكتني عندما أقف على أحد الآثار العظيمة التي ذُكرت في التاريخ القديم – وبينما أنا أستعدُّ لدخول المغارة المذكورة لفت انتباهي وقوف سيارة نقل صغيرة خلفي، وبها شابٌّ عشريني العمر أثارَ شكوكَه وُقُوفي المطوَّل عند باب هذه المغارة من هذا التلّ وأنا في حالة الذهول إياها، وبمجرَّد التفاتي له، ووقوع نظري عليه خاطبني قائلاً بلهجته الدارجة: " إذا تِبْغِيْ اللِّيْ تِدَوِّرْ عَلَيْهْ

---

[٢٣٢] انظر تهذيب اللغة للأزهري مادة (صلد).

اِدْخِلْ دَاْخِلِ المَغَاْرَةْ "[٢٣٣]، وبالكاد أكمل عبارته، ثم حرّك مُبَدِّل السّرعة (الجَيْر) في سيارته وضغط على دوّاسة الوقود ومَرَق بسيارته كما البرق ولا كسيارات الماراثون في سباق السيارات بحيث لم أرَ إلا غُباره، وفي الواقع لقد أثارت كلماته في نفسي بعض مشاعر الخوف – وكلمة بعض ليست دقيقة هنا – إلى درجة أنني هِبتُ أن أدخل المغارة المظلمة، خصوصاً وأن هذا التلّ ليس مثل تل المشقّر الذي يقع وسط بيوت قرية القارة، وإنما هو خارج البيوت في مكان موحش بعض الشيء، وكان الوقت ظهراً، والناس كلها في بيوتها لتناول وجبة الغذاء باستثناء كاتب هذا البحث وبضع سيارات كانت تمرق في عجل على الشارع الفرعي القريب من الجبل ذاهبة إلى بيوتها، ثم إن هذه الظلمة التي تبدو من المغارة، وهذا التهديد المبطّن من هذا الشاب كل ذلك كاد أن يثنيني عن دخول المغارة واستكشافها من الداخل، ولولا أن شجّعت نفسي بعض الشيء، وذكرتها بالرغبة الملحّة لرؤية المغارة من الداخل لوصفها وزيادة تأكيد هذا الاكتشاف لربما تأجل دخولي إلى المغارة إلى وقت آخر، ولكنني في النهاية توكّلت على الله وعزمت فاقتحمت المغارة لأجد بالفعل ما قال الشاب أنني أبحث عنه.

وَصْفُ الصَّفَاْ

كانت هذه البوابة التي دخلت منها تتجه فتحتها إلى

---

[٢٣٣] كتبتها كما سمعتها منه باللغة الدارجة.

الغرب[٢٣٤]، وكانت المغارة عبارة عن مغارتين في مغارة واحدة حيث نُحتت المغارة الأصغر داخل المغارة الأكبر منهما بحيث غدت تشبه مغارة مجلس الحكم في تل المشقر ولكنها دونها من حيث دقّة التصميم، وكان السّقف كما سبق وأشرت ممسوحاً بالقار الأسود، وإلى يسار الداخل إلى المغارة الكبيرة الأولى يوجد ممرٌّ متسعٌ في بدايته، ولكنه سرعان ما يضيق تدريجياً حتى يصل إلى كوّة صغيرة نافذة لا يدخل الرجل منها إلا منحنياً، وأسفل هذه الكوّة أشبه ما يكون بالعتبة الصغيرة.

وتؤدي هذه الكوّة إلى مغارة أخرى أكبر من الأولى، ولكنها أكثر برودةً منها بسبب عدم وجود فتحة خارجية لها، ولأنّ الشمس لا تضرب فيها كما في المغارة الأولى كما يوجد بهذه المغارة بعض الأعمدة التي يبدو أن لا دخل للبشر في عملها.

وبعد أكثر من عشرين متراً باتجاه الشمال يبدأ بصيص الضوء بالوضوح، وسرعان ما تبدو للعيان بوابة أخرى تؤدي إلى خارج هذا التلّ المجوّف، وذلك من جهته الشمالية، وهذه البوابة يوجد أمامها عريش منحوت في الجبل نفسه، ويقوم على عمودين مهذبيّ الشكل متقني الصنع لا يتخامر الشك أحداً في أنّها من صنع الإنسان لا غيره[٢٣٥]، وتذكرنا هذه المغارة بمغارة تل المشقر المزدوجة المدخل، ولكن مع اختلاف في الترتيب والمداخل، ففي هذه المغارة لا يشاهد من في الداخل بوابتيها لوجود مسافة طويلة تفصل بينهما بعكس مغارة المشقر.

---

[٢٣٤] انظر الصورة رقم (١٩)

[٢٣٥] انظر الصورتين (٢٠)، (٢١).

وقد بحثت جاهداً فيما إذا كان في هذا التلّ غير هذه المغارة المزدوجة المدخل فلم أعثر على غيرها فيه، وإن كانت تكفي لجعلي على يقين لا يرقى إليه الشك في أن هذا التلّ هو الحصن التوءم للمشقر وأعني به الصفا.

ولا ينخدعنَّ القارئ بما يجده في بعض الكتب من أن الصّفا نهرٌ يتفرع من عين محلم، فإن ذلك لا يلغي من الأمر شيئاً، فإنما سُمّي النهر باسم الصّفا لأنه يتجه إلى حصن الصّفا ليزوده بشريان الحياة الماء لكي تكتمل لهذا الحصن أسباب حصانته بوجود الماء الذي يمر بجانبه أو ربما كان يدخل داخله ليستقي منه المتحصنون به وقت الحصار.

ونهر الصّفا هذا ذكره الأزهري في تهذيب اللغة كما في النص رقم (٤٥) وذكر نهراً آخر يقال له السّري، فقال: " السريّ والصّفا نهران يتخلجان من نهر محلم تسقي قرى هجر كلها، " وقد مرّ بنا في شعر لبيد في النص رقم (١٨) قوله عن هذين النهرين ويصف النخل اللاتي يسقيانها:

سحقٌ يمتعها الصّفا وسريُّه   عُمٌّ نواعم بينهن كروم

فواضح من نسبته السريّ إلى الصّفا أن السّري يتفرع من نهر الصّفا، وليس من نهر محلم مباشرة، وإن كان كلام الأزهري يصحّ على العموم لأن الصّفا هو نفسه يتفرع من نهر محلم، كما أن بيت لبيد يثبت أن الصّفا والسّري في جهةٍ واحدة لأنهما يسقيان نفس النخل، وقد بلغت مدينة الصَّفا مرتبةً كبيرة هيأتها لأن تكون إحدى قصبات هجر مع المشقر والشبعان[٢٣٦].

---

[٢٣٦] انظر معجم البلدان للحموي رسمي (البحرين) و (هجر).

وعلى أية حال فإن أحد الأحياء في قرية القارة ويقع في الجزء الشمالي الشرقي منها يُعرف باسم (الصُّفيّة)، وهو أقرب مكان في هذه القرية إلى تل الصّفا المذكور، فلعلَّ هذا الحي سُمِّيَ بذلك لقربه من حصن الصّفا أو لأنه كان يقع على ضفاف نهر الصّفا القديم أو قريباً منه، وأما جبل الصّفا فهو هذا الجبل الذي يدعى اليوم باسم جبل أبي الحصيص أو قوع أبي الحصيص، وأما حصن الصّفا الشهير فهو هذا التلّ العجيب التكوين الملاصق له من الجهة الجنوبية الغربية ذي المغارة المزدوجة المدخل.

وإذا صحَّ أن شعر ذي الرمّة المتقدم معنا في النص رقم (٢٧) قاله في صفا هجر هذا، فإنّ قوله يكون أقوى دليل على ما توصّلنا إليه من أنّ جبل الصّفا هو جبل أبي الحصيص هذا الذي وصفته هنا، فقد قال ذو الرمّة:

خليلي مدّا الطّرف حتى تبيَّنا ... أضُعْنٌ بعَلياء الصَّفا أم نَخيْلُها

....

فقُلتُ أعيدا الطَّرف ما كان مُنبتاً ... من النَّخل خيْشوم الصَّفا فأمِيْلُها

فقوله: "علياء الصّفا" و "خيشوم الصّفا" لا تقال إلاّ للأماكن العالية، وبالذات الخيشوم الذي يقصد به أنف الجبل، وإنَّ قَرْنه لعلياء الصَّفا بالنخيل التي كانت تحيط بالصَّفا وعليائه كما يُفهم من البيت الأول، وقرنه لخيشوم الصَّفا وأميله بهذه النخيل أيضاً كما في البيت الثاني هو دليل واضح على أنّ هذا الصَّفا المذكور كان النخل يحيط به بكثرة مما جعله يشبه الضُّعن بها، وكانوا يشبهون الضُّعن التي تسير في الصحراء

بحيث يجعلها السراب تبدو أكبر مما هي عليه كانوا يشبهونها بالنخيل السامقة الكثيرة كما رأينا ذلك في أكثر من نصٍّ مرَّ بنا هنا عن تشبيههم للأضعان بالنخل الذي بين المشقر والصَّفا، فهذه الصورة التي يذكرها ذو الرمّة هنا مشابهة لأقوال الشعراء الذين تقدموه حينما أكدوا على كثرة النخيل بين المشقر والصَّفا وتغنوا بجمالها الأخاذ وشبهوا الضُّعن بها مما يرجّح القول أنّ الصَّفا التي ذكرها ذو الرمّة هي صَفا هجر لا غيرها لأنّ المواضع المسماة بالصَّفا في الجزيرة العربية محدودة، وأشهرها صفا مكة وهو لا زرع حوله فضلا عن النخل، وصفا هجر وهو الذي تغنى الشعراء بكثرة نخيله وجماله وروعته، وهي نفسها الصورة التي نستشفها من بيتي ذي الرّمّة هنا حول كثرة النخل عند الصَّفا الذي ذكر عليائه وخيشومه وأميله[٢٣٧]، وإذاً فهذا هو الصّفا.

الأَطِيْطُ وعطَاْلَةُ أَوْ عطَاْلَةُ وَالأَطِيْطْ

لقد مرَّ بنا عند الكلام عن المشقَّر نصٌّ ابن الأعرابي عندما قال أنّ قلعة المشقر مبنية على قارة تُدعى عطالة، وقلنا أنّ قارة عطالة هذه هي ذاتها جبيل القارة التي ذكرها هشام الكلبي عندما قال: القارة جبيل بنته العجم بالقفر والقير في فلاة من الأرض، وقد حدد هشام موقع هذه القارة على أنّه بين الأطيط والشَّبْعاء.

وقد قلنا فيما مضى أنّ الشَّبْعاْء هذه هي التلّ الصغير الواقع شرق عين باهلة، والتي ذُكِّرت بحيث صار يطلق عليها الآن

---

[٢٣٧] سبق ومر بنا أنّ العلياء تعني رأس الجبل المشرف، والخيشوم هو أنف الجبل، وأما الأميل، فهو الحَبْل المستطيل من الرمل، وما أكثره في تلك النواحي.

اسم الشَّبْعان[٢٣٨]، فإذا رجعنا إلى نصِّ هشام، وقوله عن قارة المشقر أنّها تقع بين الأطيط والشبعاء، وقد عرفنا الآن أن الشبعاء هي هذا التلّ الواقع إلى الجنوب الغربي من قارة المشقر بخمسة كيلو مترات، وكون قارة المشقر حسب رواية هشام تقع بين الشبعاء هذه وهي في الجنوب الغربي منها، وبين الأطيط، فهو يقتضي وقوع الأطيط أو قارة الأطيط في الشمال الشرقي من قارة المشقّر، ولا يوجد قارة أو جبل في تلك الناحية سوى جبل وقارة[٢٣٩] قوع أبي الحصيص التي تقدم وصفها ووصف مغاراتها المنحوتة داخلها، ويمكننا التأكيد الآن أنّها هي القارة التي كانت تحتضن حصن الصَّفا في السابق، وعليه فقد صدق وصف أبي المنذر هشام بن محمد الكلبي بالنسبة لمواضع هذه القارات الثلاث، والتي باتت معروفة لدينا الآن.

---

[٢٣٨] انظر الصورة رقم (٢٢)، وقد سببت تسمية هذا التلّ الصغير بالشبعان ربكةً لدى الباحثين المعنيين بالمنطقة كما قلنا، فأسقطوا اسم الشبعان القديم الذي ذكره البلدانيون وأرادوا به الجبل المعروف، الآن باسم جبل القارة ذي الكهوف الباردة على هذا التلّ وخلّطوا في ذلك أيّما تخليط، والواقع أنّ هذا التلّ الصغير هو الشبعاء بالهمزة في آخره كما سماه هشام هنا، وإن كان الأهالي قد قلبوا هذه التسمية الآن إلى الشبعان بالنون إلا أنّ ذلك لا يعني أبداً أنه هو المعني بمسمى الشبعان القديم الوارد في معاجم البلدان.

[٢٣٩] يجب أن نلاحظ وجوب التفريق بين جبل أبي الحصيص وقارة أبي الحصيص، فالجبل هو جبل أبو الحصيص، والقارة هي تلٌّ أصغر منه يشبه كما قلنا تل المشقّر، ويقع إلى الجنوب الغربي مباشرةً من جبل أبي الحصيص، ويتميز بوجود صخرة منحوتة على شكل رؤس كما هي صخرة تل المشقّر، وهذه القارة هي ما نرى أنها المعروفة سابقاً باسم الأطيط.

محلم النهر الخالد

نعم؛ ولمَ لا يكون محلّمُ نهراً خالداً، ونخيل هجر كلها تدين له بالفضل في سقيها وريّها حتى غدت مضرب الأمثال في الحسن والجودة وبعد الصِّيت حتّى وإن اندثر هذا النهر اليوم وانطمست رسومه وآثاره، فسيظل في ذاكرة الوجدان كلّما تلونا شعراً يُذكرُ فيه محلم أو قرأنا نصّاً يحتوي على اسم هذا النهر العظيم.

وقبل أن نخوض في غمار البحث عن محلم يجب أن يلتفت القارئ إلى أنَّ هذا الاسم كان يُطلق في الأصل على عين ماء عظيمة في هجر[٢٤٠]، وكذلك على النهر الرئيس الذي كانت مياه العين تتدفق فيه، فيسمى نهر محلم نسبةً للعين التي ينبع منها، وقد صرنا نعرف الآن موضعي المشقر والصّفا، وقد تقدم في أكثر من نصّ في أول هذا البحث أن بين الصّفا والمشقر نهرٌ يجري يقال له العين، وفي بعض النصوص: يقال له محلم أو نهر محلم، وكل الروايات تجمع على أن النهر هو الذي يجري بين الحصنين وليس العين التي ينبع منها بطبيعة الحال والتي نرجّح أن تكون بعيدةً نوعاً ما عن هذين الحصنين، بحيث يصل بعدها عنهما إلى أكثر من عشرة كيلومترات كما سنرى.

كما أودّ أن أشير بقوة إلى النصّ رقم (٢٩) الذي هو غاية في الدقّة والدلالة، وهو النصّ الذي رواه ياقوت في معجمه في رسم

---

[٢٤٠] كما في النصوص: (٣)، (٢٩)، (٣٤)، (٤٣)، (٤٥)، (٥٢)، (٥٤)، (٥٥).

(هجر) وعزاه إلى علامة العرب محمد بن السائب الكلبي الذي هو بدوره رواه عن الشرقي بن القطامي وجاء فيه:

" إنما سُميت عين هجر بـهَجر بنت المكنّف وكانت من العرب المتعرّبة وكان زوجها محلّم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين يقال له نهر محلم وعين محلم."

وتكمن أهميّة هذا النصّ في أنّه يفرق بكل وضوح بين عينين كانتا أعظم عيون هجر وهما عين هجر وعين محلم، وليلاحظ القارئ الدقّة التي يتحراها محمد بن السائب الكلبي والشرقي بن القطامي عندما قالا أن محلم بن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين يقال له نهر محلم وعين محلم وهو نفس ما ذكرناه قبل قليل من كون هذا الاسم يطلق على العين وعلى النهر الذي يأخذ منها.

وأقول ذلك لأنه قد يتبادر إلى ذهن القارىء عندما يقرأ النصّ رقم (٤٧) من قول الجوهري صاحب الصحاح أن نهر محلم يأخذ من عين هجر أن عين هجر هي عين محلم، وقد يساعد على هذه المبادرة من القارىء ما يراه في النص رقم (٤٠) من قول الهجري والفيروزآبادي أن خَسْفةَ ماءٌ غزير يقولون هي رأس نهر محلم بهجر، وقد تقدم معنا هنا في اكتشاف حصن المشقر أن العين التي يخترق البئر تلّ راس القارة إليها تُعرف حتى اليوم باسم عين الخسيف، وهو قريب من خسفة، ومن نافلة القول أنه قد يتبادر إلى الذهن أن الخسيف هي نفسها خسفة المذكورة في هذا النص، وهو استنتاج قوي، فخسفة في هذا النصّ قريبة في النطق والمعنى من عين الخسيف لأن لهما

نفس المعنى اللغوي بالنسبة للعيون والآبار، والتي من معانيها أنها البئر المحفورة في الصخر فلا ينزح ماؤها، أو هي البئر التي وصلت إلى عيلم الماء بحيث لا ينقطع ماؤها أبداً، وهي صفات تقفز بنا إلى ذكر عين محلم العظيمة التي تتصف بهذه الصفات وأكثر، وعليه فإن قول الهجري وبعده الفيروزآبادي من أن خسفة هي راس نهر محلم بهجر، والقول أن عين الخسيف التي كانت تتفجر من تل راس القارة هي نفسها خسفة المذكورة هنا يجعل الكثير من الباحثين مسَلّمِيْن بأن عين الخسيف هذه ما هي إلا عين محلّم الشهيرة.

غير أننا لن نستعجل الأمور هنا، فسوف يتبين لنا بعد استقراء صحيح للنصوص أن عين الخسيف هذه ما هي إلا عين هجر التي تقدم ذكرها، وليست عين محلم، وأن عين محلم تقع إلى الغرب منها بمسافة قد تصل إلى أكثر من عشرة كيلومترات، ففي نص الهجري والفيروزأبادي عن خسفة أنها راس نهر محلم عدّة أمور أولها أنه ليس بالضرورة أن تكون خسفة في نص الهجري والفيروز ابادي هي نفسها عين الخسيف لأنّ عين الخسيف هذه - كما سيتبين لنا من نص خطير ذكره النويري في نهاية الأرب والمقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا، وسنذكره عند الكلام حول هجر - هي عين هجر بذاتها وعظمتها؛ مع أخذنا بالاعتبار أن مصطلح العين الخسيف عند الأحسائيين والقطيفيين اليوم يعني العين التي غار ماؤها أو أسِنَ، وقد مرّ بنا نص الكلبي عن الشرقي بن القطامي، وفيه تمييز واضح وصريح بين العينين عين هجر

وعين محلم وكيف أنهما نسبا الأولى إلى من أسمياها هجر بنت المكنف من الجرامقة، ونسبا الأخرى إلى زوجها محلم بن عبد الله، وهذان العالمان الجليلان لا ينبغي إغفال الأخبار التي ينقلانها عن هذه المنطقة، فهي أخبار غاية في الدقَّة، وذلك لأنهما كانا يأخذانها عن سكان هجر والبحرين الذين هاجروا إلى العراق أيام الفتوح الأولى واستوطنوه من عبد القيس وتميم وبكر بن وائل، ولا سيما القبيلة الأولى التي عُرفت بأنها صاحبة هذه المواضع، واقصد عبد القيس، والذين تزوج أحدهم وهو أبو صلاية العبدي ابنة محمد بن السائب الكلبي صاحب هذه الرواية،[٢٤١] وعليه فإننا هنا أمام عينين عظيمتين هما عين هجر وعين محلم، وهما ليستا عيناً واحدة.

كما يجب ملاحظة أنّ التقارب اللفظي لكلمتي (خسفة) و (خسيف) لا يعني بالضرورة أنّ إحداهما هي الأخرى، فإن العرب قد اعتادوا أن يطلقوا على مسمّيات كثيرة اسم صفاتها، وبالتالي فإنه من الجائز جداً أن يكون في موضع واحد أكثر من مكان أو موضع أو عين يحمل الاسم نفسه، ولنا على ذلك شواهد كثيرة في نفس المنطقة، فجبلة مثلاً سُمّيت بها عدة قرى ومواضع في الأحساء والقطيف، وكذلك الحال بالنسبة لمسميات

[٢٤١] كتاب الجمهرة في النسب للكلبي في ذكر جمهرة نسب عبد القيس الصفحة ٥٨٧، وفيه: أبو صلاية بن مالك بن طارق بن خنزير بن هَمَّام بن العاتك بن جابر بن حِدْرجان بن عساس بن ليث بن حُداد بن ظالم بن ذُهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس؛ صاحب قرية أبي صلاية بالفرات، وقد عَلَّق ابن حبيب على هذا فقال: إنَّما هو – يعني ابا صلاية – ختنه على ابنته ولا شرف له، فذكره.

سُليسل وهما نهران كانا في المنطقة أحدهما في الأحساء والآخر في القطيف ثم في صفواء منها، بل إن الأمر أكثر من ذلك فمن يعتقد أن اسم داروش هذا الاسم الغريب جداً والمعروف به أشهر عيون صفواء في القطيف هو في نفس الوقت اسم عين أخرى، ولكنها متواضعة بالنسبة لعين صفواء، وهذه العين الأخرى تقع في جزيرة تاروت في الطرف الشمالي الغربي منها.

وسنشير الآن إلى الإشكال الآخر الذي يبدو أنه أقوى من إشكال نصّ الهجري والفيروز ابادي، وهو نصّ الجوهري رقم (٤٧) وقوله أن نهر محلم يأخذ من عين هجر، فقد يتبادر إلى الذهن أيضاً أن كلمة يأخذ تعني المنبع ظاهراً، ولكن الصحيح أن كلمة يأخذ هنا تعني الرّفادة أي أن عين هجر ترفد نهر محلم عند اقترابه منها بالقرب من تل راس القارة الذي هو تل المشقّر نفسه.

وقد مرّ بنا في شرح شعر ابن المقرب أن المشقر بين سُليسل ومحلم نهرين بهجر، وسليسل لا زال معروفاً منبعه ومساره وتفرعاته حتى اليوم، وهو كان يمر بمحاذاة تل المشقر بالفعل من الجهة الجنوبية الشرقية، وبالتالي فإن نهر محلم كان يمر من الجهة الشمالية والشمالية الغربية لهذا الحصن ماراًّ بينه وبين تل الصَّفا كما ذكرت ذلك النصوص القديمة التي مرَّ معنا ذكرها، وتل الصَّفا هو هذه القارة ذات الرؤس المنحوتة والواقعة عند سفح جبل أبي الحصيص الجنوبي الغربي، وهنا فإنه لا يمكن لهذه الكميات الهائلة المتفجرة من عين هجر النابعة من تل المشقر إلا أن تصب في مجرى أحد هذين النهرين المحيطين

بـه، ولا سيما مجرى نـهر محلـم، وهـو مـا أراد الجوهـري صـاحب الصحـاح مـن قولـه أن نـهر محلـم يـأخذ مــن عــين هجــر، ولا زال هـذا الاصطـلاح اللفظـي مســتعملاً في الأحســاء حتــى اليــوم، فــهم يقولـون عـن نـهر سُليسـل النـهر التـوءم لنـهر محلـم أنـه يـأخذ مــن عــين الخــدود وعــين الحقــل، ولكنــهم يؤكــدون علــى أن عـــين الخدود هي العين الـتي ينبـع منـها سُليسـل وليـس الحقـل.

وواضـحٌ مـن التوءمـة بـين نـهري سليسـل ومحلــم في شــرح شــعر ابــن المقــرب أن هذيــن النــهرين متوازيــين في الطــول مــن حيــث منبعـهما إلى مصبّـهما في بحــيرة الأصفــر، وإذا كــان نــهر سُليســل ينبـع مـن عـين الخـدود فمـن نافلـة القـول أن نـهر محلـم ينبـع مــن عينٍ تقــع علـى نفـس الخـط المحـوري الأفقـي لعـين الخـدود والممتـد مـن الجنـوب إلى الشـمال في اقصـى غـرب الواحـة، وإذاً فأنــه بــات واضحــاً أنّ العــين الــتي ينبــع منــها نــهر محلّــم تقــع بعيــداً إلى الغرب مــن تـل المشـقر وعينـه النابعـة منـه، كمـا بـات واضحـاً أكـثر الآن أن قـول الجوهـري عـن نـهر محلـم أنـه يـأخذ مـن عــين هجــر هـو بمعنـى الرِّفـادة وليـس الأصـل، كمـا إنـني مقتنـع جــداً مــن أن عـين هجـر هـي نفسـها العـين المعروفـة في قريـة القــارة باســم عــين الخســيف، والــتي كــانت تنبــع مــن تــلّ المشــقر أو راس القـــارة اليـوم، ولكـن يبقـى السؤال المحـير قائمــاً أيــن هــي عــين محلّــم اليــوم إذاً ؟.

عَيْنُ مُحَلِّمْ تَكْشِفُ عَنْ نَفْسِهَا

يُعـرفُ الكثـير عـن هجـر وعيونـها العظيمـة، وأنـه كـان في هجــر أكـثر مـن عـين تتفجـر أنـهاراً عظامـاً إلى درجــة أن أحــد المؤرخــين

القدماء قد ذكر أن كل عين منها تدير خمس طواحين كبيرة[٢٤٢]، وبالتالي فإنه لم يكن في هجر مجرد عين وحيدة هي عين محلم، بل كان فيها وحتى إلى وقت قريب أكثر من ثلاثمائة عين خمسٌ منها على غاية من القوّة والعظمة تصلح لأن تكون إحداها عينَ محلم العظيمة التي وصلت حداً من الخطورة ذهب معه بعض المؤرخين[٢٤٣] إلى أن البحرين سُمّيت بالبحرين من أجل هذه العين وعين أخرى اسمها قضباء، والرأي نفسه قال به الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، ولكنه سمَّى العين الأخرى باسم الجريب كما مرّ معنا في النصوص المتقدمة.[٢٤٤]

وهذه العيون الخمس هي على الترتيب من الجنوب إلى الشمال:

عين الخدود: تقع في أقصى الجنوب الغربي من الأحساء.

عين الحقل: تقع شمال عين الخدود بمائة متر فقط.

عين برابر: تقع شمال شرق الخدود بخمسمائة متر تقريباً.

عين الحارَّة: تقع شمال مدينة المبرَّز القديمة.

عين أم سبعة: تقع شمال عين الحارّة بثلاثة أميال تقريباً.

ولكننا سنستبعد عين الخدود لأنها معروفة بهذا الاسم منذ

---

[٢٤٢] وهو من كلام ناصر خسرو في رحلته حيث جاء فيه عن الأحساء قوله: وفيها عيون المياه العظيمة؛ يدير كل نهر منها خمسة طواحين. انظره في المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية من تأليف الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – رسم (الأحساء).

[٢٤٣] هو الأصمعي كما في المرجع السابق رسم (البحرين).

[٢٤٤] انظر النصّ رقم (٤٣).

القدم، وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان رسم (خُدد)، والفيروزأبادي في القاموس المحيط في نفس المادة أن خُدَد عين بهجر، وهي الخَدُود لا شك، كما أننا نستبعد عين الحقل وذلك لأنها من العيون التي تكوّن نهر سُليسل وترفده، ثم إن عين الحقل من العيون الباردة بعكس عين محلم التي من صفاتها أنها كانت عيناً حارّة الماء كما في نص الأزهري، وسنستبعد عين برابر لأنها أيضاً من الرّوافد لنهر سُليسل ولكونها أيضاً من العيون الباردة كما أنه من المعروف عن هذه العين ومنذ القديم أنها لم تكن تسقي قرى جبل القارة وما حولها فضلاً عن جواثى الأبعد منها وهي القرية التي كان نهر محلم يسقيها، والتي ينبغي لعين برابر فيما لو كانت في السابق تصل إليها أن تتقاطع مع أكثر من نهر ومنها نهر سُليسل الذي يقع إلى الشمال منها، وهو خلاف المتعارف عليه من أنهار عيون الأحساء التي كانت تخترق الواحة من الغرب إلى الشرق والشمال الشرقي دون أن تتقاطع مع بعضها إلا أن يكون ذلك رفادة، وعندما يرفد نهر نهراً آخر فلا بد لأحد النهرين أن يفقد اسمه عند التقائهما ونهر محلم لم يكن يوازيه سوى نهر سليسل الذي يقع في جنوب الواحة واحة هجر في حين يقع نهر محلم في الجهة الشمالية لها وبالتالي فإن برابر التي تقع شرق الخدود بنصف كيلو متر لا ينبغي لها أن تكون عين محلم.

إذاً لم يبق لنا إلا عينان عظيمتان هما عين أم سبعة وعين الحارّة، وسوف ينحصر الشكّ حول هاتين العينين بالفعل

لتكون إحداهما هي عين محلم العظيمة.

وهذا القول أي أن عين محلم هي عين أم سبعة أو عين الحارّة لست مبتدعاً له، فقد سبق إلى ذلك باحثان جليلان هما الشيخ حمد الجاسر الذي يرى أن أوصاف عين محلم تنطبق على عين أم سبعة، وبالتالي فهي عين محلم لديه[٢٤٥]، والباحث الآخر هو الأستاذ عبد الله الشّباط الذي يرى أن عين محلم هي عين الحارة التي تقع بالقرب من المبرز.[٢٤٦]

وفي الواقع إن قول الشيخ حمد الجاسر أن عين أم سبعة هي عين محلم مرفوض منطقياً وطبيعياً فعين محلم من عيون هجر، وهي كانت تسقي نخيل هجر والمشقر والصّفا، والتي تقع جميعها بالقرب من جبل الشبعان المعروف اليوم باسم جبل القارة، وهو أمرٌ مفروغ منه في حين أن عين أم سبعة تقع فيما كان يُعرف في السابق باسم أحساء بني سعد أو أحساء القرامطة، ثم مرّ بنا قول الهجري والفيروزأبادي أن راس ومنبع محلم هي خسفة، وواضح من اسمها أنها في مكان صخري، فقد ورد في اللسان مادة (خسف): " وبئرٌ خَسُوفٌ و خَسِيفٌ: حُفِرَتْ في حجارة فلم ينقطع لها مادة لكثرة مائها، ومنه أنَّ الخَسِيفُ البئر التي تُحْفَرُ في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرةً؛ وأنشد غيره:

قد نَزحتْ، إن لم تكن خسِيفا | أو يَكُنِ البَحرُ لها حليفا

من قولهم خَسَفَ البئرَ إذا حَفَرَها في حجارة فنبعت بماء

[٢٤٥] انظر معجم المنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر رسمي (محلم)، (وأم سبعة).

[٢٤٦] انظر كتاب صفحات من تاريخ الأحساء للأستاذ عبد الله الشباط الصفحة ٥٣.

كثير." انتهى

فمن الواضح لغوياً أن منبع عين محلم كان في مكان صخري أو حجري، وهو الأمر الذي تفتقر إليه عين أم سبعة التي يقع منبعها في موضع رملي طيني.

كما أن التدفّق الطبيعي لعين أم سبعة هو للإتجاه الشمالي والشمالي الشرقي حيث كانت تسقي نخيل قرى الشمال من الأحساء وبالذات قرى القرين وجليجلة والشقيق والجرن إلى أن تصل إلى نخيل واحة العيون، وأما من الجهة الجنوبية فإن أم سبعة بالكاد تصل مياهها إلى نخيل السحيمية الواقعة إلى الجنوب منها مباشرة، وسقيها لنخيل السحيمية ليس بالتدفق الطبيعي، وإنما بسبب حيلةٍ عملها أصحاب النخيل الواقعة جنوب عين أم سبعة حيث وجدوا أن تدفق هذه العين الطبيعي يتجه نحو الشمال والشمال الشرقي، فقاموا بوضع سدّ حجري على حافّة العين الشمالية به فتحات يتسرب منها ماء العين، فكانوا إذا أرادوا سقي الجهات الجنوبية للعين سَدُّوا هذه الفتحات وعندها فقط يتجه الماء مجبراً إلى الجنوب، ولكن ليس إلى مسافة كبيرة لأنه بعد ذلك يصل إلى عقبة كئود هي ما يُعرف باسم لسان المحيرس، وهو هضبة صلبة تخترق وسط واحة الأحساء قاسمة لها إلى واحتين في الواقع، وهذه الهضبة يصعب على أي ماء قادم من الشمال اجتيازها إلا إذا كان بواسطة أخدود عميق جداً، وهو الأمر الذي لم نسمع كبار السنّ في هذه المنطقة يقولون به، ولم يعهدوا وجود نهرٍ قادمٍ من الشّمال يخترق هذه الهضبة في السابق.

ثم حتى لو فرضنا أن عين أم سبعة - وهي عينٌ عظيمةٌ وقويةٌ بالفعل - كانت تخترق هذه الهضبة فإن هذا الاختراق ليس إلى مسافة طويلة لأنه يحف بهذه الهضبة من الشرق والشمال الشرقي كتلةٌ كبيرة من الصخور هي ما يشكل جبلي البرقاء الشمالي والجنوبي أو ما يعرف باسم جبل الشعبة، وهو حاجز طبيعي يحجز أيَّ مياه قادمة من الشمال والشمال الغربي من التدفق إلى ناحية الجنوب الشرقي والشرق حيث توجد هجر وقراها وجواثى التي كان يسقيها خليج من نهر محلم، وبالتالي فإن عين أم سبعة لا يمكن لها أن تكون عين محلم لأنها لم يُعهد عنها ولا ينبغي لها أن تصل مياهها إلى نخل جواثى ونخل هجر والمشقر والصفا وعسلّج الواقعة كلها قرب جبل الشبعان (القارة اليوم)، والتي كانت غارقةً بمياه عين محلم ونهرها مما يدل على أن عين محلم ليست عين أم سبعة، وشيء آخر هو أن الشيخ الجاسر قد أخِذَ بقوّة تدفق مياه عين أم سبعة وشدة جريانها وكثرة أنهارها مما جعله يجزم بكونها هي عين محلم، وهذا الدليل عليه لا له، فأولاً إن قوّة تدفق المياه لم يكن صفةً تنفرد به عين أم سبعة، بل إن عين الخدود في جنوب غرب الواحة كانت أكثر قوّةً في التدفق والجريان من عين أم سبعة وقت مشاهدة الشيخ حمد لها وكذلك عين الحقل التي عدّها فيدال على أنها العين الأكثر تدفقاً في واحة الأحساء، وقدّر تدفُّقها بحوالي ٢٢٥٠٠ جالون في الدقيقة في حين قدَّر تدفق عيني الخدود وأم سبعة والحارّة بـ ٢٠٠٠٠ جالون في الدقيقة، وعليه فإننا إذا أخذنا بهذا المقياس

الـذي اتخـذه الشـيخ الجاسـر مـن قـوّة تدفــق العيــون، وأن الأقــوى والأكـثر تدفقـاً هــي عــين محلـم فينبغـي إذاً أن تكــون عــين الحقــل هي عين محلم، علــى أن مـا هـو هَـرِمٌ اليـوم فقـد كـان بـالأمس شـابّاً لأن أبسـط قواعـد النّفـاد هـو كـثرة الإنفـاق، ولا شـك أن العـين الـتي يخـرج منـها أكـبر كميـة مـن الميـاه تكـون عرضـةً للنضـوب أكـثر مـن غيرهـا، وبالتـالي فإنـه لا ينبغـي أن نتخـذ هـذه الصّفـة دليـلاً لنـــا في الكشـف عـن عـين محلـم الـتي كـانت الأقـوى تدفقـاً قبـل ألـف عـامٍ مـن الآن ولكنـها قـد لا تكـون كذلــك اليــوم، وأمــا الشــيء الثـاني الذي أخـذ بـه الشـيخ الجاسـر وهـو كـثرة أنـهار عـين أم سـبعة فـهو دليـلٌ عكسـي عليـه كـان ينبغـي أن يلتفـت لـه، فعـين محلّـم كـانت مشـهورة بـأن لهـا نـــهرٌ واحــد كمــا في نــصّ الأزهــري رقــم (٤٥) حيـث ورد فيـه في وصــف عــين محلــم قولــه: "ولهــذه العــين إذا جـرت في نـهرها خُلُـجٌ كثـيرة تتخلـج منــها تسـقي نخيـل جواثــي وعسلَّج." وواضح منـه أن لهـذه العـين نـهرٌ واحــد، وأنــه يتخلـج بعـد مسـافة مـن العـين إلى خُلـج كثـيرة، وأمـا عــين أم سـبعة فقـد كـان لهـا سـبعة أنـهار تخـرج منـها مباشـرة مــن فوّهتــها، وبذلــك سُمّيت أم سبعة، ولم يُعـهد عنـها أنـه كـان لهـا نـهرٌ وحيــد فقـط يتخلـج بعـد ذلـك إلى عـدة أنـهار، وإذاً فإننـا نرفـض أن تكـون عــين أم سبعة هي عــين محلـم للأسـباب الـتي ذكرنـا.

وهـاهو لم يبـق لنـا مـن العيـون الخمـس سـوى عـينٌ وحيــدة مــن العيـون المرشـحة لأن تكـون هـي عـين محلـم العظيمــة، وهــي عــين الحـارّة الواقعــة بــالقرب مــن مدينــة المــبرز القديمــة، وكــانت في السـابق تقـع في مكـان أفيـح مكشـوف قليـل النخـل والـزرع، وعندمـا

يقصد المرء عين الحارّة من جميع الجهات فأول ما يجد أن منبعها يقع في أرضٍ منخسفة عما حولها، فما حولها هي هضبة المبرز من الغرب التي هي واقعة ضمن هضبة لسان المحيرس وهو مكان مرتفع عن مزارع النخيل الواقعة للشرق والشمال الشرقي منها، ولو قُدِّر لشخص أن يسير مخترقاً البيوت من بداية الركن الشمالي الشرقي لقصر صاهود بالمبرز متجهاً صوب الشمال الشرقي بمسافة قليلة فإنه لن يكون من الصعب عليه أن يرى أمامه هُوّة كبيرة أو خسفةٌ في الأرض سرعان ما سيكتشف أنها منبع عين الحارّة العظيمة، وأقول خسفة لأن هذا المنبع بالفعل يخرج من موضع يشبه المكان المخسوف في آخر الهضبة من الشرق، وهو ما يذكرنا بالخسفة التي هي رأس محلم بهجر، والواردة في نص الهجري والفيروزأبادي، ثم إن اسم العين الحارّة يذكرنا أيضاً بواحدة من أهم صفات عين محلم التي ذكر الأزهري وهو قوله أن مائها حارٌّ في منبعه، وقد كانت عين الحارّة كذلك، ثم هنالك أمرٌ آخر، فقد ورد في شرح شعر ابن المقرب ذكر نهرين توءمين بهجر كانا يسيران بنفس الاتجاه أي من الغرب إلى الشرق و الشمال الشرقي، هما سُليسل ومحلم، وسُليسل قلنا أنه كان معروفاً حتى وقتنا هذا، وكان منبعه من عين الخدود الواقعة اليوم شرق مدينة الهفوف، وفي السابق كانت واقعة في أقصى الجنوب الغربي لواحة هجر يوم لم تكن الهفوف قد أسست بعد، ووجود منبع سُليسل في هذا الجزء من واحة هجر قرينة معتبرة على أن منبع شقيقه التوءم نهر محلم سيكون على نفس

الامتداد ولكن من الجهة الشمالية لعين الخدود لأنه لا وجود لعيون معتبرة جنوب هذه العين، وبالفعل فإن عين الحارّة هي على نفس هذا الامتداد شمال عين الخدود، وعين الحارة كانت تقع في السابق وقبل تأسيس مدينة المبرز في أقصى الشمال الغربي لواحة هجر القديمة، قرب المنطقة الفاصلة بينها وبين واحة الأحساء أو أحساء القرامطة، وهو الأمر الذي يجعلنا نفهم كون هذين النهرين قُرنا ببعضهما لأنهما ينبعان من نفس الجهة وهي الجهة الغربية، ويتجهان إلى نفس الجهة وهي الجهة الشرقية والشمالية الشرقية، فكل ذلك يجعلنا نؤيّد رأي الأستاذ عبد الله الشّباط من قوله في كتابه صفحات من تاريخ الأحساء أن أوصاف عين محلم تنطبق على عين الحارّة، فمنبع هذه العين في مكان صخري، وهو منخسف عما حوله، والذي ربما يكون ذلك سبب تسمية الموضع بالخسفة التي ذكر الهجري والفيروزأبادي أنها رأس نهر محلم بهجر، وهذه العين كانت فوّارة، وكان ماؤها حارّاً في منبعه فإذا برد كان في غاية الصفا والعذوبة كما في نص الأزهري، واما قول الأزهري أن هذه العين ينقسم نهرها إلى عدة خلج تسقي نخيل جواثى وعسلج المعروفتان حتى اليوم فهو أيضاً ينطبق على ماء عين الحارة التي كان لها نهرٌ واحد يستقيم حتى يصل إلى موضع يقال له المفترق[٢٤٧] فعندها يفترق إلى عدة أنهر يصل بعضها إلى نخل قرى الحليلة والمقدام والكلابية وهي قرى قريبة جداً من

---

[٢٤٧] انظر واحة الأحساء لفيدال الصفحة ١٤٨ وكذا كتاب تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد لابن عبد القادر.

جواثـى، ولا شـكّ أن هـذا النـهر الآتـي مـن عـين الحــارة وتفرعاتــه كـانت تصـل بـالفعل بـالقرب مـن جواثـــى. ولكــن الرمــال العاتيــة دفنتـها كمـا فعلـت في الكثـير مـن مجـاري الأنـهر في الأحســـاء، وإلا فميـاه عـين الحـارة كـانت تصـل حتـى بحـيرة الأصفـر، وهـو مكـــان أبعد بكثير مـن جواثـى.[٢٤٨]

وقبـل أن أختـم حديثـي أودّ أنْ أذكـر مـا يؤكـد رأيـي في أن عـــين الحـارة هـي عـين محلـم وهـو روايـة النـص رقـم (٥٥) لشــارح شـــعر ابـن المقـرب حيـث تكلَّم فيـه عـــن النــاجي الوحيــد مــن الجيــش الـذي أرسله عبـد الله بـن علـي مؤسـس الدولـة العُيونيـة إلى عمــان، والـذي لم ينـجُ منـه سـوى فــارسٍ واحــد ســار بــه فرســه وهــو لا يـدري حتـى وقـف بـه علـى عــين نــهر محلـم، ولنــا علــى هــذه الرواية وقفة توضيحيــة، فكـون هـذا الفـارس قـد سـار بـه فرسـه كـل هـذه المسـافة في البرّ الواقـع بـين عُمـان والأحســاء، ثـم وقــف بــه علـى عـين نـهر محلـم يـدل علـــى أن هــذه العــين تقـع في أقصـــى واحـــة الأحســاء في بدايتــــها مـــن جهـــة الغـــرب أو الجنـــوب الغربـي[٢٤٩]، ولأن الفـرس العربـي جـواد أصيـل يعـرف مواضـع الميــاه كمـا يُـروى عـن الكثـير منـها، فقـد هــداه حدسـه إلى عــين كــانت أول مـا يســتقبل القــادمين للأحســاء وهجــر مــن الجهــة الغربيــة والجنوبيـة الغربيـة، وهـذا يؤكـد لنـا كـون عـين الحــارة هــي عــين محلـم لأنـها العـين الوحيـدة الـتي تقـع في فضـاء مـن الأرض أفيـح لا تكـثر بـه النخيـل ممـا يجعلــها تُـرى مـن مســافة بعيــدة بعكــس

---

[٢٤٨] انظر المصدرين السابقين.

[٢٤٩] وهي جهة القادمين من عمان إلى الأحساء في الأغلب.

غيرها من عيون الأحساء وهجر، والتي تكون وسط غابات من النخيل تحجبها عن الرؤية، وهي في نفس الوقت تثبت أن عين هجر أو عين الخسيف الواقعة في تل المشقر بقرية القارة ليست هي عين محلم، فمن غير المعقول أن يقف عليها هذا الفَرَسُ متعدِّياً كل العيون التي كانت في طريقه وهو قادم من الغرب أو الجنوب مثل عين الحارة في أقصى غرب الواحة، وعين الخدود وعين الحقل في أقصى جنوبها الغربي، وأكثر من مائة عين في طريقه من جنوب واحة الأحساء وغربها إلى جبل راس القارة الذي كانت تنبع منه عين الخسيف هذه. وأيضاً جاء في النص رقم (٤٣) المروي عن الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قوله: "ومحلم نهرٌ عظيمٌ يقال أنَّ تُبّعاً نزل عليه فهاله، ويقال أنه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم." ونهر بلخ هذا نهرٌ كبير في أفغانستان اليوم وله تفرعات كثيرة تخترق مزارع أعمال بلخ ومزار الشريف ويصل إلى ترمذ في دولة تركمانستان، ووجه تشبيه الهمداني نهر محلم بنهر بلخ هو طول هذا النهر وكثرة تفرعاته، وعليه فينبغي بالفعل أن يكون منبع نهر محلم أي عين محلم في مكان بعيدٍ عن مدينة هجر الواقعة بالقرب من جبل الشبعان (القارة) بحيث يمكنه ذلك من إعطائه صفة الطول وكثرة التفرعات، وهو ما عبَّر عنه الأزهري عن نهر محلم بأنه يتخلج منه خلج كثيرة تسقي نخيل جواثى وعسلّج وقريات من قرى هجر، بل إنه قال عن نهري الصَّفا والسريّ المتخلجين من نهر محلم

أنـهما يسـقيان نخيـل هجـر كلـها[٢٥٠]، وهــذه الخلـج المتفرعـة مــن نـهر محلـم لا يمكـن أن تكـون لـو أن عـين الخسـيف الواقعـة في تـل راس القـارة هـي عـين محلــم لانّ هــذه العــين لا يمكــن أن تسـقي النخيــل الــتي تقــع إلى الغــرب والجنــوب منــها لأنّ التــدرج الطبيعـي لأرض الأحسـاء هـو انحـدار أراضـي الواحـة مـن الغــرب – حيــث تكــون أعلــى – إلى الشــرق، وبالتــالي فقـد كــان التدفــق الطبيعـي لعيـون الواحـة مـن الغـرب إلى الشرق أو الشــمال الشـرقي ولم يُعـرف أنّ عينـاً مـن هـذه العيـون كـانت تتدفـق مــن الشــرق إلى الغـرب.

إذاً يصـح وصـف عـين محلّـم وينطبـق علـى عـين تقـع بعيـدةً عـن غابـات النخيـل الملتفـة حـول هجـر، وبـالتحديد ينبغـي لهـذه العـين أن تكـون في أقصـى غـرب واحـة هجـر أو الأحسـاء في مكـان مرتفـع مـن وراء النخيـل بحيـث أنـها تنخفـض كلمـا اتجـهنا شـرقاً صــوب البحـر، وعليـه فـإن عـين الحـارّة قـرب المـبرّز هــي العــين الأجــدر لأن تكـون عـين محلّـم لمـا لهـا مـن قـوّة في التدفّـق والدفــع، ولأنــها تقـع في أقصـى غـرب واحـة هجـر القديمـة بحيـث يتسـنى لهـا أن تسـقي معظـم نخلـها وأن تصـل إلى جبـل الشـبعان وقـراه ثـم تذهــب فتصـب في البحـر أو البحــيرة[٢٥١].

---

[٢٥٠] انظر النصّ رقم (٤٥).

[٢٥١] انظر الصورة رقم (٢٣) لعين الحارة، وقد أخبرني بعض من أثق بهم ممن حضر أعمال هيئة الريّ والصّرف بالأحساء حينما قاموا بحفر قنوات الري والصـرف أنـهم كـانوا يعمدون إلى أنابيب ماسورية ضخمة يضعونها فوق فوّهات منابع العيون الكبيرة كـالخَدود والحقل والحارة وأم سبعة ليمنعوا تدفق مياه هذه العيون القوية من التدفق في أنهارها حتى

وشيء آخر أيضاً هو ما ذُكر في النصّ رقم (٥٤) الذي ذكره ياقوت الحموي في معجمه حيث قال: "وقيل الجونان قرية من نواحي البحرين قرب عين محلم دونها الكثيب الأحمر." فهذا النصّ يثبت أنّ بالقرب من عين محلم كثيبٌ أحمر اللون يقع قربها وقرب قرية الجونين فهل يوجد بالقرب من عين الحارة كثيبٌ أحمر اللون؟.

الجواب هو نعم يوجد هذا الكثيب، ولكن قبل أن أحدد موقعه أود لفت نظر القارئ إلى أنّ الضمير في جملة: " دونها الكثيب الأحمر " يعود إلى قرية الجونين وليس إلى عين محلم كما قد فهم الكثير من الباحثين، فالنصّ يريد أن يقول أن قرية الجونين تقع بالقرب من عين محلّم، وأن دون قرية الجونين هذه أي قريبٌ منها كثيب يعرف باسم الكثيب الأحمر، وإنما سُمّي بذلك لحمرة لونه وتميزه بهذا اللون عن باقي الكثبان القريبة منه، والكثيب هنا لا يراد به كثيباً من الرمل الناعم،

يمكنهم ذلك من وضع الخرسانة المسلحة في مجاري هذه الأنهر دون أن يعيقهم تدفق الماء الهائل عن إتمام عملهم هذا، وأنهم كانوا يضعون مواسير الأنابيب هذه والتي كانت ذات طول موحّد يصل إلى عدة أمتار فوق فوّهة العين مباشرة، فكان الماء يرتفع إلى حد معين داخل هذه الأنابيب ثم يتوقف عن الارتفاع بفعل وصول قوّة دفع ماء هذه العيون إلى أقصى حدٍ لها، وهو لا يتجاوز في مجمله الطول المحدد لهذه المواسير، وقد أخبرني هذا الشخص أنهم لم يلاقوا أي صعوبة في عملهم هذا في العيون الكبيرة التي ذكرنا باستثناء عين الحارة بالمبرز والتي تطلبت منهم وضع مواسير أعلى من المواسير المستخدمة لبقية العيون تبلغ ضعف طولها وذلك لقوة تدفق مياه هذه العين بحيث أنه كان يصل إلى اعلى من هذه المواسير ويفيض منها، فهذا يدلُّ على أنها كانت أقوى عيون الأحساء تدفُّقاً إذاً.

بل هو عبارة عن هضبة صغيرة مرتفعة عما حولها بوضوح يضرب لونها ولون الأرض المحيطة بها إلى الحمرة كما سيرى القارئ في الصور المرفقة[٢٥٢]، وهذا الكثيب الأحمر يقع شمال شرق تلّ وقصر المحيرس، وإلى الجنوب من هذا الكثيب بينه وبين عين الحارة بحيث يبعد عن عين الحارة بمقدار خمسمائة متر للشمال منها توجد أثار قرية كبيرة وقديمة، وهي قرية محصّنة يتخذ سورها شكلاً خماسيّاً،[٢٥٣] وفي داخل محيطها عُثر على قطع كثيرة من الفخّار يرجع بعضها إلى فترة ما قبل الإسلام، وبالتحديد إلى الفترة البيزنطية، وبات من المؤكد لديّ الآن أن هذه القرية الكبيرة ما هي إلا قرية الجونان البحرانية الواقعة قرب عين محلم وهي عين الحارّة التي لا تبعد عن موقع هذه المدينة إلا بنصف كيلو متر للجنوب فقط، ويزيد ذلك وضوحاً أن ياقوت قال قبل ذلك في نفس الرسم: "والجونان قاعان أحمران يحقنان الماء."، وهو وصفٌ غاية في الدقّة، وينطبق تماماً على الموضع الذي ذكرنا أنه الكثيب الأحمر، فإلى الجنوب والشمال من هذا الكثيب يوجد قاعان أحمرا اللون، وعليهما طبقات ملحية تدل على أنه يتجمع بهما ماء الأمطار ثم ينشف مكوناً هذه الطبقة الملحية، وهذا الماء يتكون من الأمطار، وفي الصّور المرفقة بهذا البحث ما يثبت ذلك[٢٥٤].

كذلك أود التوضيح هنا أيضاً أن الجونان اسمٌ يطلق على

---

[٢٥٢] انظر الصورتين: (٢٤)، (٢٥).

[٢٥٣] انظر كتاب واحة الأحساء لفيدال الصفحة ٢٤٩.

[٢٥٤] انظر نفس الصورتين السابقتين.

مُعاويـة و حسَّـان ابـني الــجَوْن الكِنْــدِيّ[٢٥٥] ؛ وإيَّاهمــا عنــى جريــرٌ بقولـه :

ألـم تَشْهَد الـجَوْنَـيْن والشِّعْبَ والغَضى   وشَـدَّاتِ قَـيْس يـومَ دَيْـر الــجَماجِم

وأبوهمـا الجـون الكنـدي هـذا كـان ملكـاً لهجـر كمـا مـرّ بنـا في النـصّ رقـم (٣) فـهذه القريـة الكبـيرة المندثـرة هنـا تليـق بـالفعل أن تكـون لملـك مثـل الجـون الكنـدي أو لابنيـه المذكوريـن، والـذي يبـدو أنـها سُمِّيت باسمـهما فصـارت تعـرف بـالجونين، كمـا أود الإشـارة إلى أن مـن أيـام العـرب يـومٌ عُـرف باسـم ظـاهرة الجونـين، وكلمـة الظـاهرة كمـا جـاء في كتـاب العـين للخليـل بـن أحمـد تعـني كـلّ أرضٍ غليظـة مخشـرِفة كأنّـها علـى جَبَـل، وهـذا كلّـه ينطبـق علـى موقـعٍ الكثيـب الأحمـر هـذا، فـهو أرضٌ غليظـة ومخشـرفة كأنـها قطعـة مـن جبـل، وهـو كلّـه يصـبّ في تـأييد مـا ذهبنـا إليـه حتـى الآن مـن أن عـين الحـارّة الواقعـة شـرق المـبرّز هـي بـالفعل العـين الخطيرة التي كـانت تُعـرف في السـابق باسـم عـين محلّـم العظيمـة.

وهكـذا لم يبـق لي الآن مـا أضيفـه عـن محلـم والمشـقر والصَّفـا، وهـا قـد توصّلنـا الآن إلى اكتشـاف المواقـع الـتي كـانت تُعـرف قديمـاً وفي التـاريخ العربـي بـهذه الأسمـاء، وقـد عرفنـا الآن أن عـين محلـم هـي العـين العظيمـة المعروفـة اليـو باسـم عـين الحـارّة الواقعـة بـالقرب مـن الحافـة الشـمالية لمدينـة المـبرّز القديمـة[٢٥٦]، وعرفنـا أيضـاً أن المشَـقَر العظيـم هـو هـذا التـلّ العجيـب الواقـع في وسـط قريـة القـارة اليـوم، والمعـروف فيـها باسـم جبـل راس القـارة،

---

[٢٥٥] انظر لسان العرب مادة (جون).

[٢٥٦] انظر الصورة (٢٦).

وكذلك عرفنا أن الصّفا هو التلّ المقابل له من الجهة الشمالية الشرقية والملاصق لجبل أبي الحصيص الواقع شمال قرية التويثير، فلم يبقَ لنا إلا الإجابة على السؤال الكبير والمؤرِّق للكلّ وهو:

أين تقع مدينة هجر العظيمة؟

هَجَرْ المَدِيْنَةُ الأُسْطُوْرَةْ

سـأبدأ الحديـث عـن مدينـة هجـر مـن النهايـة المأسـاوية لهـذه المدينـة الخطـيرة لأنّ في أخبـار سـقوطها مـا يـدلُّ علـى المكـان الـذي كـانت تقوم عليـه هـذه المدينـة العتيـدة الضاربـة في القـدم إلى مـا قبل الميلاد بعصـور كثـيرة.

ولنبـدأ حديثنـا بروايـة عـالم جليـل ومحقـق كبير هـو المسـعودي؛ الـذي ذكـر فتـح مؤسس دولـة القرامطـة في البحريـن أبـي سـعيد الجنَّـابيْ لمـدن البحريـن واسـتيلاءه عليـها في كتابـه التنبيـه والأشـراف[٢٥٧]، فذكـر فتحـه للقطيـف والـزارة وصفـوان[٢٥٨] والظـهران والأحساء وجواثي في العام ٢٨٦هـ وما بعـده، ثـم قـال بعـد ذلـك:

" وهجــر وكــانت أعظـم مـدن البحرين[٢٥٩]، وكـان بـها عيـاش المحاربي، وكـان أعظمـهم عـدة، وأشـدهم شـوكة."

وقولـه عـن هجـر أنّـه كـان بـها "عيـاش المحـاربي" في العـام ٢٨٦هـ وما بعـده يوافـق فيـه مـا جـاء في كتـاب المناسك الـذي يبـدو أنّـه كُتِـب في وقـت يسبق هـذا العـام بقليـل لأنـه ذكـر أنَّ بـهجر منـبران للصـلاة مما يعـني أنَّـه كَتـب ذلـك قبـل سـقوط مدينـة هجـر وإحراقـها علـى يـد أبـي سـعيد الجنَّـابي حيـث لم يعـد فيـها أي

---

[٢٥٧] انظر من الصفحة ٣٥٦ وما بعدها من طبعة دار مكتبة الهلال–بيروت.

[٢٥٨] صفوان هذه ليست صفواء كما قد يتبادر إلى ذهن الكثيرين، وإنما هي مدينة مندثرة كانت تقع إلى الشمال مباشرة من الموقع الأثري الشهير جاوان شمال شرق صفواء المدينة المعروفة من مدن القطيف، ولا زال الموضع معروفاً بالاسم نفسه حتى الآن.

[٢٥٩] في الأصل: "البحر" وهو تحريف البحرين لأن هجر لم تكن تقع على البحر.

منـبر للصـلاة بعـد ذلـك[٢٦٠]، ولكـنَّ مؤلـف المناسـك أضـاف في كتابـــه هذا لفظــة (ابــن) إلى عيــاش، فقــال[٢٦١]:

" وبــهَجَر منـبران عظيمـان؛ بينـهما فراسـخ، أحدهمـــا في مملكـــة ابن عيّاش مــن عبـد القيـس، ومنزلـه (كحـم ا هجـر)."[٢٦٢]

الْعَيَّاْشُ بنُ سَعِيْدْ الْمُحَارِبِيْ آخَرُ حَكَّامِ هَجَرْ

والواقـع أنّـه لا يوجـد خطـــأ في اللفظتــين (عيَّــاش المحـــاربي) و

---

[٢٦٠] لقد كتب أكثر من مؤرخ وكاتب عن خلـوّ مـدن البحريـن مـن المساجد في عصـر القرامطة مثل ناصر خسرو في رحلتــه إلى الأحسـاء وشـارح ديـوان ابـن المقـرَّب الـذي أورد كتاب الثائر العبدي أبي البهلول الزجاج إلى ديوان الخلافة؛ يزعم فيه أنّ القرامطــة قـاموا بهدم كلّ مسجد قـائم في البحريـن، ونـرى ذلـك واضحـاً مـن خـلال بيـت شعرٍ أورده في الكتاب المذكور، وجاء فيه قوله:

وحَرّموا الصلوات الخمس في هجـرٍ والكفـر يـنزل والإيمــان يرتحــلُ

بل إنّ ابن المقرَّب نفسه يقول عن القرامطة:

ومــا بنـــوا مســجداً لله نعرفـــه بـل كـل مـا وجـدوه قائمــاً هُدمـا

وقد علَّق الشارح الذي ربما يكون هو ابن المقرَّب نفسه أو معاصراً له بقوله:

" وكان أبو سعيد الجنابي حين ملك البحرين واستذلّ أهلها واستقام أمره بها هدم ما كان فيها من المساجد، وأبطـل الصـلاة، وكـان لا يصلّـي أحـدٌ بـها إلا خفيـةً مـدة دولـة القرامطة."

راجع شرح ديوان ابـن المقـرَّب بتحقيـق الكـاتب وزميليـه علـي البيـك وعبـد الغـني العرفات.

[٢٦١] انظر كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ومعالم الجزيرة الصفحة ٦٢٠ من طبعــة دار اليمامة / الرياض.

[٢٦٢] كذا وردت في أصل الكتاب المطبوع.

(ابـن عيّـاش)، لأنّ عيّـاش بـن سـعيد المحـاربي كـان هـو زعيـم هجـر وقـت ظـهور أبـي سـعيد الجنـابي كمـا اتفـق علـى ذلـك المسـعودي وشـارح ديـوان ابـن المقـرَّب، ولعـلَّ تسـمية صـاحب كتـاب المناسـك لـه بـابن عيّـاش نـاتج عـن كـون اسـم جـدّه أو أحـد آبـاءه العُلْويّـين عيّـاش أيضـاً وهـو كثـير الحـدوث في المنطقـة، أو أن تكـون لفظـة (بـن) مقحمـة، وقـد كـان لعيـاش هـذا شـهرة ذائعـة الصيـت في المنطقـة حققـها بعـد انتصـاره الكبـير هـو وزعيـم جواثـى العُريـانُ بـن إبراهيـم بـن الرجّـاف العبـدي علـى صـاحب الزنـج في وقعـة عُرفـت في تـاريخ البحريـن باسـم (وقعـة الـرَّدم) الـتي ذكرهـا المسعودي في كتابـه التنبيـه والأشـراف حيـث جـاء فيـه[٢٦٣] :

" وجواثـى، وكـان بـها العُريـان بـن الهيثـم الرَّبَعـي، وقـد ذكـره علـي بـن محمـد المنتمـي إلى أبـي طـالب صـاحب الزّنـج النـاجم بـالبصرة عنـد ظـهوره بـالبحرين في تميـم وكـلاب ونمـير وغـيرهم، وذلـك قبـل مصـيره إلى البصـرة، وكـان العُريـان أوقـع بـهم في عبـد القيـس، وبـني عـامر بـن صعصعـة، ومحـارب بـن خصفـة بـن قيـس بـن عيـلان، وغـيرهم وقعـات متتابعـات، فأخرجـه عـن البحريـن ونواحيـها، وقتـل مـن أصحابـه خلقـاً كثـيراً، فلمـا وقـع طرفـه بالصَّمان على الطـائر المعـروف بالمكـاء، قـال كلمتـه الـتي أولهـا:

أيا طائر الصَّمان مـا لـكَ مفـرداً تأسَّيْتَ بي أم عاقَ إلْفَـكَ عـائقُ

فقال فيـها:

[٢٦٣] انظر الصفحة ٣٥٦، وقد قمنا بتحقيق كلامه هذا وتصحيح ما فيه في تحقيقنا لشرح ديوان ابن المقرَّب، وعنه نقلنا هنا ما يخص هذه الوقعة بتصرّف، وقد ذكـر الطبري في تاريخه هذه الوقعة أيضاً (١٠ : ٢٧٨)، ولكن ليس بالتفصيل الذي ذكره المسعودي.

عدمت عِتـاق الخيـل إن لم أزر بـها
عليـها الكمـاةُ الدارعــون البطــارقُ

عليـها رجـالٌ مـن تميـم، وقَصْرُهــا
كُليـبُ بـن يربـوع الكـرامُ المصــادقُ

وجُثْوتُــها ســعدٌ، وفي جنباتــها
نُميرٌ، وبيْضٌ مـن كــلابٍ عواتــقُ

وإن لم أصبِّح (عـامراً) و(محاربـاً)
بخطـةِ خَسْفٍ أو تُعقِـني العوائــقُ

أيحسبني العُريـانُ أنسى فوارسـي
غداةَ نـزال (الـرَّدم) والموت عـالقُ

وقال في كلمــة أخـرى:

أتحسبُ عبد القيس أنّـي نسيتها ؟
ولستُ بناسيها، ولا تاركـاً تَبْلـيْ

وهـذا النَّـص علـــى نُدرتـــه فقــد وقــع فيــه خطئــان جســيمان، أولهمــا تســميته والــد هــذا الزعيـــم بـــالهيثم، وهـــو تطبيـــع أو تصحيـف، فوالـده هـو إبراهيـم كمـا ذكـر ذلـك شــارح ديــوان ابــن المقرَّب[٢٦٤]، وذُكــرَ باسمــه هــذا صحيحــاً في إحــدى نُسـخ كتـــاب اتعـاظ الحنفـا للمقريـزي، فقـد جــاء فيــه عنـد ذكـر خــروج أبــي سعيد الجنـابي قـول المحقـق في الهـامش (٣) مـا هـذا نصُّـه:[٢٦٥]

" يوجــد بالهــامش في النســختين - يقصــد النســختين اللتـــين اعتمــد المحقــق عليــهما في إخراجــه للكتـــاب - تعريـــف بـــهذا الرجل - يعـني أبـا سـعيد -، نصُّـه:

اختلـف في أبـي سـعيد الجنـابي، فقـال قـومٌ: اسمـه الحسـن بـــن علي بن محمد بــن عيسـى بـن زيـد بـن علـي بـن الحسـين بـن علـي بـن أبـي طـالب، وأنـه صـاحب الزّنــج القـائم بـالبصرة بعـد سـنة

---

[٢٦٤] انظره بتحقيقنا في شرح البيت:

إني لأخشى أن تلاقوا مثلما
لاقى بنو العياش والعُريان

[٢٦٥] انظر الصفحة ١٥٩ من طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر.

خمسين ومأتين، وأن علي بن محمد - يعني أباه، وهو نفسه صاحب الزنج - كان مقيماً بهجر، ويُعرف أنه شريفٌ، ويكرم ويُعطى، ثم إنه خرج وجمع، فقاتله العُريان بن إبراهيم بأرض البحرين، فانصرف إلى القطيف.

والخطأ الآخر هو قوله أنّ العُريان عندما أوقع بصاحب الزّنج كان معه عبد القيس، وبنو عامر بن صعصعة، ومحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وغيرهم، والصحيح أن بني عامر هؤلاء ليسو ببني عامر بن صعصعة، وإنما هم بنو عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس قوم العُريان بن إبراهيم كما في سلسلة نسبه المذكورة في شرح ديوان ابن المقرَّب والآتية بعد قليل، وأما بنو محارب فما هم بمحارب بن خصفة بن قيس عيلان كما ذكر، فلم يُعهد لبني محارب بن خصفة أنهم حلّوا البحرين، وإنما هم بنو محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس أهل هجر وقراها، وهو البطن الذي تحدَّر منه العياش بن سعيد المحاربي المقرون مع العُريان في الخبر الذي أورده المسعودي عن فتح أبي سعيد لمدن البحرين، والذي أشرنا إليه قبل قليل.

وهذا يعني أن العُريان لقي صاحب الزّنج بقبائل عبد القيس وبطونها ومنهم بنو عامر بن الحارث عشيرته وبنو محارب بن عمرو أهل هجَر بقيادة زعيمهم العياش بن سعيد، وكلّهم من عبد القيس، وهم أنفسهم المعنيّون في بيت صاحب الزنج بقوله:

وإن لم أصبّح عامراً ومحارباً ... بخطة خَسفٍ أو تُعققني

ودليل ذلك أيضاً هو قوله في البيت الآخر:

أتحسب عبد القيس أني نسيتها فلست بناسيها ولا تاركاً تَبْلِيْ

فهو يخصّ عبد القيس فقط على أنهم أهل ثاره، وأشهر بطون عبد القيس بهجر حينها هم عامر بن الحارث قوم العُريان بن إبراهيم، ومحارب بن عمرو قوم العياش بن سعيد المحاربي.

وقد ذكر شارح ديوان ابن المقرَّب الأحسائي المعاصر له خبر محاربة أبي سعيد الجنابي لأهل هجر، فقال عند الكلام على القصيدة التي أولها:

كم بالنهوض إلى العلا تعداني ناما فما لكما بذاك يدان

وذلك عند شرحه لأحد أبياتها، وهو قوله مخاطباً عشيرته:

إنّي لأخشى أن تلاقوا مثلما لاقى بنو العَيَّاش والعُريَان

كرهوا الجلاء عن الديار بالسيف عن عرَض وبالنيران

فعلق الشارح قائلا:

" ويعني بالعَيَّاش عَيّاش بن سعيد رئيس بني محارب، وكان منزله بالجبل المعروف بالشّبعان من جبال هجر، وهو في وسطها تحفُّ به أنهارها وبساتينها.

والعريان رئيس بني مالك، وهو العريان بن إبراهيم بن الزحَّاف بن العريان بن مورق بن رجاء بن بشر بن صهبان بن الحارث بن وهب بن عُصْبة بن كعب بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث، وذلك أن عبد القيس حين اختلفت كلمتهم وكثرت بينهم الحروب ضعفوا ووهن أمرهم بالبحرين، فوثب القرمطي، وهو أبو سعيد الحسن بن بهرام بن بهرست على القطيف، وهو يومئذٍ ضامن مكوسها

وفرضتها، وكان قد جمع مالاً عظيماً استمال به قلوب الناس، وكان رئاسة القطيف يومئذٍ ومُلكها لبني جذيمة، وكان أولي الأمر منهم بنو أبي الحسن علي بن مسمار بن سَلْم بن يحيى بن سَلْم بن مذخور بن صعصعة بن مالك بن عامر بن مخاشن بن سعد بن كلب بن عامر بن سعد بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وجمع جيشاً عظيماً من أهلها ومن البادية ومن أهل عمان، وحارب بهم أهل القطيف حتى ملكها بعد حرق الزارة، وهي يومئذٍ مدينتها ودار مملكتها، وسار حينئذٍ إلى الأحساء بجموع عظيمة، وكان يمكن آل العيّاش وآل العريان ومن يتعلّق بهم من قوم الانتقال، فلم ينتقلوا، فحاربهم أبو سعيد حتى قهرهم وملك الأحساء، فحين استقر له الملك بها جمع من بها من عبد القيس في محلّة من الأحساء تسمّى الرَّمَادة وأضرمها عليهم ناراً، وقد أعدّ لهم الرجال بالسلاح حول تلك المحلّة، فمن خرج قتلوه، ومن لم يخرج أكلته النار، فهلك منهم يومئذٍ بالحرق والقتل قومٌ لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، وكان فيهم من حملة القرآن خلقٌ كثير." انتهى.

ومن جميع ما تقدم من نصوص نخرج بحقيقة واضحة هي أنّ العياش بن سعيد المحاربي كان ملك هجر كما في نصّ كتاب المناسك، وأعظم حكام البحرين عُدَّة واشدّهم شوكة كما في نصّ المسعودي من التنبيه والأشراف، وقد أفادنا شارح ديوان ابن المقرّب بإفادة خطيرة ينبغي عدم إغفالها، وهو قوله عن العياش بن سعيد المحاربي هذا: " وكان منزله بالجبل

المعروف بالشّبعان من جبال هجر، وهو في وسطها تحفُّ به أنهارها وبساتينها."

وفي حين أنّ الضمير في الكلمات (وسطها)، (أنهارها)، (بساتينها) يعود إلى هجر قطعاً، إلا أنّ الضمير في لفظتي (هو) و (به) من النصّ قد تكونان عائدتين على منزل العياش المحاربي، وقد تكونان عائدتين على جبل الشبعان، وعندها تكون للنص قراءتان مختلفتان كما يلي:

أولا: إنَّ منزل العياش بن سعيد كان بالجبل المعروف بالشبعان، وأنّ منزله كان يقع وسط هجر وتحفُّ بهذا المنزل أنهار هجر وبساتينها.

ثانياً: إنّ منزل العياش بن سعيد كان بالجبل المعروف بالشبعان، وهذا الجبل يقع وسط هجر، وتحفُّ بهذا الجبل أنهار هجر وبساتينها.

فإذا أخذنا بالقراءة الأولى كان المعني بهجر في هذا النصّ هو هجر المدينة؛ أمّا إذا أخذنا بالقراءة الثانية، فإنّ المقصود بهجر حينها الإقليم لأنّه يستحيل أن يكون جبل الشبعان واقعاً وسط مدينة هجر، وهو بهذا الحجم[٢٦٦] ولكننا إذا رجعنا إلى نصّ المسعودي عندما قال عن هجر المدينة أنّه كان بها أيام خروج أبي سعيد الجنابي العياشُ المحاربي، ومن مقارنة الخبرين نصل إلى أنّ القراءة الأولى لرواية شارح الديوان المقرَّبي هي الأصح، وهو أنّ منزل العياش بن سعيد المحاربي يقع وسط

---

[٢٦٦] تبلغ مساحة الجبل حوالي ٢ كلم^2 (٢٠٠ هكتار)، وارتفاعه ٢٠٧م انظر كتاب واحة الأحساء؛ دراسة في مواردها المائية، تأليف د. زين العابدين رجب الصفحة ١٤

مدينة هجر، وبالتالي وحسب الرواية نفسها نصل من ذلك إلى نتيجة حتمية، وهي أنّ هجر المدينة التي حوصرت كانت ملاصقةً لجبل الشبعان تماماً، وهو ما يزيل أيّ سوء فهم ينتج عمّا قد يظنه القارىء اختلافاً بين قول شارح الديوان المقرّبي أنّ منزل العياش المحاربي كان بالجبل المعروف بالشبعان وبين قول المسعودي أنَّ العياش المحاربي كان بمدينة هجر وقت خروج أبي سعيد الجنابي وبدء تأسيسه لدولة القرامطة في المنطقة، فالعياش كان ساكناً في مدينة هجر، وفي نفس الوقت كان منزله في جبل الشبعان لأنّ مدينة هجر كانت ملاصقةً تماماً لهذا الجبل بحيث أنّه كان يحمي ظهرها.

هَجَرٌ لمُحَارِبْ وَمُحَارِبٌ لِهَجَرْ

بنو محارب هؤلاء؛ هم بنو محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وقد اشتهر منهم بطنٌ واحدٌ فقط، وهم بنو الحُطَمَة بن محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

وسبب شهرة هذا البطن هو إتقان أفراد منه لصناعة نوعيةٍ من الدروع تُعدُّ من أفضل الدروع العربية وأكثرها صيتاً، وفي خبر تزويج الإمام علي – عليه السلام – بالسيدة الزهراء – صلوات الله عليها – أنّ الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – قال لعلي: أين درعك الحُطميّة[٢٦٧]، فهي منسوبة إلى بني الحطمة بن محارب هؤلاء.

---

[٢٦٧] انظر مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب الصفحة ٣٠، وسنن النسائي: ٦: ١٢٩.

ومنذ أن هاجرت عبد القيس من تهامة إلى البحرين، والبحرين تُعرف على أنها بلاد عبد القيس، وعبد القيس يعرفون بأنهم أهل البحرين[٢٦٨]، ومن الطريف في هذا الشأن ما ورد في أمثال العرب، وهو قولهم: "عرف النخل أهله"، ويروي لنا الميداني في كتابه مجمع الأمثال أصل هذا المثل، فيقول:

أصله أن عبد القيس وشَنَّ بن أفْصَى لما ساروا يطلبون المتَّسَع والريف وبعثوا بالرُّوَّاد والعيون، فبلغوا هَجَر وأرض البحرين، ومياها ظاهرة وقرى عامرة ونخلاً وريفاً وداراً أفضل وأريَفَ من البلاد التي هم بها؛ ساروا إلى البحرين وضاموا مَنْ بها من إياد ولأزد وشَدَّوا خيولهم بكرانيف النخل، فَقَالت إياد: عَرَفَ النخلُ أهْلَه، فذهبت مثلاً.".

وإذا كان النخل قد عرف أهله، فإن البحرين وهجر قد عرفت أهلها أيضاً، فمنذ نزول عبد القيس في البحرين[٢٦٩]، واقتسامها لمدنها وقراها فقد أصبح الكثير من هذه المدن والقرى مرتبط ببطون هذه القبيلة، فالقطيف عُرفت ببني نكرة بن لكيز بن عبد القيس، وبني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

وبالمثل فقد عُرفت الأحساء وهجر ببني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وبني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وفي هذا الشأن يقول البكري في كتابه معجم ما استعجم

---

[٢٦٨] انظر معجم البلدان رسم (المشقر).

[٢٦٩] أغلب الظنّ أن ذلك كان في بداية القرن الثاني الميلادي.

بعد كلامه عن محاربة عبد القيس للقبائل التي كانت في البحرين قبلها وانتصارها عليهم واقتسام بطونها لها، فقال:[٢٧٠]

" فغلبت عبد القيس على البحرين، واقتسموها بينهم.

فنزلت جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، الخط وأعناءها.[٢٧١]

ونزلت شن بن أفصى بن عبد القيس طرفها وأدناها إلى العراق.

ونزلت نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس وسط القطيف وما حوله، وقال ابن شبة: نزلت نكرة الشفار والظهران، إلى الرمل وما بين هجر إلى قطر وبينونة؛ وإنما سميت بينونة لانها وسط بين البحرين وعمان، فصارت بينهما.

ونزلت عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، والعمور – وهم بنو الديل بن عمرو، ومحارب بن عمرو، وعجل بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن أفصى، ومعهم عمرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم – الجوف والعيون والاحساء، حذاء طرف الدهناء، وخالطوا أهل هجر في دارهم.

ودخلت قبائل من عبد القيس، – وهم بنو زاكية بن وابلة

---

[٢٧٠] معجم ما استعجم للبكري ١ : ٨١.

[٢٧١] الخط هي القطيف، والأعناء: النواحي، وهو مراد قائل النصّ، وليس فيه تحريف كما ارتأى الشيخ حمد الجاسر عندما ذكر هذا النصَّ في مقدمة كتابه المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، فذهب إلى أنّ الأعناء تحريف الأعباء الواحة القطيفية.

بن دهن بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، وعمرو بن وديعة بن لكيز، والعوقة، وعوف بن الديل، وعائش بن الديل بن عمرو بن وديعة، وعمرو بن نكرة بن لكيز بن أفصى – جوف عمان، فصاروا شركاء للازد بها في بلادهم، وهم الاتلاد: أتلاد عمان." انتهى

وما يعنينا هنا هو قوله:

" ونزلت عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، والعمور – وهم بنو الديل بن عمرو، ومحارب بن عمرو، وعجل بن عمرو ابن وديعة بن لكيز بن أفصى، ومعهم عميرة بن أسد بن ربيعة حلفاء لهم – الجوف والعيون والاحساء، حذاء طرف الدهناء، وخالطوا أهل هجر في دارهم."

ففي هذا النصِّ تصريح بأنّ بني عامر بن الحارث ومحارب بن عمرو والعُمور قد سكنوا الجوف والعُيون والأحساء، وخالطوا أهل هجر في دارهم، وكان ذلك في بداية نزولهم هجر والأحساء، ولكنهم سرعان ما أصبحوا أهل هذه البلاد وسادتها.

ثم سَمَى بنو محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، فاحتلّوا مدينة هجر[٢٧٢]، وفي هذا الصدد فقد

---

[٢٧٢] لم يكن تسيّد بني محارب لمدينة هجر في وقت مبكّر من نزولهم البحرين مع باقي بطون عبد القيس، ومن المرجَّح أنّهم احتلوها مع بداية ظهور الإسلام عندما أسلمت عبد القيس طوعاً، وبعد أن خرجت البحرين من مملكة الفرس لأنه قد مرَّ بنا فيما سبق من هذا الكتاب أنّ ملك هجر إبّان وقعة يوم جبلة الشهيرة بين بني عامر وتميم كان الجون الكندي، والذي أرسل ولديه لمناصرة بني تميم في ذلك اليوم بعد أن استنجدوا به، ويوم

حفظ لنا الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب نصّاً هامّاً لأبي مالك أحمد بن محمد بن سهل بن صباح اليشكري، وكان ممن سكن البحرين ونجعها ورعاها وسافر فيها، وكان خبيراً بها كما وصفه الهمداني بذلك، وذكر له النصّ الآتي الذي ننقله هنا لما فيه من فوائد هامّة فيما نحن بصدده، وهو قوله: [٢٧٣]

" مدينة البحرين العظمى هجَر، وهي سوق بني محارب من عبد القيس، ومنازلها ما دار بها من قرى البحرين، فالقطيف موضع نخل، وقرية عظيمة الشأن، وهي ساحل، وساكنها جذيمة من عبد القيس سيدهم ابن مسمار[٢٧٤] ورهطه، ثم العُقير[٢٧٥] من دونه، وهو ساحل وقرية دون القطيف من العطف، وبه نخل، ويسكنه العرب من بني محارب[٢٧٦]، ثم

جبلة هذا وقع في العام الذي ولد فيه الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –، وقيل وقع عام ٥٧ قبل الهجرة، وعليه فإن بني محارب في ذلك الوقت لم يكونوا سادة هجر بل كان سيدها الجون الكندي، ولكن يبدو أنّه بعد دخول عبد القيس في الإسلام، وثباتهم عليه في حروب الردّة، وتصلبهم في الدفاع عنه في الحرب التي وقعت في بلادهم في جواثى والمشقر كما سبق وأشرنا إليها هنا، فإنّ كل ذلك جعل عبد القيس ثم بني محارب منهم الذين كانت قراهم محيطة بمدينة هجر – كما سنرى بعد قليل – ولوجود جماعة حسنة منهم في الوفد الذي وفد على الرسول الأكرم – صلى الله عليه وآله وسلم – يتسيدون على مدينة هجر حتّى صارت لا تعرف إلا بهم.

[٢٧٣] انظر صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهمداني الصفحة ٢٧٩.

[٢٧٤] هو علي بن مسمار الجَذَمي العبدي الذي تقدم ذكره وارتفاع نسبه إلى عبد القيس.

[٢٧٥] لا زالت معروفة ومشهورة حتى الآن.

[٢٧٦] أي بني محارب من عبد القيس.

السِّيْف سِيف البحر، وهو من أوال على يوم، وأوال جزيرة في وسط البحر مسيرة يوم، وفيها جميع الحيوان كلّه الا السباع، ثم السِّتار تُعرف بستار البحرين[٢٧٧]، وهو منادى بني تميم؛ فيه متصلة البيضاء[٢٧٨]، وكان بها نخل وسكن[٢٧٩]، والفطح[٢٨٠]، وهو طريق بين السِّتار والبحر إلى البصرة .. فالأحساء منازل ودور لبني تميم ثم لسعد من بني تميم، وكان سوقها على كثيب يُسمّى الجرعاء[٢٨١] تتبايع عليه العرب، وعن يمين البحرين ودونها يبرين والخِنّ موضع فيه نخل كثير لبني وَدعة[٢٨٢]، ويبرين نخل وحصون وعيون جارية وغير جارية، وسباخ، والبحرين إنما سُمّيت البحرين من أجل نهرها محلم، ولنهر

---

[٢٧٧] وهي أيضاً معروفة، ويطلق اسم وداي المياه الآن على الكثير من جهاتها القديمة.

[٢٧٨] وهي برُّ القطيف الذي يحيط بواحتها.

[٢٧٩] ولا زالت البيضاء حتى اليوم بها نخلٌ وسكن، ولكنّ نخلها أكثره أهمل.

[٢٨٠] يُعرف الآن باسم (طُفَيْح)، وهو كما ذكر من صفته؛ وإنما سُمّي على اسم موضع يقع على سابلة الطريق القديم المؤدي إلى الكويت والعراق شمال رَيْمَان، وريمان هذه هي التي ذكرها ياقوت في رسمها من معجمه، فقال أنها قرية بالبحرين لعبد القيس.

[٢٨١] لقد حققنا موضع الجرعاء هذه في تحقيقنا لشرح ديوان ابن المقرَّب، وانتهينا إلى أنّها كانت تقع قرب الموضع الذي به الآن قلعة المحيرس، وأنها تحتلُّ جزءاً كبيراً مما يُعرف في طبوغرافيا الأحساء الآن باسم لسان المحيرس أو هضبة المحيرس.

[٢٨٢] الأقرب أنهم بنو وديعة، وهم بنو وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس جذمٌ كبير من عبد القيس تفرّعت منه قبائل كثيرة.

عين الجريب[٢٨٣]. انتهى

وما يهمّنا هنا من هذا النصّ أمران:

الأول: هو قوله أنّ هجر هي سوق بني محارب من عبد القيس.

والثاني: هو قوله أنّ منازل بني محارب هي ما دار بمدينة هجر من قرى البحرين.

لأنّ في ذلك أول إشارة إلى أنّ بني محارب من عبد القيس هم الذين كانوا يقيمون سوق هجر، وهي سوق المشقَّر الشهيرة، فقد مرَّ بنا في النصّ رقم (٣٦) قول ابن حبيب عن سوق المشقر بهجر ما يلي:

" وكانت عبد القيس وتميم جيرانها، وكان ملوكها من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي، كانت ملوك فارس تستعملهم عليها، كبني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان. "

فأنت ترى أنّ ابن حبيب لم يذكر لعبد القيس هنا سوى جيرتهم لهذه السوق؛ في حين ذكر أنّ ملوكها هم من بني عبد الله بن زيد التميميين، وهم رهط المنذر بن ساوى، ولا تفوتنا إشارته إلى أنّ ملوك فارس كانت تستعملهم عليها، وقد كان ذلك كما أسلفنا في أواخر عهد عصر ما قبل الإسلام وبداية ظهوره ثم بعد ذلك بدأ بنو عبد القيس في أخذ موقع الريادة

---

[٢٨٣] لقد مرّ بنا في النص رقم (٣٤) أنّ الأصمعي له كلامٌ مشابه جداً لهذا القول، ولكنه ذكر هناك أنّ البحرين سُمِّيت بذلك لأجل عين محلم وعين قضباء بدلاً من الجريب هنا.

فأصبحوا هم ملوك هذه السوق والقائمون عليها كما يُستشف من نصّ اليشكري الذي ذكره الهمداني هنا.

وأما النقطة الثانية التي تهمنا، وهي قوله أنّ منازل بني محارب ما دار بمدينة هجر من قرى البحرين، فإنّ ذلك له فضلٌ كبير في تحديد مدينة هجر التي قلنا قبل قليل أنَّها – وبدون شكٍّ أو ريب – ملاصقة لهذا الجبل الرائع جبل الشبعان، ولأنّ هذا الجبل هو من الضخامة بحيث تمكنه من احتضان أكثر من مدينة تقوم على سفوحه فإننا لا زلنا لا نعرف تماماً الجهة أو الركن من هذا الجبل الذي كانت مدينة هجر تلاصقه، وبالتالي فإنه لا بد لنا من سبر أغوار التاريخ واستقراء النصوص الخاصّة بهجر وقراها وأنهارها وجبالها لمعرفة الموضع الذي كانت تقوم عليه مدينة هجر العظيمة التي بتنا نعلم الآن يقيناً أنها كانت ملاصقةً لهذا الجبل العجيب جبل الشبعان.

فِيْ الطَّرِيْقِ إِلَىْ اكْتِشَاْفِ مَوْضِعِ مَدِيْنَةِ هَجَرْ

إنّ لكتاب البلدان للعلامة أحمد بن محمد الهمذاني المشهور بابن الفقيه أهميَّةٌ كُبرى في تحديد الكثير من الأماكن وحفظ رسومها وأسمائها مع دقّةٍ في نقل المعلومات وترتيبها على الرغم من أنّه لم يصل إلينا كاملاً وإنما وصلنا مختصرات له ليس إلا.[٢٨٤]

[٢٨٤] يوجد لدي نسختان منه؛ إحداهما هي مختصر كتاب البلدان، وهي نسخة طبعتها دار صادر بلبنان مصوَّرة بالأوفست عن الطبعة الأولى لهذا الكتاب، والتي طُبعت بتحقيق دي خويه في مطابع بريل في مدينة ليدن عام ١٨٨٥م، والثانية هي طبعة دار عالم

وقد وردت في هذا المختصر بعض المعلومات الخاصّة بإقليم البحرين، ومنها أنّه ذكر فيه اثنين وعشرين قريةً كلُّها لبني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، ثم أردف بعدها قائلاً: وقُرى بني عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة أضعاف هذه. انتهى

ولم يذكر من قرى بني عامر أي قرية، ولعل ذلك من الخلل الواقع بسبب الاختصار الذي أشرنا إليه، وقد ذكر الجغرافيون العرب قُرىً كثيرة لبني عامر بن الحارث هؤلاء في البحرين، وهي:

(الأوجار - الجار - جبلة - الجبيلة - الجُفَير - جواثى - الجَوْف - حرَّان الكبرى - حرَّان الصغرى - الدّبيرة - الرَّدْم - سوار - شفار - شِقار - الصادر - الظهران - الفُرْضة - قطر - كَنَبُوْت - المريداء - المزيرعة - نَجْبة - النَّقِيَّة -

---

الكتب بتحقيق يوسف الهادي، وقد أسماها كتاب البلدان وليس مختصر البلدان، وذلك لأنه عثر في المكتبة الرضوية بمشهد على نسخة أخرى مخطوطة ومختصرة اختصار مخلّ أيضاً، ولكن ميزتها أنّ بها أخبارٌ ومواد خلت منها طبعة ليدن، فما كان منه إلا أنْ جمع بينها وبين طبعة ليدن واخرجها في هذه الطبعة، وعلى الرغم من جودة عمله هذا - جزاه الله خيراً عليه - إلا أنّه لا يَرقى لأن يكون كتاب البلدان لابن الفقيه الذي قال عنه ابن النديم أنّه نحو ألف ورقة، ولأن الكتاب قد بقي ناقصاً حتّى مع هذا الجهد المشكور، وقد بيّنا ذلك في الكلام حول النصّ رقم (٤٤) فيما تقدم، كما أننا لم نجد في هذه الطبعة أي فائدة لنا أو إضافات فيما نحن بصدده من تحقيق هذه الأماكن البحرانية لأنّه لم يُذكر عنها أيُّ شيء في مخطوطة الرضوية المكتشفة، وقد كتبَ الأستاذ المحقق يوسف الهادي المعلومات الخاصة بالبحرين ومدنه وقراه عن نسخة ليدن نفسها، وبالتالي فإننا سنعتمد هنا نسخة ليدن لأنها الأسبق والأفضل تحقيقاً بالنسبة لما يخصُّ بحثنا هذا.

نُهَا).

فهذه ٢٤ قرية لبني عامر بن الحارث ذكرها ياقوت جميعها في معجمه باستثناء أربع منها، وهي (جَبَلَة) التي ذكرها صاحب المناسك كما تقدم، وقال أنها لموسى بن عمران بن الرجّاف وأوضحنا هناك أنه من بني عامر بن الحارث، و(جواثى) والتي ذكر المسعودي في التنبيه والأشراف أنها كانت مملكة زعيمهم العُريان بن إبراهيم بن الرجّاف العامري العبدي، وكذلك كلاً من (الجوف) و(قطر) واللتان ذكرهما البكري على أنهما من بلاد عامر بن الحارث في مقدمته عن نزول عبد القيس على البحرين.[٢٨٥]

غير أنّ ما يهمّنا تناوله هنا هي قُرى بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس؛ رهط العياش بن سعيد المحاربي زعيم هجر وآخر ملوكها، وقد مرَّ بنا قبل قليل نصّ أبي مالك اليشكري الذي ذكره الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، والذي قال فيه أنّ قرى بني محارب هي ما دار بمدينة هجر من قرى البحرين؛ كما ذكرنا أنّه ورد في مختصر البلدان لابن الفقيه ذكر اثنين وعشرين قرية كلُّها لبني محارب هؤلاء، وسوف أذكرها الآن حسب ما وردت في طبعة ليدن مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الكثير من هذه القرى لا زال موجوداً حتى الآن سواء على هيئة قَرية قائمة أو قرى مندثرة وبقيت أسماؤها، كما نود لفت نظر القارىء إلى أنّ أكثر هذه الأسماء قد تحرَّف بفعل النسّاخ، وبعضه كان التحريف فيه من الأصل كما

---

[٢٨٥] انظر معجم ما استعجم ١ : ٨١.

سـنرى، وسـأحاول هنـا قـدر الجـهد ردّ الأسمـاء المحرَّفـة إلى أصلـها الصحيـح، ومـن ثـم تحديـد القـرى الـتي أعـرف أنـها باقيـة حتـى اليـوم سـواءً أكـانت قـرى عـامرة أم قـرى مندثـرة، ولنذكـر الآن نـصّ أسمـاء القُرى كمـا وردت في المختصـر، وهـي كالتـالي:[٢٨٦]

(الحـوس – الكَثيـب الأكـبر – الكَثيـب الأصغـر – أرض نـوح – ذو النـار[٢٨٧] – المالحـة – الذرائب[٢٨٨] – البَـديّ – الخرصـان[٢٨٩] – السّـهلة – الحوجـر[٢٩٠] – الوجـير – الطربـال – المنسـلخ[٢٩١] – المـرزى – المطلـع – الشـطّ – القرحـاء[٢٩٢] – الرّميلـة – البَحْـرة – الرّجراجـة – العرجـة).

وسـنترجم الآن مـا اسـتطعنا معرفتـه مـن هـذه القـرى مـع ردّ المحـرف منـها إلى أصلـه الصحيـح، وذلـك بوضـع مـا نصححـه بـين قوسـين إلى جـانب اسـم القريـة الـذي سـوف نرسمـه كمـا ورد في كتاب مختصـر البلـدان، وسـوف نشـير إلى مـا هـو قـائم كقريـة حتـى الآن ومـا اندثـر موضعـاً وبقـي اسمـاً، ومـا لم نقـف علـى موضعـه منـها.

---

[٢٨٦] انظر مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه / طبعة دار صادر المصوَّرة عن طبعة ليدن بتحقيق دي خويه الصفحة ٣٠.

[٢٨٧] وقد أشار المحقق إلى أنها وردت في نسخة أخرى: ذو البان.

[٢٨٨] وقد أشار المحقق إلى أنها وردت في نسخة أخرى: الزَّرائب.

[٢٨٩] ووردت في نسخة أخرى: الخوصاء.

[٢٩٠] وقد وردت في نسختين أخريين كما يلي: الحوضى / الحرصلة.

[٢٩١] وفي قراءة أخرى: المنسلح.

[٢٩٢] ووردت قراءة أخرى لها: النبطاء

١. الحوس (الجونين)

وهي كما نرى غير منقّطة، ومن الملاحظ أنّه يوجد تشابه كبير جداً بين هذه الكلمة (الحوس) وبين كلمة (الجونين) التي لو حذفنا التنقيط منها لأصبحت تماماً مثل كلمة (الحوس). وبالتالي فإنني أرجّح أنْ تكون كلمة (الحوس) هذه تصحيف (الجونين)، والتي تقدم القول أنها كانت قريةً تقع بالقرب من عين محلم دونها الكثيب الأحمر[٢٩٣].

وقد أوضحنا هناك أنّها كانت تقع بالقرب من قلعة المحيرس قرب قاعين أحمرين، وهما نفسهما اللذان ذكرهما ياقوت في معجمه.

٢. الكثيب الأكبر:

٣. الكثيب الأصغر:

لا نعرف تماماً موضع هاتين القريتين، وإن كان الكثيب قد ورد في كتب المعاجم، ومنها معجم البلدان لياقوت الحموي، وفيه: الكَثيبُ: قرية لبني مُحارب بن عمرو بن وديعة من عبد القيس بالبحرين، وفي القاموس المحيط: الكثيب: قريتان بالبحرين.

وقد ذكر ابن المقرَّب العُيوني موضعاً سمّاه الكثيب في قوله[٢٩٤]:

أخذوا الحساء من الكثيب إلى محا　　　ديثِ العُيون إلى نقا حلوان

---

[٢٩٣] معجم البلدان للحموي مادة الجونين.

[٢٩٤] راجع الفهارس الفنية من ديوانه بتحقيق الكاتب وزميليه البيك والعرفات.

وقد علّق الشارح هناك بقوله: الحساء لغة في الأحساء، والكثيب طرفها الجنوبي.

وذكر الحاج ملا عطية الجمري - رحمه الله - موضعاً أسماه الكثيب، بالقرب من قرية الجشّة من قرى الأحساء، وذلك في أرجوزته الهجرية[295] التي ألّفها عام ١٣٥٤هـ عند زيارته للأحساء عن طريق العُقير حيث جاء فيها في وصفه للطريق بين العقير وواحة الأحساء والمواضع التي كان المسافرون يمرّون بها في تلك الطريق، فقال:

ثم بلغنا في السرى الدّوّارا [296]	وادٍ عنيفٌ يتعبُ السُّفّارا
كأنه اللجُّ من الرمول	عند الكثيب صيح بالنزول

وبالتالي فإنه موافق لما قاله شارح ديوان ابن المقرَّب من أنّ الكثيب طرف الأحساء الجنوبي، فالأقرب أنّ الكثيبين هاتين تقعان بالقرب من الجشة أو ما حولها.

٤. أرض نوح

وعدّها الحموي في معجم البلدان من قُرى البحرين، وقال في رسمها: الأرض معروفة، ونوح اسم النبي نوح عليه السلام. انتهى

وظاهر كلامه أنّ القرية منسوبة إلى نبي الله نوح عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام؛ إلا أنني أرجّح أن تكون

---

[295] يقوم الكاتب بتحقيقها حالياً.

[296] الدّوّار: ويقال له الدويرات أيضاً بسبب تكون تلال دائرية من الرمال فيه تشبه القباب، وهو موضع قريب من الجشة يقع إلى الجنوب الشرقي منها بمسافة كيلو مترٍ ونصف فقط، والجشّة تقع في أقصى الجنوب الشرقي من الأحساء.

النسبة إلى أحد أعلام هجر واسمه نوح، وقد ذكر المؤرخون من أسموه بنوح بن مخلد الضبعي[٢٩٧] من أهل البحرين، وهو أحد الذين وفدوا على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – مع وفد عبد القيس، ولكنني لست على ثقة إنْ كانت أرض نوح هذه مضافة إليه أم لغيره، وإن كانت نسبتها إليه غير مستبعدة.

٥. ذوالنار

ولا نعرف عنها شيئاً سوى أنّ محقق مختصر البلدان دي خويه ذكر أنّها قد وردت في نسخة أخرى باسم (ذو البان).

٦. المالحة

ولا زال يوجد موضع يُدعى (المالحة) يقع شرق الجشة بنصف كيلومتر، وكانت في السابق مورداً للقادمين من العُقير، وهي اليوم هجرة من هجر البدو.

ويبدو أنها نفسها المالحة الواردة في نصّ ابن الفقيه حول قرى بني محارب وإن كان يوجد موضع آخر يحمل نفس الاسم، ويقع غرب قرية القارة الآن، ويحتمل أن يكونه أيضاً.

٧. الذرائب(الزرائب):

وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان في رسمه، وقال أنه موضع بالبحرين، وقال أنه جمع ذريبة أو جمع ذريب، وهو الحادّ؛ إلا أنّه كان قد ذكره في رسم (البديّ) – كما سيأتي – قائلا أنَّ

---

[٢٩٧] انظر فتح الباري لابن حجر ١: ١٢٠، وفيه اختلاف في نسبة قومه ضبيعة هل هم من عبد القيس أم بكر بن وائل، والمشهور أنّ ضبيعة من بكر بن وائل.

البديّ يقع بين الزرائب والحوضى.

وأخشى أنّ ياقوت قد قرأه أولاً محرفاً كما فعل في آفان القرية القطيفية حيث سمّاها آفاز، والصحيح أنّ الذرائب هي الزرائب - بالزاي - لا الذرائب - بالذال - وهو جمع زريبة أو زريب، لأنّه قد تقدم أنّ دي خويه محقق مختصر البلدان لابن الفقيه قد أشار في الهامش عند ذكر هذا الاسم إلى أنّه قد ورد في نسخة أخرى باسم (الزَّرائب) وهو عين ما ذكره ياقوت في رسم (البديّ).

ولا زال يوجد في منطقة العُمران من الأحساء موضع يقع بين قريتي الحوطة والرميلة من قراها، ويُعرف باسم (الزُّرَيْب)، وسنعرف بعد قليل أنّ الحوطة هي نفسها الحوضى التي ذكر ياقوت أنّ البديّ تقع بينها وبين الزرائب هذه فهي في ذلك الموضع من قرى العُمران.

٨. البَديّ

جاء في معجم البلدان في رسمها: والبَدِيُّ أيضاً: قرية من قُرى هَجَر بين الزرائب والحوضى. انتهى

وقد تقدم تحديد موقع الزرائب، وهو يقع جنوب الحوطة بينها وبين الرميلة إلى الشرق من هذه الأخيرة، وسيأتي أنّ الحوضى التي يقع البدي بينها وبين الزرائب هي تحريف الحوطة.

وعليه فإنّ البديّ هذه كانت تقع جنوب شرق قرية الحوطة من قرى العُمران.

٩. الخِرصَان

جاء في معجم البلدان للحموي في المادة نفسها: الخِرصان: جمع خِرص، وهو الرمح اللطيف؛ قرية بالبحرين سُمِّيت لبيع الرِّماح كما سُمّيت الخطيّة بالخطّ، وهو موضع بالبحرين أيضاً.

ولم أجد في مَن سألتهم من أهالي الأحساء من يعرف موضعاً اسمه الخِرصان.

١٠. السّهْلَة

ولا زال موضعها معروف حتّى الآن، وتقع شمال غرب قرية الطرف من قرى الأحساء، وقد ذكرها شارح ديوان ابن المقرَّب في شرح أحد أبيات ميميته الشهيرة التي قالها في تعديد مآثر أهله ومفاخرهم حيث جاء فيها قوله[٢٩٨]:

مِنَّاْ الأَمِيْرُ أَبُوْ فَضْل مَتَىْ اخْتَصَمَتْ بَنُوْ الوَغَىْ كَاْنَ فِيْ أَرْوَاْحِهَاْ الحَكَمَاْ

مَاْ قَاْبَلَ الأَلْفَ إِلاّ وَانْثَنَتْ هَرَبَاً كَأَنَّهَاْ الوَحْشُ لاْقَتْ ضَيْغَمَاً ضَغِمَاْ

وعلق الشارح على ذلك بقوله:

" أبو فضل: محمد بن حواري بن الفضل[٢٩٩]، وكان فارساً جواداً يعد بألف فارس.

إلى أن قال:

.. ومن حديث محمد بن حواري أنه لما طعن الأمير عبد الله بن علي في السنّ، وضعف ضعفاً ما بقي يقدر معه على سلّ السيف من غمده من الكبر والضعف طمعت عامر في خفارة على

---

[٢٩٨] راجع شرح ديوان ابن المقرَّب بتحقيق الكاتب وزميليه.

[٢٩٩] ابن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد العُيوني.

البحرين، فأغاروا عليها، وصاروا ينتهبون أطرافها، وذلك بعد موت أولاد عبد الله بن علي الكبار وموت أخيه لأمه أبي مفرج مالك بن بطال وأبي يوسف علي بن يوسف وأبي مقرب الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبد الله وكبار بني إبراهيم، وأهل الأحساء يدفعونهم عنها مدة ستّ سنين ، وكانوا يأتونها في القيظ وقت الثمرة لا غير، والتقوا هم وإياهم لقيةً بعقور السهلة – قرية في جنوب سواد الأحساء مما يلي البَرِّيّة – ، واشتد بينهم القتال، فقتلوا محمدَ بنَ حواري قتله رجل من قِبَاْث ، فهزمت أهل الأحساء حين قتل، واصبح القتال يوم ثانٍ بالسّليت[300] قريباً من البلد." انتهى

فهذه السهلة التي كانت من قرى بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

١١. الحوجر (الحوطة)

كذا ذُكرت هذه القرية في هذا المختصر الذي تحرفت الكثير من الأسماء فيه، وقد أشار محققه إلى أنّ الاسم ورد في نسخة (الحوضى) وفي أخرى (الحرصلة)، وكلٌ ذلك تحريف لكلمة (الحوطة)، ولا سيما الكلمة الثانية، وأعني بها (الحرصلة) فرسمها قريبٌ جداً من رسم الحوطة .

وتعد الحوطة من قرى العمران من الأحساء، وتقع جنوب شرق قرية العلية وشمال غرب الرُّميلة، وقد اتصلت بيوت هذه الأخيرة بها تقريباً حتى صارا بلداً واحداً.

---

[300] لا زال السَّلِيْت معروفاً حتى اليوم، وهو يقع شمال شرق عين باهلة.

١٢. الوُجَيْر

وموضع الوُجير معروفٌ حتى اليوم، ولكنه اندثر كقرية، وأصبح بستان نخل يملكه آل الشايب من سكان الجبيل.

ويقع الوُجَيْر شمال قرية الجبيل أو هو أقرب إلى الشمال الشرقي منها.

١٣. الطِّرْبَال:

جاء في معجم البلدان: والطربال: قرية بالبحرين.

وفي كتاب نصر الإسكندري: الطربال: قرية بهجر، والطريبيل أخرى.[٣٠١]

والمعنى اللغوي للطربال أنّه: عَلَمٌ يُبْنى، وقيل: هو كل بناء عال، وقيل: هي كل قطعة من جبل أو حائط مستطيلة في السماء ومائلة، أو هو: الصَّخْرَةُ العظيمةُ المُشْرِفَةُ من الجَبَل.

وفي مادة (طربل) من تهذيب اللغة للأزهري قال: ورأيتُ أهل النَّخْل في بَيْضَاءَ بَني جَذِيمة[٣٠٢] يَبْنون خِياماً من سَعَف النخل فوق نُقْيان الرِّمال فيتظلَّل بها نَوَاطِيرُهم أيام الصرام ويسمونها الطَّرابيل والعَرازيل.[٣٠٣]

---

[٣٠١] انظر رسمها في المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر.

[٣٠٢] سبق وذكرنا أنّ بيضاء بني جذيمة هي برُّ القطيف، وحدودها من جوّ سَمِيْن وخريشيف في الشمال إلى قارة الثريا جنوب العُقير، وخريشيف المذكورة هي ما كان يُعرف بخرشاف التي ذكرها الأزهري في كتابه تهذيب اللغة، وعدّها من بيضاء جذيمة.

[٣٠٣] وهذا الذي ذكره الأزهري بقي معروفاً حتى وقت قريب، حيث كنّا نشاهد أصحاب المواشي التي يرعونها في برّ القطيف (البيضاء) يقومون بغرز أربعة من جذوع

وقد تكون قرية الطربال التي بهجر قد أخذت اسمها من هذا البناء المحلّي الذي ذكره الأزهري إلا أننا يجب أن لا نغفل أبداً - بالنسبة لهَجَر - المعنى اللغوي الذي ذكره اللغويون لكلمة الطربال، ولا سيّما قولهم أنّه كل قطعة من جبل أو حائط مستطيلة في السماء ومائلة، أو هو: الصَّخْرَةُ العظيمةُ المُشْرِفَةُ من الجَبَلِ لأنّ قرية الطربال هذه تقع بالقرب من هضبة جبل الشبعان، ويتميّز هذا الجبل وبعض الكُتل الصخرية القريبة منه بهذه الصفات التي ذكرها اللغويون لكلمة الطربال.

وقد شاهدت بعيني في قرية الدالوة الواقعة عند الركن الجنوبي الغربي من جبل الشبعان، وفي آخر هذه القرية من الغرب قطعة من الصَّخر هائلة منفصلة عن الجبل قليلاً بحيث يمر بينها وبينه الطريق المعهَّد الرابط بين قرية الدالوة وقرية القارة، وهذه القطعة الصخرية تنطبق عليها الصفات التي

النخل أو الأشجار البرية العريضة، ويكون كل جذعين متساويين في الطول بحيث يكون الجذعان الأماميّان أطول من الخلفيين، فيغرزونهما في الرّمل على شكل رباعي، ثم يسقفونها بسعف النخل، ويكون السقف مائلاً ثم يُغطّى السعف بجلود مطاطية أو ما تيسَّر لهم من أغطية مانعة لتسرُّب مياه الأمطار وقت سقوطها، وقد كانوا لا يغطون ما بين هذه الجذوع من الجهات الأربع عادة بل يتركونها مكشوفة كلها، أو انهم كانوا يغطون جهةً واحدة فقط وعندها تكون الجهة التي تقع بين الجذعين القصيرين، ولا يقوم السقف إلا على هذه الجذوع الأربعة فقط لكي يتمكنوا من مراقبة مواشيهم من جميع الجهات، وهم في الوقت نفسه يستظلون بها عن حرارة الشمس أو انهمار المطر كما قال الأزهري تماماً.

ذكرها اللغويون لمعنى كلمة الطربال من حيث أنها قطعة من جبل مستطيلة في السماء ومائلة، وهي صَخْرَةٌ عظيمةٌ أعلاها يشبه السَّقف الناتئ، فلعلها هي موقع قرية الطربال المذكورة خصوصاً إذا عرفنا أنّها تقع قريباً من قرية الطُريبيل التاريخية التي قرنها نصر مع الطربال وعدّهما من قرى هجر كما رأينا في أول الترجمة، والطريبيل هذه لا زالت معروفة حتى اليوم، وتقع بالقرب من هذا الموضع جنوب غرب قرية الدالوة، والطريبيل تقع بين الدالوة هذه وبين القرية القديمة عَسَلَّج الآتية بعد هذا، وفي القطيف موضع نخل يُدعى الطرابيل يقع جنوب غرب قرية القديح من قراها قريباً من العين التي كانت تُعرف بـ (الرَّوَاْسيّة).

١٤. المنسلَخ (عَسَلَّج)

هكذا ورد اسم هذه القرية (المنسَلخ) – بالخاء المعجمة في آخرها – في أصل كتاب مختصر البلدان المطبوع، وقد أشار المحقق إلى ورودها في نسخة أخرى باسم (المنسَلح) – بالحاء غير المعجمة – وأرى أنّ كلا الاسمين محرَّفٌ عن (عَسَلَّج)، ولا سيما وأنّها قد جاءت في وسط الكلام معطوفةً على ما قبلها وهي الطربال، فكأنما أراد كاتبها أنْ يقول: "والطّربال وعسلج" فتحرَّفت إلى جملة: "والطربال والمنسلخ"، ولعلّ ناسخ المخطوطة الأم قد اشتبه عليه حرف العين في شبه جملة (وعسلج) فقرأه (ولمسلج)، ثم جاء من أضاف الألف والنون.

وقد ذكرها ياقوت في رسمها من معجم البلدان، فقال:

عَسَلَّجُ؛ بفتح أوله وثانيه واللام مشددة وتفتح وتكسر[٣٠٤]، وآخره جيم، كذا ضبطه الأزهري، وهو من العُسْلوج واحد العساليج، وهو الغصن ابن سنة: وهي قرية ذات نخل وزرع تسقيها شعبة من عين مُحَلّم؛ قال:

راحت ثقَال المشي من عَسَلَّج   تمير ميراً ليس بالمزلَّج

و(عَسَلَّج) قرية قديمة ذكرها الأزهري في موسوعته اللغوية تهذيب اللغة كما قال ياقوت، وكما مرَّ بنا في النصّ رقم (٤٥)، وقد قلنا هناك أنَّها تقع إلى الجنوب الغربي من القرية القديمة المعروفة باسم الطُّرَيْبيل، وإلى الجنوب الشرقي من قرية الجبيل التي من المعتقد أنها هي التي كانت تُعرف قديماً باسم جَبَلة أو جبيلة قصبة قُرى بني عامر بن الحارث بن أنمار العبقسيين، والتي ذكر صاحب كتاب المناسك أنها تقع أسفل هجر، ولم يوفَّق الشيخ حمد الجاسر – رحمه الله – عندما قال أنّها قد تكون بالقرب من جواثى، وأنّ الرمال قد طمرتها الآن، فهذه القرية اندثرت نعم، ولكنّ اندثارها بمزارع النخيل حيث أصبحت بساتين تابعة لأهالي قريتي الجبيل والطريبيل، وهي بعيدة نسبيّاً عن جواثى.

١٥. المَرْزَى(المَرْدَى)

جاء في معجم البلدان في رسمها: المَرْزَى؛ بالفتح، والزاي بعد الراء: قرية بالبحرين يُصلّى فيها يوم العيد وهي رملة لبني

---

[٣٠٤] الذي سمعته أنا من أهالي القرى المحيطة بها أنهم ينطقونها بفتح اللام فقط، ولم يبقَ من عسَلَّج اليوم سوى مقبرتها وبعض البساتين التي تحيط بها.

محـارب.[٣٠٥]

وهـذا الاسـم ممـا غلـط فيـه القدمـاء والتحريـف قديـمٌ فيـه، وصحّـة الاسـم هـو (المَـرْدَى) – بـالدال الغـير معجمـة – وليـس بـالزاي كمـا وردت في كتـاب البلـدان لابـن الفقيـه، وأقـول أنّـها وردت محرَّفـة في أصـل الكتـاب رغـم أنّـه لم يصلنـا كـاملاً لأنّ يـاقوت قـد ذكرهـا كمـا في مختصـر هـذا الكتـاب أيضـاً، وبالتـالي فـهي قـد وردت في كتـاب البلـدان كذلـك لانّ يـاقوت كـانت لديـه نسـخة كاملـة منـه نقـل عنـها الكثـير الكثـير في معجمـه، وإذاً فـهذا خطأ في الأصـل.

و(المَـرْدَى) هـذه قـد ذكرهـا شـارح ديـوان ابـن المقـرَّب الأحسـائي عنـد تعرُّضـه لذكـر الحـرب الـتي وقعـت بـالقرب مـن البطاليـة عنـد البسـتان المعـروف حتـى الآن باسـم الخـائس، وذلـك عندمـا هـاجم البـدوُ مدينـة الأحسـاء، فجمـع لهـم أمـير الأحسـاء أبـو مقـدم شـكر بـن علـي بـن عبـد الله بـن علـي العُيونـي، وذكـر الشـارح أمـر هـذه الحرب بإطنـاب، ثـم قـال في آخرهـا:[٣٠٦]

" .. فخـرج إليـهم الأمـير أبـو مـقدم بمـن مـعه مـن بـني عـمومته ومـن حـاشيته وخدمـه، فلمـا اشـتعلت العـرب حـمل عليـهم بنفسـه وبمـن معـه حملـةً صـادقة، فيضـرب بالسـيف أوّل مـن لـقيه منـهم، وكـانت إيّـاهـا، فـولّوا الأدبـار، وقُتـلَ فيـها خلـقٌ كثـير، فـهربوا مـن بـين يديـه، فتبعـهم يطردهـم حتى أخرجـهم عـن جرعـاء (المَـرْدَى)."

---

[٣٠٥] اي محارب بن عمرو بن وديعة أصحاب هذه القرى التي نعرّف بها.

[٣٠٦] انظر شرح ديوان ابن المقرَّب بتحقيق الكاتب وزميليه البيك والعرفات.

إلى أنْ قـال:

.. وإنمـا سُـمّي بالخـائس[٣٠٧] للقتلـى الـذي وقعـت فيـه مـن العـرب ذلـك اليـوم، وذلـك أنـها جـافت ونتنـت رائحتـها، فصـار لا يجـوز بذلـك المكـان إلا مـن يـشدّ عـلى أنفـه مـن نـتن الرائحـة، فـلذلك سـمي الخـائس، ويسمى أيضـاً يـوم الكـوارج لأن البدو بلغوا عنـد دخولهـم البلـد كـوارج أهـل الخـزف. انتـهى

ولا زال هـذا الاسـم (الكَـوَارج) يُطلـق علـى أحـد أحيـاء قريـة القـارة بالأحسـاء، وهـو بـالفعل موضـع صنـع الخـزف والفخـار في هذه القريـة حتـى وقـت قريـب، ويقـع جنـوب شـرق القريـة ملاصقاً لجبـل الشـبعان المعـروف حاليـاً باسـم جبـل القـارة، ولا زالـت صناعـة الخـزف والفخـار قائمـة في هـذا الموضـع حتـى اليـوم، وكـذا التَّسْمية، والـذي أودّ توضيحـه هـو أنّ الشـارح ذكـر أنّ الأمـير أبـا مـاجد قـد طـرد المنـهزمين مـن البـدو حتـى أخرجـهم مـن جرعـاء

---

[٣٠٧] جاء في النسخة البرلينية المخطوطة لشرح ديوان ابن المقرَّب ما نصُّه: وسُمِّي ذلك اليوم يوم الخائس لأنه حمل عليهم فيه، والخائس ضيعة من بساتين الأحساء. انتهى، ولا زالت الضيعة تعرف بنفس الاسم حتى هذا اليوم، وهي من بساتين قرية البطالية تقع إلى الجنوب الشرقي من الرَّحْل المذكور أكثر من مرّة في الديوان وشرحه والذي يقع هو الآخر جنوب شرق قصر القرمطي (قريمط) بمسافة تقل عن ٥٠٠ مترٍ تقريباً، ومن الطريف في الأمر أن أصحاب هذا البستان القائمون عليه هم عائلة من البطالية تُعرف بآل مقرب، وهم يقولون أنهم من نسل الشاعر، وإن كان بعض أهالي البطالية ينكر ذلك، وقد أخبرنا القائم على هذا البستان، وهو الحاج حسين آل مقرب في مجلس عمدة البطالية أنهم قد حفروا في البستان لحرثه وتقليب تربته فوجدوا جماجم وعظام بشرية كثيرة أينما حفروا فيه، فلعلها من بقايا أولئك القتلى المذكورين هنا.

المـردى، ثـم هـو هنـا يقـول أنّ هـذا اليـوم يُسـمّى أيضـاً يـوم (الكَـوَاْرِج) لأنّ البـدو بلغـوا عنـد دخولهـم البلـد كـوَارج أهـل الخَـزَف، وقلنـا نحـن أنّ الكـوارج هـذه ملاصقـة لجبـل الشـبعان مما يعـني أنّ البـدو الذيـن هـاجموا الأحسـاء وطردهـم الأمـير أبـو مـاجد حتّـى أخرجـهم مـن جرعـاء المـردى، كـان دخولهـم لمدينـة الأحسـاء الـتي تقـع خرائبـها عنـد قريـة البطاليـة كـان مـن شـرقها لأنّ الكـوارج تقـع جنـوب شـرق البطاليـة بخمسـة كيلومـترات فقـط، وعليه فإنّ جرعـاء المَـرْدى تقـع إلى الشَّـرق مـن قريـة البطاليـة خـارج حـزام النخيـل بحيـث أنّ الأرض هنـاك تنطبـق عليـها وصـف الجرعـاء مـن كونـها رملـة لا تنبـت، وهـذا مـا جعلـها تصلـح لأنْ تكـون مصلـى للعيـد لبـني محـارب العبقسـيين كمـا نـصَّ علـى ذلـك ياقوت الحمـوي في معجمـه ونقلنـاه قبـل قليـل.

ويمكنـني الآن أنْ أقـول بكـلِّ ثقـة أنَّ جرعـاء المَـرْدَىْ هـذه هـي بذاتـها (المـرْداء) أو (مَـرْدَاْءُ هَجَـر)، فقـد جـاء في ديـوان العَجَّـاج عند قولـه:

وَغَاْئِلاْتٌ بِالمَرَاْدِيْ غُوَّلُ

قـول الشـارح: المَـراديْ مواضـع قريبـة مـن هَجَـر؛ قِبَـلَ البحريـن؛ الواحـد: مَـرْدَى.[308]، وهـي التسـمية نفسـها الـتي قـال بها شـارح الديـوان المقرَّبـي.

وقد ذكر النويـري: أنّ أميّـة بـن عبـد الله بـن خـالد بـن أسـد قـد فَرَّ من أبي فديـك يـومَ مـرداء هجـر بـالبحرين[309]

---

[308] انظر المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية للشيخ حمد الجاسر رسم (مرداء هجر).

[309] نهاية الأرب للنويري (يستحسن مراجعة الفهارس العامّة عن مرداء هجر).

وقد سبق وقلنا فيما مضى من هذا الكتاب أنَّ أبا فديك نزل في بادئ الأمر جواثى، ثم بعد ذلك نزل بالمشقَّر الذي أوضحنا مكانه في قرية القارة الآن، وكون أميّة بن عبد الله قد أتى لمحاربته من العراق، فلا شك أنّه قد دخل الأحساء عن طريق واحة العُيون، وهذا يعني أنّ الوقعة قد حدثت شمال قرية القارة مما يلي جواثى، وما بين المثلث المكوَّن من جواثى والقارة والبطالية ينبغي أن يكون موقع المَرْدَى وجرعاء المَرْدَىْ التي كانت قرية اتخذها بنو محارب مصلًّى لهم للعيد كما قال ياقوت، ونحن نعرف أنَّ مصلّى العيد يُتَّخذ في موضع نَفِه نَزِه، وهذا المثلث المذكور يتَّصِفُ بكلٍّ ما قلنا، فهاهنا جرعاء المَرْدَى إذاً وليس المرزى.

١٦. المطلع (المُصَلَّى)

كذا ورد الاسم في المختصر، وأخذه منه ياقوت في معجم البلدان، فلم يزد على قوله أنّ المطلع أرض بالبحرين لبني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس.

وأخشى أنّ كلمة (المطلَع) قد تحرَّفت في أصل كتاب ابن الفقيه عن (المُصَلَّى)، خصوصاً وأنَّ الألف المقصورة إذا كُتُبت بالخط الفارسي فإنها تشبه عرف العين في كلمة المطلع، فإذا صحَّ استنتاجنا هذا، فإنّه يوجد في هجر، بل وفي إقليم البحرين القديم أكثر من قرية وموضع يدعى المُصلَّى، ففي جزيرة أوال توجد قرية المُصَلّى وهي التي دُفن فيها والد الشيخ البهائي - رحمهما الله - وذكرها ابنه عندما رثاه قائلاً:

يَا جِيْرَةً هَجَرُوْا وَاسْتَوْطَنُوْا هَجَراً وَأهَاً لِقَلْبِيْ الْمُعَنَّىْ بَعْدَكُمْ وَأهَاً

يَـاْ ثاْوِيَـاً بـالُمصَلَّىْ مِـنْ قُـرَىْ هَجَـرٍ سُـقِيْتَ مِـنْ حُلَـل الرِّضْـوَاْن أصْفَاْهَـاْ
أقَمْتَ يَـاْ بَحْـرُ بـالبَحْرَيْن فَـاْجْتَمَعَتْ ثلاْثَــةٌ كُــنَّ امْثَــاْلاً وَاشْــبَاْهَاْ
ثلاْثَــةٌ أنْــتَ أنْدَاْهَــاْ وَأغْزَرُهَــاْ جُـوْداً وَأعْذَبُــهَاْ طَعْمَــاً وَاصْفَاْهَــاْ
حَوَيْـتَ مِـنْ دُرَر العَلْيَـاْءِ مَـاْ حَوِيَـاْ لَكِــنَّ دُرَّكَ أعْلاْهَــاْ وَاغْلاْهَــاْ

وقولـه: يـا ثاويـاً بـالمصلّى مـن قـرى هجـرٍ فإنــه لم يـرد بــهجر المدينة، وإنمـا أراد الإقليـم لأنّـه كـان يُطلـق الاسـم علـى كـامل إقليـم البحريـن تغليبـاً في أقـوال بعـض المتقدمـين، وإلا فـإن المُصلّــى الــتي ذكرهــا الشــيخ البــهائي هــي في جزيــرة أوال المعروفــة الآن باســم البحريـن، وهـي لا زالـت قائمـة، وقـبر والـد الشـيخ البــهائي فيــها حتـى الآن معـروف ويُـزار.

وأمّـا المصَلّـى الــتي في هجــر المدينــة أو الأحســاء، فــلا تُعــرف الآن، ولكــن ذكــر ابـــن المقـــرَّب العُيونـــي (المصلّـــى) و(جَرعـــاء المُصَلّـى)، وهمـا واحـد، وذلـك في شـعره عندمـا قـال ذاكـراً بعـض المواضـع في مدينـة الأحسـاء أو بـالقرب منـها:[٣١٠]

وَجَـاْدَ مِـنَ (الحَدِيْـدِ) إلىْ (الُمصَلَّـى) إلىْ (الحِصْنَيْـــن) وَكَّـــاْفٌ كَـــهَاْمُ

وقال في موضـع آخـر:

وَيَــوْمَ عَــلا بجَرْعَــاْءِ الُمصَلَّـــىْ غُبَـــاْرٌ غَـــاْبَ فِيْـــهِ المَسْـــجِدَاْن

وعلَّـق الشـارح بقولـه: جرعـاء المصلـى مكـان في ظـاهر البلـد قريبـاً منـه يخـرج إليـه السـلطان ومواكبـه بجميـع زينتــه وجنــده وخيلــه ورجلـه يـوم العيديـن وجميــع أهــل البلــد، وينحــدرُ إليــه جميــع ســواد أهــل الأحســاء، فَيُصَلّــون صــلاة العيــد، ويخطـــب فيـــه الخطيـب، ويُظْـهِرُ فيـه زينــةً جميــعُ أهــل البلــد، وتسـمى تلـك

---

[٣١٠] انظر شرح ديوانه بتحقيق الكاتب وزميله، ويستحسن مراجعة الفهارس العامة.

الجرعــاء أيضــاً المنظــرة،[٣١١] والمســجدان يعــني مســجد المصلــى والمسـجد المعـروف بمسـجد الجمـل نسـب إلى قيّمـه ومؤذنـه، وقيّمـه كان يسمى الجمـل. انتـهى

وهـذه المُصَلّـى الـتي ذكرهـا ابـن المقرَّب لا زال موضعـها معـروف حتـى اليـوم، وتقـع إلى الشـمال الغربـي مـن قريـة البطاليـة غـير بعيـد عنـها، وأستبعد أنْ تكـون هـي المُصَلّـى الـتي ذُكِـرت علـى أنها من قُـرى بـني محـارب بـن عمـرو العبقسـيين، ونـودّ لفـت نظـر القـارئ إلى أنّ التسـمية إسـلامية، ويُقصـد بـها عـادة المكـان الـذي يتخذ مُصلّـى تقـام فيـه صـلاة العيديـن، وكـانوا عـادةً يختـارون مثـل هـذه المصلبـات بعيـداً عـن العمـران في مكـان متسـع نَـزِه، وقـد مـرَّ بنـا في رسـم (المـرْدى) قبـل قليـل أنّ المـردى كـانت قريـة لبـني محـارب يُصلّـون فيـها يـوم العيـد، فيبـدو أنّ المُصلّـى هـذه قريبـة منها، فإذا صحّ ذلـك، فـهي تقـع حـوالي جواثـى.

١٧. الشـطّ (واسـط)

علـى الرغـم مـن أنّ كلمـةِ (الشـطّ) هـي كلمـة متداولـة في الأمـاكن الـتي يكـون فيـها أنـهار وبحـار لأنـه يُطلـق علـى ضفـاف الأنـهار وسـواحل البحـر اسـم الشـطّ أيضـاً إلا أنـني أرجّـحُ أنْ تكـون كلمـة (الشـطّ) محرَّفـة عـن كلمـة (واسـط) خصوصـاً وأنّ الاسـم قـد ورد معطوفـاً علـى اسـم قريـة أخـرى بحيـث يُقـرأ النـصُّ هكـذا: "المطلـع

[٣١١] جرعاء المنظرة هذه هي نفسها الجرعاء التي ذكرها ابـن حوقـل في كتابـه صورة الأرض، وذكر خروج زعماء القرامطة إليها للترفيه عن أنفسهم والتشاور في سياسة دولتهم، وقد فصَّلتُ الكلام حول ذلك في شرح ديوان ابن المقرَّب فلـيراجع مـن أراد ذلـك الفـهارس الفنية فيه حول الجرعاء.

والشط والقرحاء"، وبالتالي فإن تحرّف لفظة (واسط) إلى (والشط) واردٌ جداً، وهو ما أراه.

و(واسط) هذه هي اليوم من قرى العمران العامرة في واحة الأحساء، ويبدو أنها كانت كذلك في منتصف القرن الألف الهجري، فقد ذُكرت في (مهمة دفتري الدولة العثمانية)[٣١٢] حيث وردَ عن سعدون بن حميد الخالدي أنه ثار على الأتراك العثمانيين عام ٩٦٧ للهجرة، وأخذ يوزع على أتباعه مزارع ونخيل الأحساء، وأنه وزع عليهم دخل قرية واسط التابعة للأراضي السلطانية، وجمع مبلغاً كبيراً من قرية المبرّز، ولم يعلم الكندري ناقل هذا الخبر أن واسط هذه من قرى العمران فراح يشرح القول عن واسط العراق وواسط اليمامة، وإنما هي واسط هجَر ثم واسط بني محارب هذه.

وتقع واسط شمال غرب مدينة العُمران الشمالية، وشرق قرية أبا العنوز.

١٨. القَرْحَاء

وقد أشار المحقق إلى ورودها في نسخة أخرى باسم (النبطاء)، وفي معجم البلدان في رسمها قال: القَرْحَاءُ: بالفتح، والمد، والحاء مهملة: من قرى بني محارب بالبحرين.

قُلتُ: ولا زال اسم القرحاء يُطلَق على موضع في الأحساء ثم في قرية التويثير الملاصقة للركن الشمالي الشرقي من جبل الشبعان (القارة)، وتقع هذه القرحاء فيما بين الجبل وبين

---

[٣١٢] الجزء الثالث الصفحة ٣٨٦ رقم ٢ نَقلَ ذلك فيصل الكندري في بحثه عن حملة مصطفى باشا على البحرين، والذي نشره في مجلة العرب.

بيوت القرية القديمة، وهي معروفة لدى أهاليها.

ولا شكّ عندي أنّها هي القرحاء الواردة في نصّ ابن الفقيه هذه.

وهناك قرحاء أخرى ذكرها ابن المقرَّب العُيوني في قوله مادحاً:[٣١٣]

سل عَنهُ يوم أغارت في كتائبها خيل القطيف من القرحا إلى الجبل

وقد علّق الشارح بقوله: القطيف: مدينة الخط من البحرين، والقرحاء: مكان بالأحساء من البحرين شرقي الجبل المعروف بجبل النعايم[٣١٤] مما يلي جواثى.

---

[٣١٣] انظر الفهارس الفنية من شرح ديوانه بتحقيق الكاتب وزميله البيك والعرفات.

[٣١٤] كذا ورد اسم هذا الجبل في نسخة المكتبة الرضوية التي اتخذناها أصلاً لتحقيقنا، وفي نسخة المكتبة البريطانية كذلك، أما في نسخة برلين، فقد ورد اسمه: جبل النعماء، وقد عَلَّقنا نحن في الهامش هناك بقولنا:

ولا يُعرف اليوم في واحة الأحساء ثم فيما يلي جواثى المعروفة جبلٌ يُسَمَّى بجبل النعايم أو النعماء، نعم يوجد في تلك الجهة جبلان اثنان أحدهما هو جبل البرقاء أو برقاء الرُّكبان الواقع بين جواثى وقرية الشِّعبة، وهو الذي قُلنا أنّه هو الجبل الذي أسماه الشاعر في موضع آخر باسم الجبل على الإطلاق وقرنه بالجشّ، وقد ذكره الشارح أيضاً في أخبار الأمير محمد بن حواري في شرح الميمية الشهيرة كما أسلفنا، وعليه فليس هو بجبل النعايم أو النّعماء، وأمّا الجبل الآخر، فهو الجبل المعروف اليوم بجبل كَنْزان، ونرجّح بقوّة كونه هو جبل النعايم المذكور هنا، ويقع هذا الجبل شمال قرية جواثى الأثرية، فإذا صحّ لنا هذا الترجيح، فإنّ القرحاء المذكورة في البيت والشرح هنا تقع بالقرب من هذا الجبل أي جبل كنزان، كما نودّ أن نلفت نظر القارىء إلى أنّ القرحاء هذه هي غير قرية القرحاء التي ذكر ابن الفقيه الهمذاني في كتابه البلدان أنها من قُرى بني محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس، فتلك القرية المعروفة قديماً باسم القرحاء تقع

١٩. الرُّمَيْلَـة

وجـاء في معجـم البلـدان للحمـوي في رسمــها: و الرُّمَيْلَـة أيضــاً: قرية بالبحرين لبـني مُحـارب بـن عمـرو بـن وديعـة العَبْقَسـيين.

ولا زالـت الرُّمَيْلَـة هـذه عـامرةٌ معروفـة في قُـرى العُمـران مـن الأحسـاء، وتقـع إلى الجنـوب الشـرقي مــن الحوطـة المتقدمـة غـير بعيـد عنـها بحيـث أنّ العمـران بـين هـاتين القريتـين قـد امتـد الآن حتى اتَّصلتـا.

٢٠. البَحْـرَة

جــاء في معجــم البلــدان للحمـــوي في رسمـــها بــدون (أل) التعريف: و البحرة أيضـاً: مـن قـرى البحريـن لعبـد القَيـس.

وقـد مــرَّ بنـا في النــصّ رقـم (٤٤) أنّـه ورد في معجـم البلــدان ليـاقوت الحمـوي في رسـم (المشـقر) قولـه: قـال ابـن الفقيـه: المُشَــقَّر هـو حصـنٌ بـين نجـران والبحريـن، يقـال إنـه مـن بنـاء طسـم، وهـو على تلٍّ عال، ويقابلـه حصـن بـني سـدوس. انتـهى

وقد علَّقنا على هـذا الكـلام في موضـع آخـر بقولنـا:

"..لعـلّ تحريفـاً وقـع لكلامـه الـذي ربمـا يكـون صحتـه أنّ المشـقَّر بـين نجـران والبَحْـرَة وليـس البحريـن لأنَّ البَحْـرة عدهـا ابـن الفقيـه نفسـه في كتابـه البلـدان علـى أنـها مـن قـرى بـني محـارب من عبد القيـس في هجـر، وقـرى هـؤلاء هـي القـرى المحيطـة بجبـل الشـبعان (القـارة اليـوم) وتـل المشـقر قريـبٌ منـه، وأمـا نجـران

بالقرب من جبل الشَّبعان المعروف اليوم باسم جبل القارة المشهور، وهي اليـوم تقع وسط القرية المعروفة باسم التّويثير بينها وبين الجبل تماماً، ولا زالت معروفـة بنفس الاسـم أي القرحاء. انتهى نصّاً.

المذكورة هنا فهي ليست نجران الجنوب كما قد يتبادر إلى الذهن، بل هي نجران أخرى توجد في إقليم البحرين وقرب هجر بالذات، وهي التي ذكرها ياقوت في رسمها من معجمه، وذكرها كذلك ابن القيسراني (توفي ٥٠٧هـ) في كتابه الأنساب المتّفقة حيث قال عن لفظة نجراني: والنجراني الأول منسوب إلى نجران هجر، وفيهم كثرة. انتهى

وإذاً فأنا أكاد أجزم أنّ صحة لفظ ابن الفقيه عن المشقر أنه بين نَجْرَان والبَحْرَة القريتين الهجريتين لأنّه من المستسمج أنْ يُقال في تحديد حصنٍ ما بالقول أنّه بين نجران والبحرين وبينهما أكثر من ألف ميل من المسافات.

وإذا صحَّ لنا استنتاجنا هذا، فإننا قد بيّنا أنَّ موقع المشقر في قرية القارة الآن، وبالتالي فإنّ البحرة ونجران تقعان على طرفي نقيض منه، ولكننا للأسف لا نعرف أيّ جهاته هي التي يقع فيها هذان الموضعان.

٢١. الرَّجْرَاجَة

جاء في معجم البلدان في رسمها؛ الرَّجْرَاجَةُ: بفتح أوّله، وتكرير الجيم: قرية لعبد القيس بالبحرين، وأصله من الرّجْرَجة وهو الاضطراب. ولم يزد على ذلك.

وقال الشيخ محمد بن عبد القادر في كتابه تحفة المستفيد: " ذكر بعض الناس أنها قريبة من مدينة الهُفوف، وكانت عامرة إلى القرن العاشر من الهجرة، ولما جاءت عساكر الدولة العثمانية كان من جملتهم جماعة من بني خالد جاءوا بهم من بادية الشام فأنزلوهم الرجراجة تعزيزا لعسكر الدولة، وهذا أول

قدوم بني خالد إلى الأحساء وذلك في منتصف القرن العاشر من الهجرة ".[315]

ولا أعرف مدى صحة ما نقله الشيخ ابن عبد القادر، ثم إنّه لم يذكر في أيّ جهات الهُفوف هذه الرجراجة التي ذكرها.

٢٢. العرجة

جاء في معجم البلدان في رسمها: العَرْجَةُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم جيم: قرية بالبحرين لبني محارب من بني عبد القيس. ولم يزد على ذلك.

وهذه القرية لم أجد من يعرفها ممن سألتهم أو التقيت بهم من أهالي الأحساء.

والآن وبعد أنْ انتهينا من ترجمة هذه القرى، وصححنا ما وقع فيها من تحريفات، وبيّنا مواضع ما عرفناه منها في واحة الأحساء، فإنه يُستحسن الرّجوع إلى الصورة رقم (٢٧)، وهي خريطة تقريبية للقرى المعروفة ليتبين لنا صدق وصف أبي مالك اليشكري الذي ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب من قوله أنّ مدينة هجر سوق بني محارب، ومنازلهم ما دار بهذه المدينة من قرى، وهو مفيد جداً في التحديد الدقيق لمدينة هجر العظمى التي قلنا أنّنا بتنا على يقين تامٍ بأنّ ظهرها يلاصق جبل الشبعان، ولكننا لم نصل بعد إلى معرفة أي جهة من هذا الجبل كانت تقوم فيها هذه المدينة العريقة.

ومن الملاحظ من الخريطة التي وضعتها لهذه القُرى المذكورة

---

[315] انظر الطبعة الثانية من كتابه تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد ص١٤.

أنّ هذه القرى تتركز بالفعل حول هذا الجبل الرائع بحيث يبدو في وسطها إلا أنّ ذلك لم يحدد موقع مدينة هجر على وجه الدقّة، وبالتالي فإنّه لا بد لنا من قراءة نصٍّ خطير ونادر احتفظ به لنا اثنان من المؤرخين هما النويري المتوفي سنة ٧٣٢هـ في كتابه الموسوعي (نهاية الأرب في فنون الأدب) والمقريزي المتوفي بمصر سنة ٨٤٥هـ في كتابه (اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا)، وهذا النصّ الخطير نقله النويري كما صَرّح في كتابه عن تاريخ الشريف أبي الحسين، الذي ذكر فيه الحصار الأخير على مدينة هجَر العريقة التي استعصت على كلٍّ مَن هاجمها أو حاصرها في السابق إلا أنّ لكل شيء نهايته، فقد شاءت الأقدار أنْ تُدَمَّر هذه المدينة في أواخر العقد السابع من القرن الثالث الهجري، وتدكّ حصونُها العتيدة على يد فاتحٍ عبقريّ أقام في إقليم البحرين دولةً لم يشهد لها هذا الإقليم نظيراً في التنظيم حتى هذا الوقت، وهذا الفاتح هو أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي مؤسس الدولة القرمطية في البحرين، وواضع لبناتها الأولى ولأهميّة هذا النصّ ودوره في تحديد موضع مدينة هجر فإننا سوف نقتبسه كاملاً من كتاب نهاية الأرب للنويري لأنّ المقريزي اختصر منه اختصارات قليلة ولكنها مخلّة فيما نحن بصدده من تحديد هذه المدينة.

فَاْتِحٌ عَنِيْدٌ وَمَدِيْنَةٌ شَدِيْدَةُ التَّحْصِيْنْ

جاء في هذا النصّ ما هذا نصُّه:

استيلاء أبي سعيد الجنابي على هجر، وما كان من خلال

ذلك من حروبه ووقائعه.

قال الشريف أبو الحسين: كان من الاتفاق لأبي سعيد أنّ البلد الذي قصده بلدٌ واسعٌ كثير الناس، ولهم عادة بالحروب، ورجال شداد جُهَّال غُفْلُ القلوب، بعيدون من علم شريعة الإسلام ومعرفة نبوّة أو حلال أو حرام[٣١٦]، فظفر بدعوته في تلك الناحية، ولم يناوئه مناوىء، فقاتل بمن أطاعه مَن عصاه حتّى اشتدت شوكته جداً، وكان لا يظفر بقرية إلا قتل أهلها ونهبها، فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلباً للسلم، ورحل من البلد خلقٌ كثير إلى نواحي مختلفة وبلدان شتّى، خوفاً من شرِّه.

ولم يمتنع عليه إلاّ هَجَر، وهي مدينة البحرين، ومنزل سلطانها والتجّار والوجوه، فنازلها شهوراً، يقاتل أهلها، فلمّا طال عليه أمرها وكَّل بها جُلَّ أصحابه من أهل النجدة، ثم ارتفع فنزل الأحساء، وبينها وبين هجر ميلان، فابتنى بها

---

[٣١٦] يقصد بهم أعراب البادية الذين يقطنون بادية البحرين، والذين سيذكرهم بعد قليل، وليس أهل البحرين كما قد يتبادر إلى الذهن، وإلا كيف يكون ذلك وأغلب أهل البحرين عبد القيس، وهي قبيلة شهد لها التاريخ ثباتها على الإسلام في حروب الردّة وحروب الخوارج التي حدثت على أرضهم، كما أنّ العلم والعلماء والأدباء فيهم كثير جمّ، وفيما يلي من ثبات بني محارب العبقسيين في الدفاع عن هجر أكبر دليل على أنّ عبد القيس وهم جلُّ سكان البحرين لم يقبلوا بالدخول في دعوة أبي سعيد، وكذلك ما فعله أهل القطيف بقيادة علي بن مسمار الجذمي العبدي حيث لم يرضخوا لحكم أبي سعيد إلا بعد أن قتل علياً وأحرق الزارة كما ذكر ذلك المسعودي في كتابه االتنبيه والأشراف، وشارح ديوان ابن المقرَّب، والذي مرّ بنا فيما مضى.

داراً وجعلها منزلاً، وتقدّم في زراعة الأرض وعمارتها، وكان يركب في الأيام إلى هجر هو ومن يحاصرها، ويعقب من أصحابه في كلّ أيّام قوماً، ثم دعا العرب، فأجابه أوّل الناس بنو الأضبط من كلاب لأنّ عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دماً، فساروا إليه بحرمهم وأموالهم، فنزلوا الأحساء، وأطمعوه في بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، وطلبوا منه أن يضم إليهم رجالاً، ففعل ذلك، فلقوا بهم عشيرتهم، فاقتتلوا، فهزمتهم القرامطة، فأكثروا فيهم القتل، وأقبلوا بالحريم والأموال والأمتعة نحو الأحساء، فاضطر المغلوبين إلى أن دخلوا في طاعته، وصاروا تحت أمره، ثم وجّه أبو سعيد بجيش آخر إلى بني عُقيْل، فظفر بهم، فقصدوه ودخلوا في طاعته، فملك تلك الفلاة، وتجنب قتاله كلُّ أحد إلا بني ضَبَّة، فإنها ناصبته الحرب، فلما اجتمع إليه من اجتمع من العرب وغيرهم خوّفهم ومنّاهم ملك الأرض كلّها، فاستجاب بعضهم إلى دعوته، فردّ ما أخذ منهم من أهل وولد، وأجاب آخرون رغبة في دعوته، ولم يرد على أحد إبلاً ولا عبداً ولا أمةً، وأنزل الجميع معه الأحساء، وأبى قومٌ دعوته فردَّ عليهم حرمهم ومن لم يبلغ من أولادهم أربع سنين وشيئاً من الإبل يحملون عليه، وحبس ما سوى ذلك كلّه، وجمع الصبيان في دور، وأقام عليهم قُوَّاماً، وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه، ووسم جميعهم على الخدود لئلا يختلطوا بغيرهم، وعرَّفَ عليهم عُرفاء، وعلَّم من صلح لركوب الخيل والطعان، فنشأوا لا يعرفون غيره[٣١٧]، وصارت

[٣١٧] أي غير أبي سعيد.

دعوته طبعاً لهم، وقبض كل مال من البلد والثمار والحنطة والشعير، وأنفذ الرُّعاة في الإبل والغنم، وقوماً للنزول معها لحفظها والتنقُّل معها على نوب معروفة، وأجرى على أصحابه جرايات، فلم يكن يصل أحدٌ إلى غير ما يطمعه.

وهو لا يغفل مع ذلك عن هجر، فلمّا أضجروه، وطال أمرهم، وقد كان بلغ منهم الحصار كلّ غاية، وأكلوا السَّنانير والكلاب، وكان حصارهم يزيد على عشرين شهراً،[٣١٨] ثمّ جمع

---

[٣١٨] في كتاب أخبار القرامطة لجامعه سهيل زكار الصفحة ٣٠٠ نقل عن بعض المخطوطات القديمة في أخبار القرامطة ما جاء فيها عن محاصرة أبي سعيد الجنابي لهجر قوله:

" وقد كان حاصر أهل هجر أربع سنين ومنعهم الأقوات، وحبس عنهم الماء، ثم وصل إليهم وما بهم رمق، فأتى عليهم. وقتلهم عن آخرهم، وقد كان صنع بأهل القطيف شبيهاً بذلك، وغدر بهم أقبح غدر." انتهى

فإذا صحّ هذا الكلام، وكانت محاصرة أبي سعيد لهجر أربع سنوات بالفعل، فنحن أمام مدينة ليس لها مثيل في عبقرية التحصين، وقد لا يبدو الأمر غريباً لأنّ كون المدينة ملاصقة لجبل الشبعان المشهور عند الأهالي بوجود طرق ومسارب داخل كهوفه لا يعرفها إلا أهالي القرى المحيطة به، وهي حتى الآن لا يعرفها غير القليل منهم، وعليه فإنّ الموجودين داخل مدينة هجر لم يكونو محاصرين بالمعنى المتعارف عليه لأنَّ الماء كان متوفراً قبل أن يقطعه عنهم الجنابي، وكذلك كان يوجد داخل المدينة أنهار وبساتين نخيل ومزروعات أخرى، بالإضافة إلى أنّ هذه الطرق (الكَهْفِيّة) داخل الجبل كانت تؤمن وصول المؤن الاستهلاكية إلى داخل المدينة حتى مع وجود المحاصرين خارجها والذين لم يكونوا يعلمون بوجود مثل هذه الطرق الخفية، ولو لم يهتد أبو سعيد الجنابي إلى عين هجر ودورها في سقي أهالي المدينة وبساتينها ثم قيامه بتحويل مجراها عن المدينة بهذه الحيلة التي صنعها لما استطاع فتحها.

أصحابه، وحشد لهم وعمل الدبابات، ومشى بها الرجال إلى السّور، فاقتتلوا أشدّ قتال لم يقتتلوا مثله قبل ذلك، ودام القتال عامّة النهار، وكلٌّ منتصفٌ من الآخر، وكثرت بينهم القتلى، ثم رجع إلى الأحساء، ثم باكرهم فناوشوه، فانصرف، فلمّا قَرُب من الأحساء أمر الرجّالة ومن جُرح أن ينصرف، وعاود في خيل، فدار حول هجر، وفكَّر فيما يكيدهم به، وإذا لهجر عينٌ عظيمة كثيرة الماء، يخرج[319] من نَشَزٍ من الأرض غير بعيد منها، ثم يجتمع ماؤها في نهرٍ ويستقيم حتّى يمرَّ بجانب هجر ملاصقاً[320]، ثم ينزل إلى النّخيل فيسقيها، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم، فلما تبيّن له أمر العين انصرف إلى الأحساء، ثم غدا فأوقف على باب المدينة عسكراً، ثم رجع إلى الأحساء، وجمع الناس كلّهم، وسار في آخر الليل، فورد العين بكرة بالمعاول والرّمل واوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف، وأمر قوماً بجمع الحجارة وآخرين ينفذون بها إلى العين، وأعدّ الرَّمل والحصى والتراب، فلما اجتمع أَمَرَ أن يُطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين، وأن يطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، ففعل ذلك، فقذفته العين، ولم يغن ما فعلوه شيئاً، فانصرف إلى الأحساء هو ومن معه.

وغدا في خيل، فضرب في البرّ، وسأل عن منتهى العين، فقيل له إنّها تتصل بساحل البحر، وأنها تنخفض كلّما نزلت، فردّ جميع من كان معه، وانحدر على النهر نحواً من ميلين،

---

[319] وفي اتعاظ الحنفا: "تخرج" يقصد العين.

[320] كلمة "ملاصقاً" لم ترد في اتعاظ الحنفا.

ثمّ أمر بحفر نهرٍ هناك، ثم أقبل هو وجمعه يأتون في كلّ يوم، والعمّال يعملون حتّى حفره إلى السِّباخ، ومضى الماء كلُّه عنهم، فصبّ في البحر، فلما تمّ له ذلك نزل على هجَر، وقد انقطع الماء عمّن بها، فأيقنوا بالهلاك، فهرب بعضهم نحو البحر، فركبوه إلى جزيرة أوالي وسيراف وغيرهما، ودخل قومٌ منهم في دعوته، وخرجوا إليه، فنقلهم إلى الأحساء، وبقيت طائفة لم يقدروا على الهرب، ولم يدخلوا في دعوته، فقتلهم وأخذ ما في المدينة ثم أخربها[٣٢١]، وصارت الأحساءُ مدينةَ البحرين. انتهى

عَيْن هَجَر هِيَ عَيْنُ الخَسِيْفْ

إن ما ورد في هذا النصّ النادر الدقيق عن عين هجر من أنّها كانت تخرج من نَشَز[٣٢٢] من الأرض لهو دليلٌ واضح على أنّها هي عين الخسيف التي قلنا فيما مضى أنّها كانت تخرج من تلّ (راس القارة) الذي هو تلّ المشقَّر نفسه، فلا وجود لعين في تلك البقعة تخرج من تلٍّ ناشز غيرها، وهذا يجعلني متأكداً من أنَّ عين الخسيف المعروفة حتى وقت قريب هي عين هَجَر بذاتها، وقد سبق وأشرنا فيما مضى عند ذكرنا لنصّ ابن الأعرابي[٣٢٣] وقوله عن البئر التي تثقب قارة عطالة ثم تذهب في

---

[٣٢١] في اتعاظ الحنفا زيادة: "فبقيت خراباً".

[٣٢٢] النَّشَز: هو ما ارتفع وظهر من الأرض، وفي كتاب العين: نَشَزَ الشيءُ، أي: ارتفع. وتَلٌّ ناشِزٌ، وجمعها: نَواشِز، وفي كتاب مقاييس اللغة: نشز النون والشين والزاء أصلٌ صحيح يدلُّ على ارتفاعٍ وعُلوّ. والنَّشَز: المكان العالي المرتفع، وأما في التهذيب فقد ورد فيه: النَّشْزُ والنَّشَزُ: الْغَلِيظ الشَّديد.

[٣٢٣] انظر النصّ رقم (٣٥).

الأرض، وقوله أنّ ماء هجر يتحلّب إلى تلك البئر، وتعليقنا على ذلك بافتراضنا وقوع نقص في نص كلامه، وأنه قد سقطت كلمة (عين) قبل كلمة (هجر)، فتكون صحّة الجملة هو قوله: "وماء عين هجر يتحلّب إلى تلك البئر"، وعين هجر هذه هي التي ذكرها ابن دريد في كتابه الاشتقاق في ذكر قبائل تنوخ، وقال أنهم دُعُوا بهذا الاسم لأنهم تنخوا بعين هجر.

فإذا لا تثريب في قولنا أنّ عين هجر هي ما صارت تُعرف فيما بعد بعين الخسيف، والتي بقيت معروفة حتى وقت قريب، حيث طُمرت بالرمل والحصى.

ولا ننسى جملةً خطيرة وردت في النصّ المتقدم، وهي قوله عن ماء هذه العين أنّه يستقيم في نهر حتّى يمرُّ بجانب هجر ملاصقاً، ثم ينزل إلى النخل فيسقيه، فهذا الكلام يفيد أنّ مدينة هجر التي قلنا أنّ ظهرها كان ملاصقاً لجبل الشبعان تقع غير بعيد عن تلّ المشقَّر الذي يُعرف اليوم بـ (راس القارة) داخل قرية القارة، ولأننا نعرف أنّ ماء عين الخسيف لا يمكن له أن يتوجه إلى الجنوب لارتفاع الأرض في تلك الناحية، ولتكفُّل نهر سليسل العظيم المتكون من عيني الخدود والحقل وبضعة وثلاثين عيناً بقربها بسقي النخل في تلك الجهة، ولقولنا أنّ مدينة هجر كانت ملاصقة لجبل الشبعان، فإنّ نهر هذه العين وأعني بها عين هجر كان يتّجه صوب جبل الشبعان الواقع ركنه الشمالي الغربي إلى الشّرق من تلّ المشقر الذي تنبع هذه العين منه، وبالتالي فإنّه يصُحُّ لنا القول أنَّ مدينة هجر كانت تقع في هذا الرّكن من الجبل أي الرُّكن

الشمالي الغربي من جبل الشبعان، ولنا على ذلك عدّة قرائن:

أولاً: ورد في النصّ رقم (٥٤)، وهو النص الذي أورده ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان عن شخص لم يذكر اسمه، فقال: (وقال غيره - يعني غير ابن الفقيه -: المشقر، حصن بالبحرين عظيم لعبد القيس، يلي حصناً لهم آخر يقال له الصَّفا قبل مدينة هجر، والمسجد الجامع بالمشقّر، وبين الصّفا والمشقر نهرٌ يجري يقال له العين، وهو يجري إلى جانب مدينة محمد بن الغَمْر).

فها نحن نرى أنه ورد في بعض النُّصوص أنّ المشقر والصفا يقعان قبل مدينة هجر، وفي بعضها الآخر أنّ المشقّر هو مدينة هجر،[٣٢٤] والصَّفا هو جبل أبي الحصيص الآن وما حوله، ولا يصحّ أن يقال له أنه يقع قِبَل مدينة هجر إلا إذا كانت مدينة هجر تُرى منه، ويُرى هو منها، وكل ذلك يقتضي أن تكون مدينة هجر ملاصقة للجهة الشمالية من جبل الشبعان بحيث يرى الجالس عند بابها مدينة المشقر وحصنها، ومدينة الصَّفا وحصنها بعكس لو كان جبل الشبعان يحجز بين مدينة هجر والصّفا مثلاً فإنّه لا يمكن لأي من القاطنين في المدينتين رؤية الآخرين في المدينة الأخرى فلا تتم المقابلة، وكنا قلنا قبل قليل أن جبل الشبعان يشكل الظهر الحامي لمدينة هجر، كما أننا عرفنا أنَّ هجر لا تقع بعيداً عن تل المشقّر (راس القارة) الواقع في قرية القارة، والذي كان نهر عين هجر يخرج منه متجهاً صوب حصن مدينة هجر، فهذا يعني أن مدينة هجر لا بد وأن

---

[٣٢٤] انظر النصّين: (٥١)، (٥٨).

تكون واقعة بين جبل الشبعان وجبل راس القارة وجبل أبي الحصيص ملاصقةً للجبل الأول منها وهو جبل الشبعان، ومواجهة للجبلين الآخرين.

ثانياً: ما ورد في النصّ المتقدم من أنّ عين هجر كانت تخرج من نشز من الأرض غير بعيد عن هجر، وهذا النشز هو تلّ المشقر أو ما يُعرف الآن باسم (جبل راس القارة)، وهو يقتضي وقوع مدينة هجر إلى الشرق منه عند جبل الشبعان، ولفظة "غير بعيد"، توجب أنَّ مدينة هجر تقع في الجهة الشمالية من جبل الشبعان بالذات لأنّ مياه هذه العين كانت تتدفق طبيعياً إلى تلك الجهة، وبما أنها غير بعيد عنها، ولأننا أثبتنا أنّ مدينة هجر كانت ملاصقة بظهرها لجبل الشبعان، فإنّ ذلك يوجب أن تكون مدينة هجر في ركنه الشمالي الغربي المقابل لجبل (راس القارة).

ثالثاً: من الملاحظ أنّ كلّ ركن من أركان جبل الشبعان يضمُّ قريةً قديمة باستثناء الركن الشمالي الغربي، وهو أمرٌ مستنكر خصوصاً وأنه الركن الذي يواجه المشقر وحصنها العظيم، فهل يُعقل أن لا يفطن الناس إلى أهمية هذا الركن الاستراتيجية في التحصُّن من الأعداء؟ والجواب لا بالطبع، فقد كانت تقع عند هذا الركن أعظم المدن حصانة، وهي مدينة هجر العظيمة، ثم بعد أن أحرقها أبو سعيد بقيت يباباً لم تُسْكن كما هي الآن.

رابعاً: هو ما جاء في كتاب واحة الأحساء لفريدريكو فيدال[٣٢٥] حيث أشار إلى وجود موقع أثري لقرية كبيرة مندثرة

---

[٣٢٥] انظر الصفحة ٢٤٩

تقع قُربَ الموضِع المُسَمَّى (الكوارج)،[326] وقال أنَّ هذا الموقع يقع على منصَّة صخرية عند قاعدة هضبة القارة (جبل الشبعان) بين مكان حُدِّد على الخريطة[327] بين كهف الفَخَّار[328] وقرية القارة، وقال أيضاً أنّ جدران بعض المنازل في هذا الموقع تظهر أكثر وضوحاً من أي موقع آثاري آخر،[329] كما ذكر وجود مسجدٍ وصفه بأنه كبير، ولكنه ليس بقديم، ويقع شمال هذا الموقع على الطريق المؤدي إلى قرية التويثير،[330] وأشار إلى وجود مقبرة أيضاً في الموقع نفسه، ولا ننسى أن نذكر إشارته الهامّة إلى أنّ هذا الموقع يحتوي على أنواع فخَّارية متعددة من أنماط مختلفة.

فهذه القرية الكبيرة المندثرة، والتي كانت تقوم على منصَّة صخرية ملاصقة لهضبة جبل الشبعان، وهي قريبةٌ من قرية القارة وتلّ المشقر ومواجهة للصفا هي آثار مدينة هجر نفسها،

[326] وهي تقع شماله، وفي الترجمة العربية لكتاب واحة الأحساء كتبه المترجم/ عبد الله السبيعي: "كوراج" وهو غير صحيح، والصحيح ما أثبتناه أعلاه، وهو موضع لا زال معروفاً حتى الآن، وقد سبق وذكرنا أنّ شارح ديوان ابن المقرَّب قد ذكره في الحرب التي وقعت بين البدو وأهالي الأحساء في الوقعة التي عُرفت بيوم الخائس.

[327] يقصد خريطة المستشرق ديكسون عن آثار المنطقة.

[328] لا زال هذا الكهف معروفاً، ولا زال بعض الحرفيين ممن يمتهنون صناعة الفخّار يعملون فيه حتى اليوم، وهو يقع جنوب شرق الكوارج مباشرة.

[329] يقصد المواقع الآثارية الأخرى في الأحساء، والتي ذكرها في كتابه بأسماء: (الأحساء١، والأحساء٢ ... إلخ).

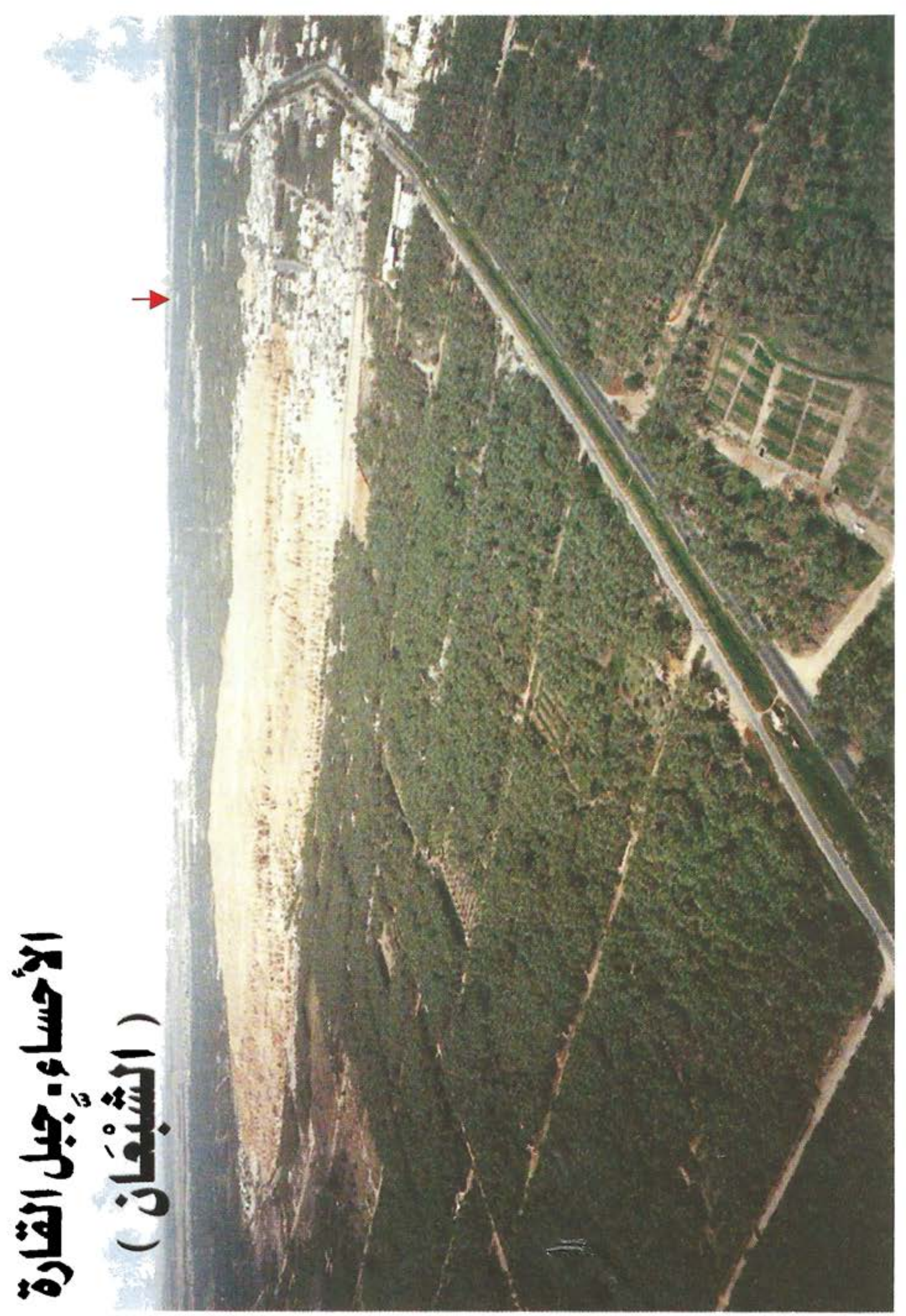
[330] هذه صفة مسجد الملائكة القائم حتى الآن في الموضع الذي ذكره.

والتي كانت تمتد من الكوارج جنوباً وحتّى ما بعد المسجد الكبير الواقع على طريق التويثير الذي ذكره شمالاً، وهذا الموقع هو تماماً الرُّكنُ الشمالي الغربي من جبل الشبعان والذي قلنا أنّ مدينة هجر تقع فيه، وإنَّ في قول فيدال عن هذا الموقع إنّه يحتوي على أنواع فخّارية متعددة من أنماط مختلفة، فأنا لا أستغرب ذلك أبداً لأنَّ هذا الموقع هو المكان الذي كانت تقوم عليه هجر وسوقها الشهير سوق المشقَّر.

إذاً ها نحن نصل إلى نهاية المطاف بالنسبة لهذا البحث، الذي حاولت فيه جهدي أن أصل إلى الحقيقة، وقد تبين لي بما لا يدع مجالاً للشك بأن مدينة هجر كانت تقع عند سفح الركن الشمالي الغربي لجبل الشبعان (القارة) المواجه لقرية القارة، وأن المشقر هو هذا التلّ العجيب القائم بكل شموخ وسط قرية القارة، والمسمى اليوم باسم جبل راس القارة، وأن مدينة المشقر هي ما تقوم على أنقاضها اليوم قرية القارة التي كانت تقع إلى الشمال من تل المشقر ملاصقة له، وهو اليوم يتوسط هذه القرية، وأما مدينة الصّفا فهي كانت تقع عند الجبل الذي يعرف اليوم باسم جبل أبي الحصيص الواقع للشمال من قرية التويثير أو لنقل إلى الشمال الشرقي من مدينة هجر العظيمة وأنّ حصن الصّفا هو التلّ الواقع للجنوب الغربي من هذا الجبل (أبي الحصيص)، وأما عين محلم، فهي عين الحارّة بالمبرز.

ولم يبقَ إلا أنْ أحيل القارئ الآن إلى مشاهدة الصور الملحقة في آخر هذا الكتاب سواءً تلك التي استشهدنا بها في كتابنا هذا أو تلك التي لم نذكرها، حيث قمنا بتدوين بعض المعلومات المساعدة على إثبات ما توصّلنا إليه عند كلّ صورة منها لنثبت بالكلمة والصورة مواضع وروعة هذه الأماكن التي شغلت الباحثين حول تاريخ هذه المنطقة زمناً طويلاً، وأودُّ بهذه المناسبة هنا أنْ أقول إنّ هؤلاء الباحثين بكتاباتهم وجهودهم قد أناروا الشمعات الأولى التي سرت على ضوءها حتى عرفت طريقي ووصلت إلى هدفي المنشود فلهم جل شكري وتقديري.

حديث الصور



صورة رقم (١): جبل الشبعان(القارة) الشهير بكهوفه الباردة. حتى سماه لبيد بـ (بارد الصيف) كما في النصّ (١٨). وهو الذي قال فيه عمرو بن أحمر الباهلي في النصّ (١٩):

ابَىْ الشَّبْعَانُ بَعْدَكَ حَرَّ نَجْدٍ ۝ وَابْطُحَ بَطْنِ مَكَّةَ حَيْثُ غَارَا

والسهم الأحمر يشير إلى جبيل آخر يسمى الشبعان أيضاً. وقد أوضحنا في بحثنا أنه الشبعاء بالهمزة في آخره.

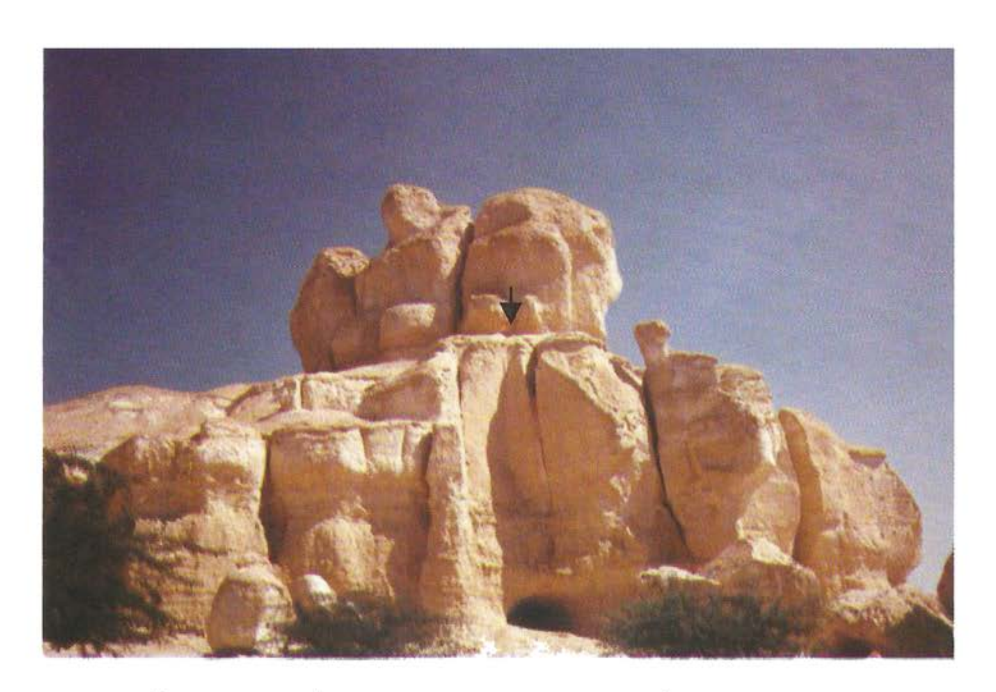


صورة رقم (٢): جبل راس القارة، والذي كان يقع في السابق جنوب قرية القارة، وهو اليوم في وسطها بعد توسع القرية في البنيان، ويلاحظ القارىء غرابة شكل هذا التلّ، ولا سيما الصخرة التي تقع فوقه، وتشبه رؤوساً ثلاثة أحدهما يتجه للجنوب، ويشبه صورة رأس امرأة (يسار القارىء)، والآخر يشبه صورة رأس رجل متّجه إلى الشمال (يمين القارىء) والثالث يقع بينهما في الوسط ويتجه صوب الغرب، ويشبه صورة أسد رابض، ولكنه لا يبدو في هذه الصورة هنا.

ويبدو واضحاً في الصورة بالقرب من هذا التلّ منارة مسجد يقع بالقرب من مدخل مغارة صغيرة فيه، وهي التي يشير إليها السهم الأصفر.

وأودّ من القراء أن يتمعنوا كثيراً في هذا التلّ العجيب لأنه سوف يكون له شأنٌ كبير في تحديد مدينة هجر وقصبتيها المشقر والصّفا.

*الصورة لا يُعرف من التقطها، وهي مشهورة وتباع على أنها لجبل القارة الكبير، والصحيح أنها لجبل راس القارة، وأما جبل القارة الكبير (الشبعان) فقد مرّ في الصورة السابقة، وهو أكبر من هذا بأضعاف مضاعفة.



صورة رقم (٣): صورة أخرى لجبل راس القارة، ولكن هذه المرّة بعد اكتشافي بأنه هو قارة عطالة التي ذكر ابن الأعرابي في النص (٣٥) أنها كانت تقع وسط مدينة المشقر القديمة العظيمة، وقال أيضاً أنه كانت تقوم عليها قلعة، وفي أعلاها بئر تثقب القارة حتّى تنتهي إلى الأرض، وتذهب في الأرض.

وقد صدق ابن الأعرابي – رحمه الله – فيما وصف، فهذه المغارة الصغيرة الواضحة في هذه القارة هي الفتحة التي كانت تتدفق منها مياه عين الخسيف، وبالفعل فإنّه يوجد في أعلى هذه القارة بئر (حيث يشير السهم) يخترقها حتّى يصل إلى عين الخسيف في الأسفل، والتي كانت عيناً نضاخةً موغلةً في القدم، وتعرف باسم آخر في التاريخ العربي سوف نعرفه فيما يأتي، كما لا يفوتنا أن ننبه القارىء إلى ما قلنا في الصورة السابقة من أنّ الرأس الثالث المتوسط بين رأسي الرجل والمرأة والذي يشبه صورة أسد رابض بات واضحاً لنا من هذه الجهة.

وإذاً فما حول هذا التلّ العجيب هي بقايا آثار مدينة المشقّر العظيمة، وهذه القارة هي قارة عطالة التي هي المشقّر بعينها (لاحظ اللون)، وأما القلعة التي قال أنها كانت مبنية فوقها، فهي حصن المشقّر العظيم.

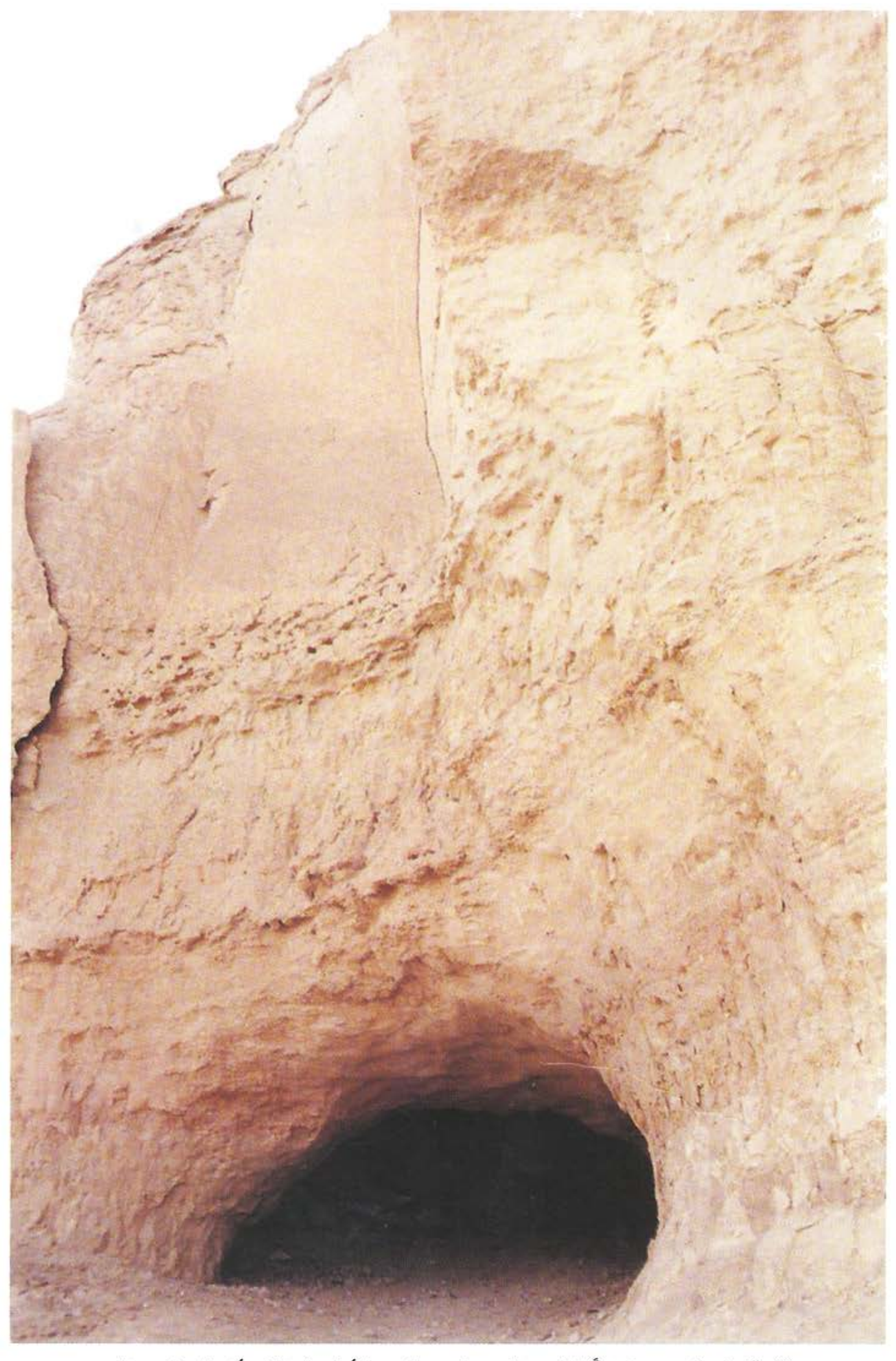
*الصورة التُقطتْ بواسطة الكاتب لحظة معرفته بأنّ هذا التلّ هو تلّ المشقر، وذلك بعد أن أخبرني الحاج أحمد آل حمود من أعيان قرية القارة بأنّه يوجد في أعلى هذا التلّ بئر يخترقه، وكان ذلك في شتاء ١٤١٤هـ



صورة رقم (٥): عين الخسيف، وقد بدت آثار مجراها واضحة حيث كانت المياه تتدفق بغزارة شديدة من هذه الفتحة التي تبدو للعيان، والتي في أعلاها بئر محفـور في صخر هذا التلّ بحيث يصل إلى هذه العين، فكانوا يأخذون الماء وقتما شاءوا، وبالتـالي فإنهم لم يكونوا يفتقدون الماء أبداً، ولهذا فقد كان حصن المشقّر يستعصي على كل مـن يحاصره.

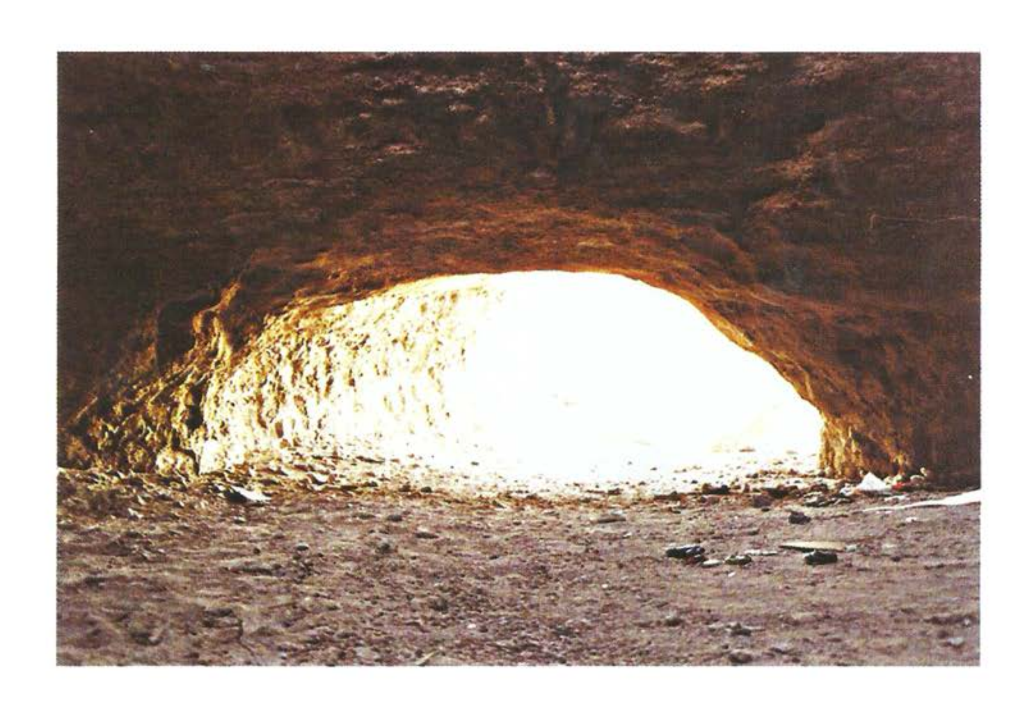
وقد حاول الكثيرون ممن حـاصروا هـذا الحصـن أن يدفنـوا هـذه العـين، ولكنـهم لم يفلحوا، وعلى رأسهم أبو سعيد الجنابي مؤسـس دولـة القرامطـة في البحريـن، ولكنـه عجز عن دفنها لقوّتها وشدّة جريانها كما سيأتي معنا في ما يأتي من البحث.

الصورة التُقطت بواسطة الكاتب في العام ١٤١٤هـ.



صورة رقم (٦): صورة مقرَّبة لعين الخسيف، وقد بدا أعلاها بقليل أثر التهذيب البشري

• الصورة التقطت عام ١٤٢٤هـ بواسطة الدكتور مرعي الشّخص من أهالي قرية القارة.



صورة رقم (٧): عين الخَسيف كما تبدو من الداخل، ويلاحظ أثر الرَّدم (الحصى والتراب) الذي دُفنت به هذه العين في زمنٍ غير معروف، كما يلاحظ القارىء بعض الضوء في أعلى الصورة وهو غير الذي يأتي من الخارج مباشرة .. إنّ هذا الضوء المشار إليه آتٍ من فتحة البئر التي تقع مباشرة أعلى هذه العين كما سنلاحظ ذلك في الصور القادمة.

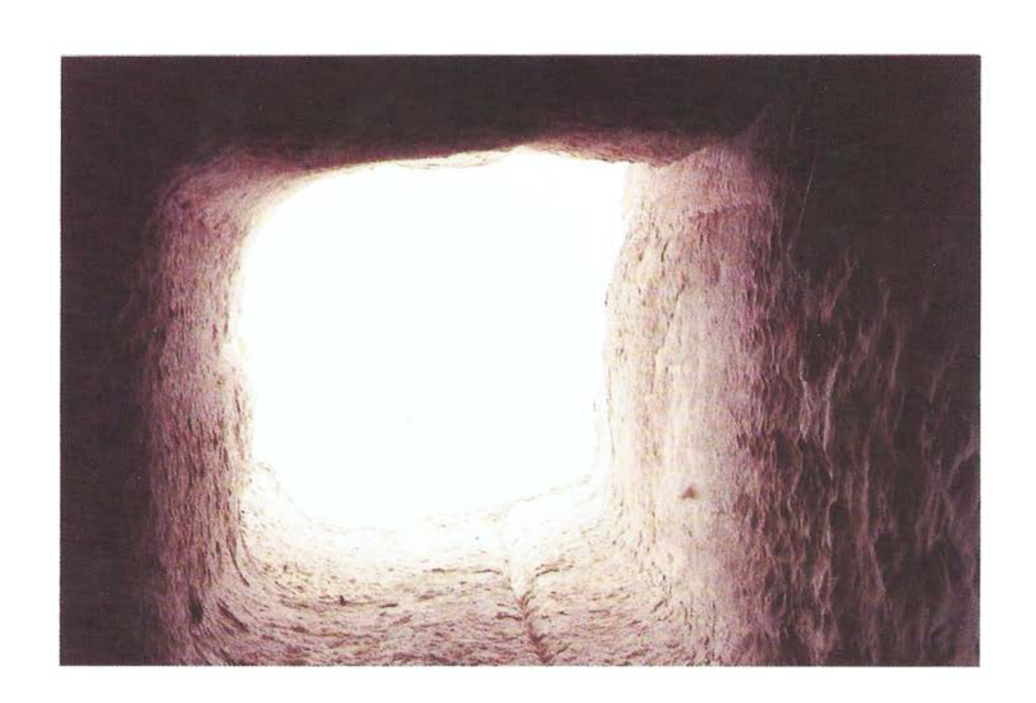
* الصورة التقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص عام ١٤٢٤هـ.



صورة رقم (٨): هذه هي البئر المشار إليها، والمحفورة بدقّـة، والـتي قـال ابن الأعرابي في النـصّ (٣٥) أنـها تخـترق قـارة عطالـة (المشـقّ) حتـى تصـل الأرض ثم تذهب في الأرض، فانظر إليها ما أبدع نحتها في هذا التلّ الصخري حيث اتخذت شكلاً رباعياً (معيّن).

ومن أعلى هذه البئر حيث يبدو نور السماء كان المحاصرون يأخذون بواسـطة الدلاء ما يحتاجون إليه من الماء من العين التي يقف المصـور الآن فـوق فوّهتـها المدفونة.

* الصورة التقطت بواسطة الكاتب عام ١٤١٤هـ.



صورة رقم (٩): وهي صورة أخرى للبئر نفسها التقطها المصـــوّر مـــن منتصف فوّهة عين الخسيف المدفونه.

* الصورة التقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص عام ١٤٢٤هـــ.



صورة رقـم (١٠): وهـي صـورة للبـئر الـتي تخـترق التـلّ لتصـل إلى عـين الخسيف المدفونة كما يبدو في أسفل البئر من هذه الصورة.

◦ الصورة التُقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص عام ١٤٢٤هـ.



صورة رقم (١١): وهي للبئر نفسها أخذت من الأعلى من زاوية أخرى بحيث بدى واضحاً في أسفل البئر وجود ضوء واضح، وهو ضوء يأتي من فتحة مجرى عين الخسيف التي رأيناها في الصور السابقة.

◦ الصورة التقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص.



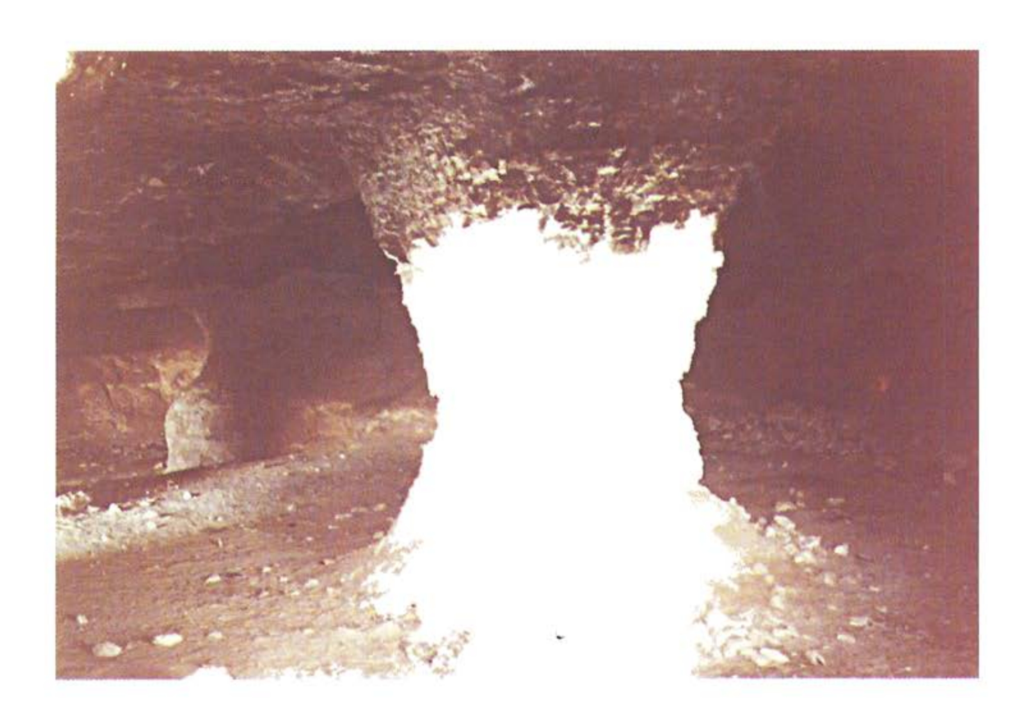
صورة رقم (١٢): صورة لمدخل المغارة الواقعة على بعد ٢٥ متراً تقريباً شمال مغارة عين الخسيف في تلّ المشقّر، والمتجه ناحية الغرب، حيث يلاحظ أثر التهذيب الواضح لأعلى الزاوية الواقعة على يسار القارىء، كما يلاحظ آثار رجم ودفن أسفل المدخل، ولا شك أنّ هذا المدخل كان في السابق مهذباً وأكثر تنسيقاً، ولكن عاديات السنين والتخريب المتعمّد قد فعلا درهما ليبدو كما هو في الصورة.

* الصورة التقطت بواسطة الكاتب عام ١٤١٤هـ.



صورة رقم (١٣): وهي للمغـارة الـتي رأينـا مدخلـها في الصـورة السـابقة، وذلك بعد الدخول من هذا المدخل، والذي هو الآن على يمين المصـوّر مباشـرة، وهنا يلاحظ القارىء الدليل الأكيد على أثر يد الإنسان في هذه المغـارة المنحوتـة في صخر تلّ المشقَّر، وخصوصاً هذا العمود المنحوت بشكل جميل والمنتصـب في وسط المغارة كدعامة لسقفها، كما يجب ملاحظة وجــود هـذه الكـوَّة النـافذة في الجدار على يسار القارىء، والتي يقف أحد الأشخاص أمامها مباشرة، وكذلك وجود القار الذي طُلي به سقف المغـارة كمـا هـو واضـح للنظـر، وفي آخـر هـذه المغارة نرى الجدار الفاصل بينها وبين مغارة عين الخسيف التي رأينــا صورهـا فيما مضى.

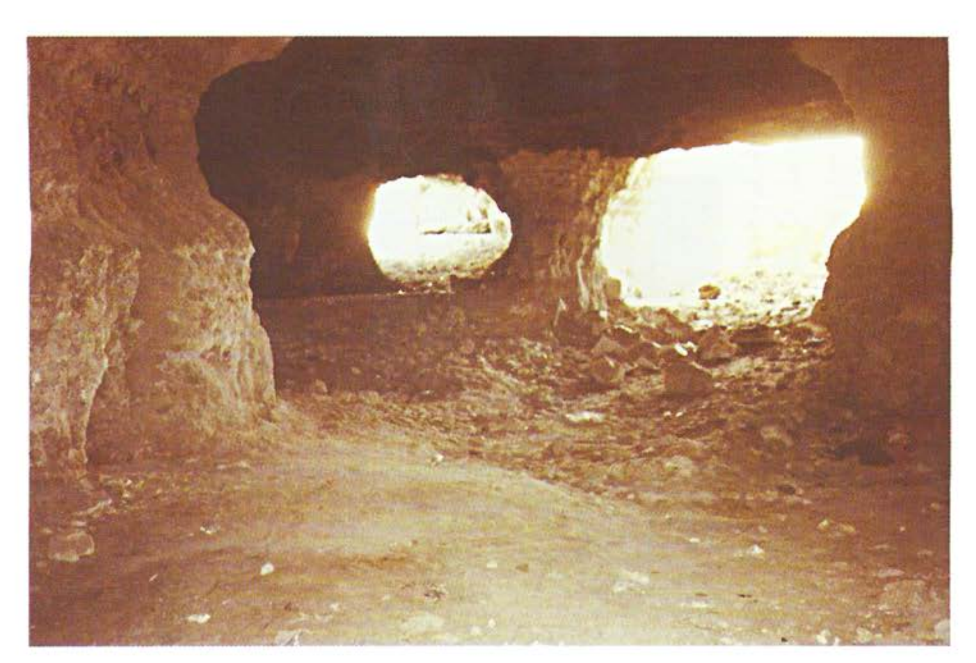
◦ الصورة التقطت بواسطة الكاتب عام ١٤١٤هـ.



صورة رقم (١٤): وهي للعمود المنحوت في وسط المغارة ليكون دعامة لسقفها، ويلاحظ أنّه مفلطح في الأعلى والأسفل، ومستدقّ في الوسط لأنهم كانوا يحرصون على الجانب الجمالي مثل حرصهم على الجانب الأمني، ويلاحظ آثار العبث والتخريب واضحة من الحجارة المبعثرة في أرضية المغارة.

وفي أقصى يسار الصورة بدت الفتحة الكبيرة التي لم نكن نستطيع ملاحظتها في الصورة السابقة، وهذه الفتحة تؤدي إلى مغارة أخرى أكبر من هذه المغارة، وللمغارة الثانية مدخلٌ آخر غير مدخل هذه المغارة يقع إلى الشمال في حين أنّ مدخل هذه المغارة يقع إلى الغرب كما أسلفنا، ويوجد بين المغارتين جدار فاصل بحيث لا يستطيع من في إحداهما رؤية من في الأخرى إلا من خلال الكوّة النافذة التي رأيناها في الصورة السابقة، أو من خلال هذه الفتحة الكبيرة في آخر هذه المغارة.

٭ الصورة التقطت بواسطة الكاتب عام ١٤١٤هـ.



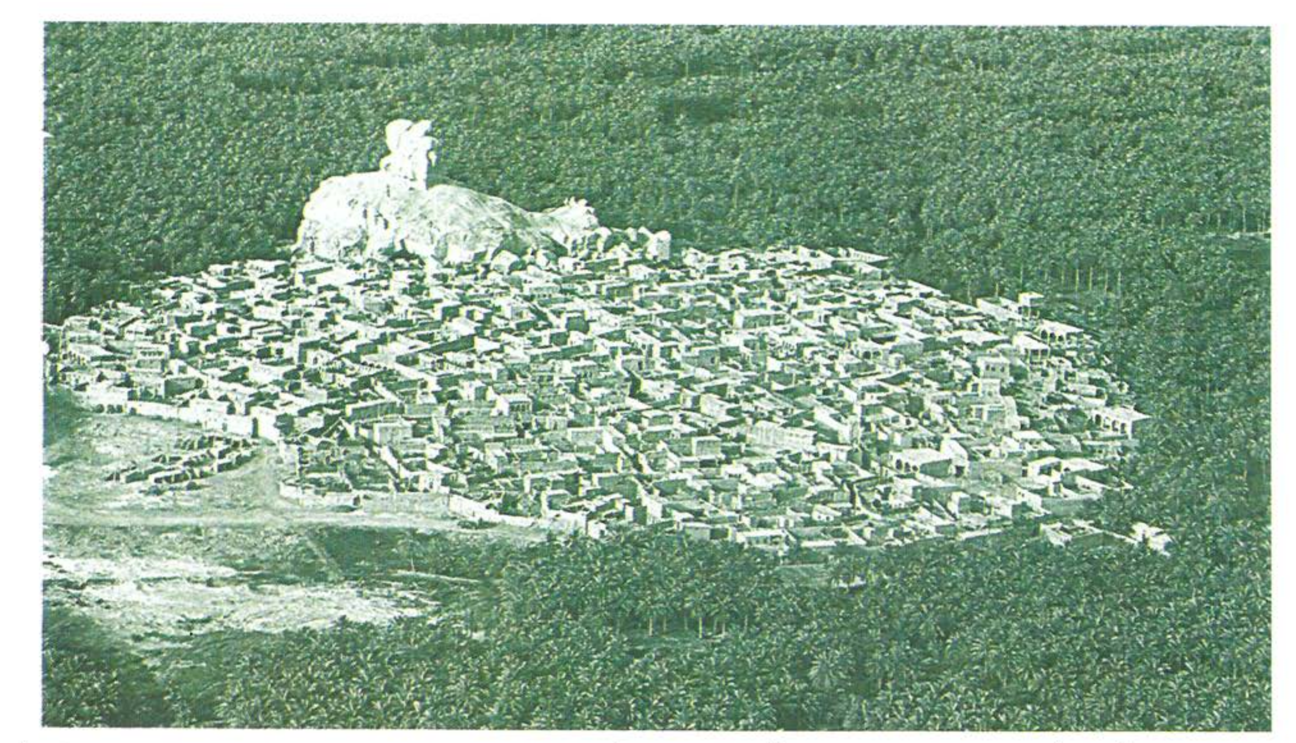
صورة رقم (١٥): وهي صورة تجمع المغارتين الأولى والثانية، أو لنسمها المغارة المزدوجة، فالفتحة التي على يسار القارىء هي فتحة باب المغارة الأولى المتجهة للغرب، والتي وصفناها، ويلاحظ أن العمود الداعم يحجب بعضاً منها، وأمّا الفتحة الكبرى التي على يمين القارىء، فهي فتحة المغارة الثانية، وتتجه نحو الشمال، وما بين هاتين الفتحتين يقوم الجدار الفاصل بين المغارتين الذي في وسطه الكوَّة النافذة، ثم ينفتح في آخره لتلتقي المغارتان عند هذه الفتحة، والجدير بالذكر أنّ الواقف أمام إحدى هاتين البوابتين من الخارج لا يلاحظ البوابة الأخرى منهما بسبب وجود كتل صخرية هائلة الحجم تحجب بين البوابتين من الخارج.

ومن المعتقد الآن أنّ هذه المغارة المزدوجة هي المغارة التي عُرفت في التاريخ باسم (فجّ بني تميم) كما في النصّ (٥٦)، في وقعة الصفقة بالمشقر حيث طلبوا منهم الدخول من البوابة الشمالية الكبيرة لأخذ الميرة على أنْ يخرجوا من البوابة الأخرى الواقعة للغرب هنا، ولكنهم قُتّلوا داخل هذه المغارة، وهو مصداق قول الأعشى الذي مرَّ بنا في النص (١٢) حيث يقول أنّ التميميين قُتلوا:

وسط المشَقّر في عيطاء مظلمةٍ ... لا يستطيعون بعد الضرّ منتفعا

وقلنا أنّ معنى العيطاء هو القارة المشْرِفةُ والمستطيلة في السماء.

* الصورة التقطت بواسطة الكاتب عام ١٤١٤هـ.



صورة رقم (١٦): قرية القارة بالأحساء كما تبدو عام ١٩٤٥م، إنّ هذه الصورة هي أقرب مثال لما كانت تبدو عليه مدينة المشقر العظيمة، ويلاحظ في الصورة بوضوح جبل راس القارة أو تلّ المشقّر في جنوب القرية، والبيوت تلتصق به من جهتيه الشمالية والشمالية الشرقية فقط، كما يلاحظ أنّ التلّ والبيوت التي تكتنفه في أرض صخرية جرداء أو فلاة كما سماها هشام الكلبي في النصّ (٣١) وتحيط بها بساتين النخيل من كل جانب، فهو كما وصفه بشامة بن الغدير في النص رقم (٧) حين قال مشبهاً الأظعان بهذا النخل: **كأنّ ظُعنَهمُ والآل يرفعها نخل المشقَّر أو ما ربّبتْ هجرُ**

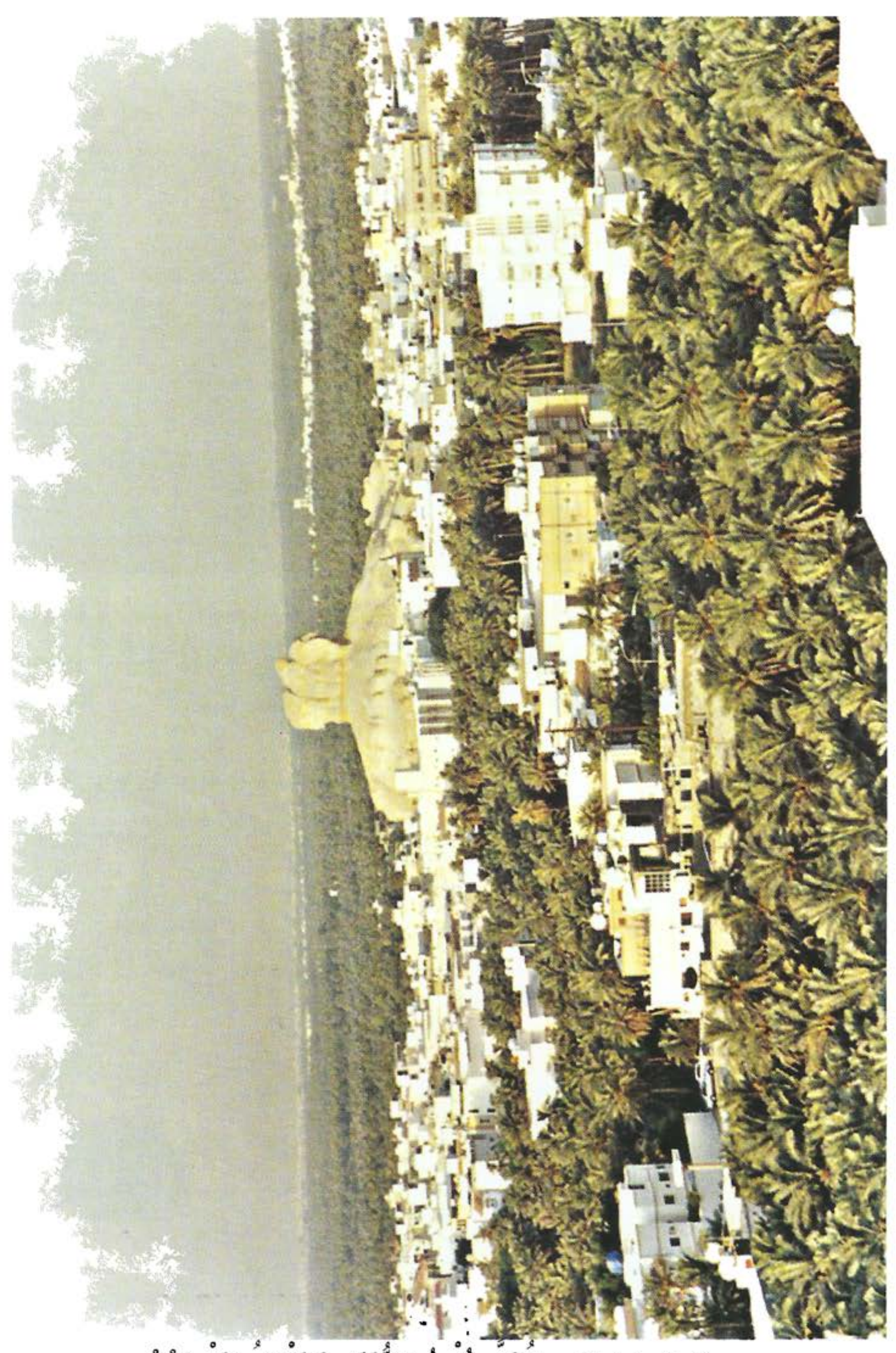
وأمّا الأرض الخالية الجرداء الواضحة أمام سور البلد فهي التي كانت تقام فيها سوق القارة الوريث الشرعي لسوق المشقر بهجر، وقد بدت فيه بعض الأخصاص التي كان الباعة يستخدمونها لعرض بضاعتهم عليها، فهذه إذاً هي البقعة التي كانت تشهد أشهر أسواق العرب بعد سوق عكاظ. (الصورة التقطت بوسطة أحد مصوري شركة أرامكو)



صورة رقم (١٧): وهي صورة لمدخل المغارة التي قلنا أنّها أجمل المغارات في تلّ المشقّر، وقد اتفقنا على تسميتها بمجلس الحاكم أو دار الحكم لجمال تصميمها.

ويلاحظ أنّه قد بدا واضحاً جزءٌ من المسجد الملاصق لتلّ المشقّر (يمين الصورة) ونقول ربما تكون الأساسات الأولى لهذا المسجد هي بقايا المسجد الجامع الذي جاء ذكره في النصّ (٣٣)، وقال أنّه يقع في المشقّر.

▫ الصورة التقطت بواسطة الكاتب عام ١٤١٤هـ.



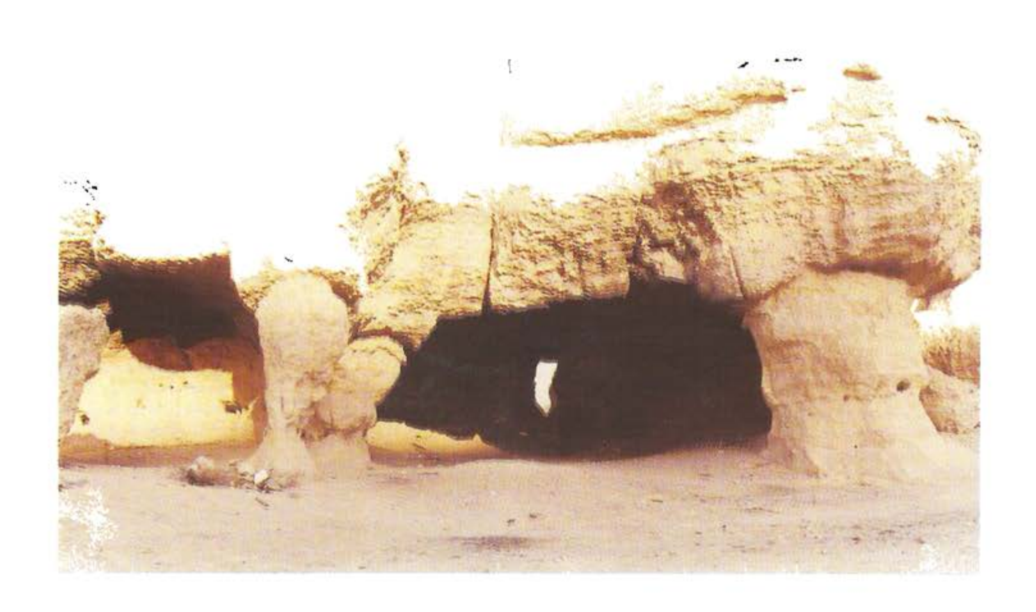
صورة رقم (١٨): المُشَقَّر مُلْهِمُ الشُّعَرَاءِ وَشَاغِلُ البَاحِثِيْنْ

الصورة التقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص من أهالي قرية القارة.



الصورتان (٢٠) و (٢١): المغارة المزدوجة المدخل الواقعة في تلّ الأطيط أو حصن الصَّفا، وهذا البوابة هي البوابة الشمالية الشرقية لهذه المغـارة، والبوابـة الأخـرى تقـع إلى الغـرب، ويلاحـظ الدقّة الواضحة في نحت مدخل هذه المغارة والأعمدة التي يقوم السقف عليها.

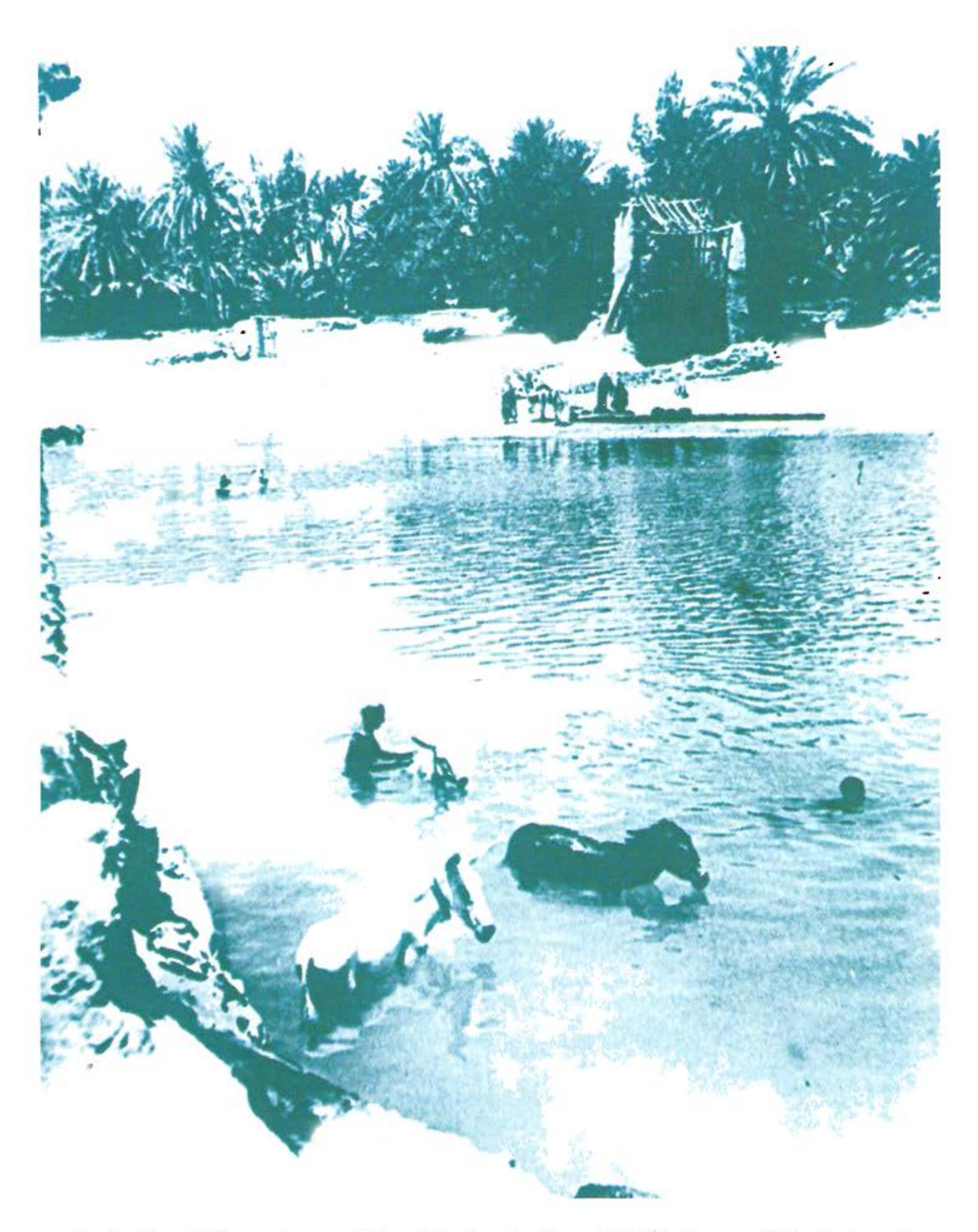
○ الصورتان التقطتا بواسطة الدكتور مرعي الشخص.





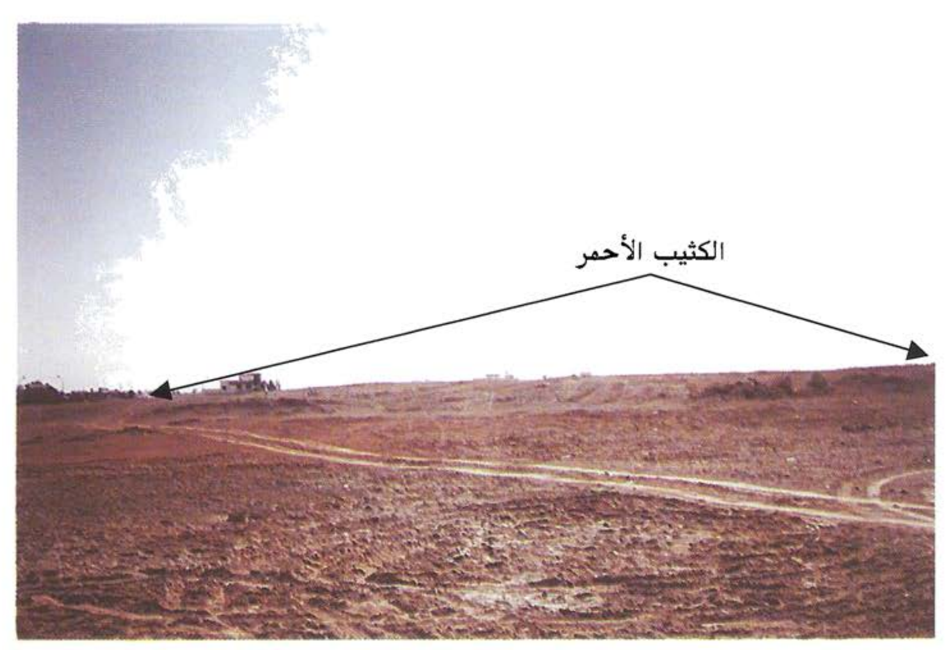
الصورة رقم (٢٢): إنّ هذا التلّ الصغير الواقع وسط غابات النخيل يسمّيه الأهالي باسم الشبعان، ويقع إلى الشرق من عين باهلة المعروفة في واحة الأحساء، وقد أوضحنا في البحث أنّه هو القارة التي ذكرها هشام الكلبي في النصّ (٣١) باسم الشبعاء بالهمزة في آخره، وأنّ الأهالي ذكّروه بعد تأنيث فأسموه الشبعان، وجاء في النصّ المذكور كما عرفنا أنّ القارة التي يقوم عليها حصن المشقر تقع بين الأطيط والشبعاء، فالأطيط هي القارة التي كان يقوم عليها حصن الصّفا، والشبعاء هي هذه القارة الواضحة في الصورة هنا، ولو قدّر لأي شخص يتسلق ظهر جبل الشبعان الكبير أو جبل أبي الحصيص لوجد أنّ كلام أبي المنذر هشام الكلبي في غاية الدقّة والوضوح بالنسبة لتحديده لهذه القارات الثلاث.

* الصورة لا أعرف ملتقطها، وهي مأخوذة من الكتاب الذي أعدته هيئة إدارة وتشغيل مشروع الريّ والصرف بالأحساء.



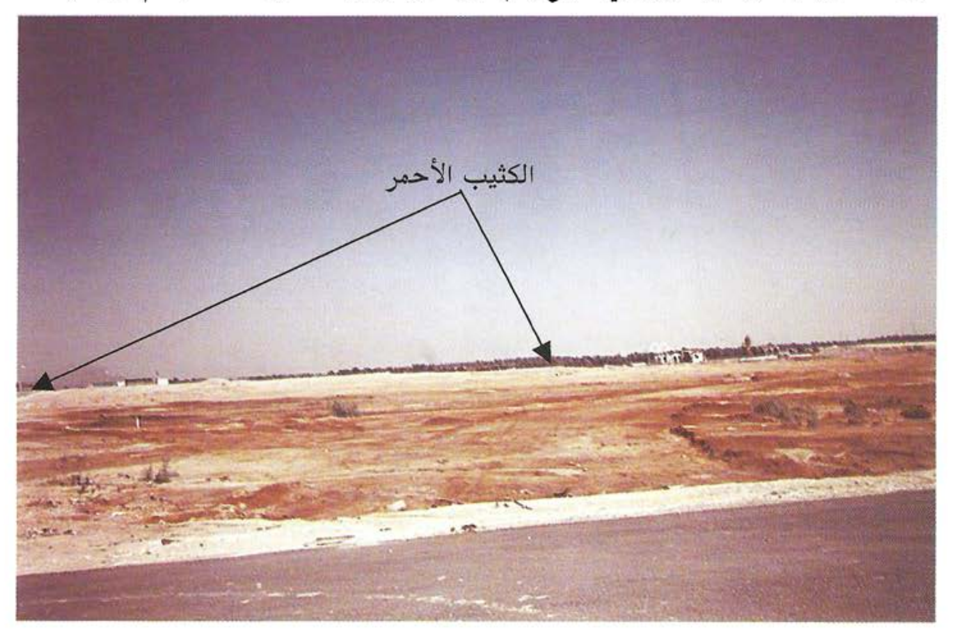
الصورة رقم (٢٣): عين الحارّة كما تبدو في منتصف القرن الماضي ١٩٠٠م، وكانت تقع شمال المبرَّز، ويلاحظ أنّ هذه الصورة تبين لنا العين على طبيعتها الأولى منذ حفرها من حفرها، وقبل تدخّل يد الإنسان فيها بالتعديل والبناء، والصورة لا نعرف ملتقطها، وهي باللونين الأسود والأبيض فقط، ولكننا أدخلنا على ألوانها بعض التعديلات بواسطة برنامج (الفوتوشوب) بالحاسب الآلي.

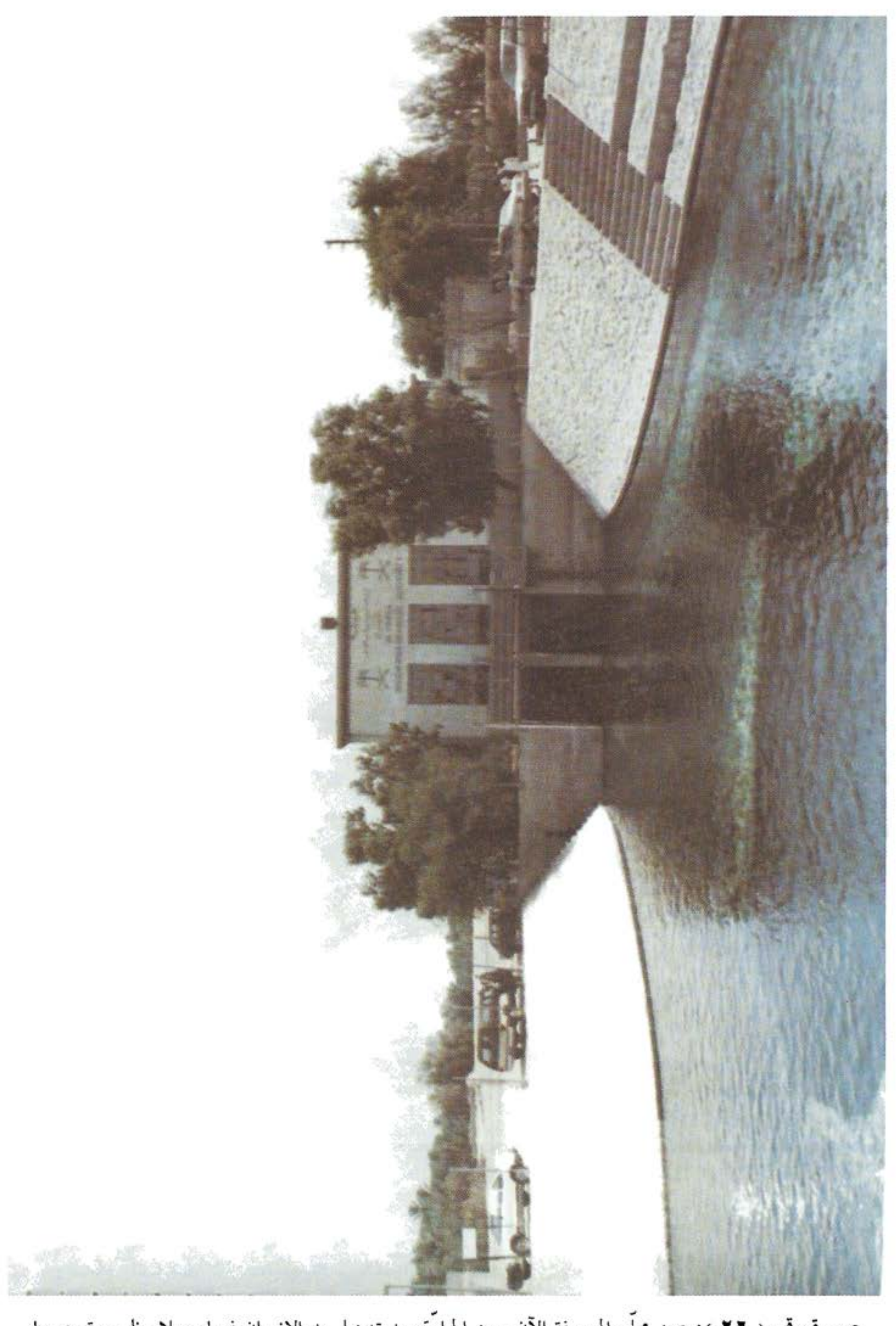
إنّ هذه العين هي عين محلّم العظيمة والشهيرة في تاريخ العرب



الصورتان (٢٤) و (٢٥): موقع قرية الجونين التي ذُكرت في النصّ (٥٤) وفيه: "الجونان قرية من نواحي البحرين قرب عين محلم دونها الكثيب الأحمر .. والجونان قاعان أحمران يحقنان الماء."، وهذا الموقع قريب من عين الحارة التي قلنا أنها هي عين محلم، والكثيب الأحمر واضح في الصورتين مشار إليه بالأسهم، والقاعان الأحمران كذلك عن جنوب الكثيب وشماله كما هو واضح في الصورة، والتي يبدو في العليا منهما آثار ترسبات ملحية ناتجة عن جفاف الماء الذي كان هذان القاعان يحتقنان به.

إنّ هذا الكثيب وما حوله هو ما يُعرف في التاريخ باسم الجرعاء. (الصورتان التقطتا بواسطة الكاتب عام ١٤١٥هـ)





صورة رقم (٢٦): عين محلّم المعروفة الآن بعين الحارّة بعد تدخل يد الإنسان فيها، ويلاحظ سعة منبعها الرباعي الشكل والواضح في وسط العين باللون الداكن.

* الصورة لا أعرف ملتقطها، وهي مأخوذة من كتاب هيئة إدارة وتشغيل مشروع الري والصرف بالأحساء.



صورة رقم (٢٧): خريطة غير قياسية من عمل الكاتب توضّح مواضع بعض القُرى والتلال القديمة وأخرى حديثة في واحة الأحساء، وهجَر، والقُرى المكتوبة باللون الأحمر هي ما يُعرف الآن من قُرى بني محارب بن عمرو العبقسيين التي ذكرها ابن الفقيه الهمذاني، وترجمناها في كتابنا هذا، وفحوى قول ابي مالك اليشكري الذي رواه الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب من أنّ قُرى بني محارب هي ما أحاط بمدينة هجر، والتي قلنا أنها تقع ملاصقة لجبل الشبعان، صحيح ودقيق، والخريطة تثبت صحّة ذلك.



صورة رقم (٢٨): قرية الدالوة القديمة بالأحساء؛ وهي إحدى ثلاث قُرى تقع كلاً منـها عند ركنٍ من أركان جبل الشبعان، وهي التويثير؛ وتقع في سفح الركن الشمالي الشرقي، والتُّيْميّة؛ وتقع عند سفح الركن الجنوبي الشرقي. والدالوة هذه، وتقع عند سفح الركن الجنوبي الغربي، أما قرية القارة فهي لا تقع مباشرة عند سفح الركن الشمالي الغربي بل بعيدة عنه بعض الشيء.

وما يلفت النظر في هذه الصورة أنّها توضّح نوعيـة التحصين القديمة للمدن التي تلاصق هذا الجبل العملاق، وهي أنّ البيوت الخارجية للقرية تكون متلاصقة مع بعضها، وتمتد من أحد أطراف الجبل إلى طرف آخر مشكّلةً ما يشبه القوس بحيث يكون الجبل وتراً له (انظر الصورة)، وهي بذلك تُكَوِّن سوراً متيناً يصعب اختراقه، وفي نفس الوقت تكون في هذه البيوت عادةً فتحات كانت تستخدم في السابق لرمي النشّاب والسهام، وحتّى وقت قريب كانت تستخدم لرمي الأعداء بالبنادق منها عند محاصرة البلد من قبل أي معتدٍ يقصدها، وإنّ هذا الطريق الواضح في أقصى يسار الصورة، والموازي لسور القرية يؤدي بعد كيلو متر ونصف تقريباً إلى موضع الكوارج الواقع عند الركن الشمالي الغربي لهذا الجبل (الشبعان)، والكوارج هذه تقع قرب أطلال ما تَبَقّى من مدينة هجر العظيمة التي كانت تقع بالقرب منها وملاصقةً لهذا الجبل العظيم.

إنّ هذه الصورة أعلاه تصلح لأنْ تكون نموذجاً مصغّراً للهيئة التي كانت عليها مدينة هجر وقت محاصرة أبي سعيد الجنابي لها عند فتحه لمدن البحرين، والتي كانت هجر آخر مدينة فيها تسقط في يده بعد حصار طويل قُدِّر بين السنتين إلى الأربع سنوات كما مَرَّ بنا في البحث. ولولا أنّه اهتدى إلى مصدر الماء الذي كان أهالي المدينة يشربون منه – وهو عين هجر التي كانت تنبع من تل المشقّر الواقع للغرب من هجر غير بعيد عنها. فقام بقطعه عن المدينة بحيلة ذكرنا تفصيلها – لما استطاع أنْ يفتح هذه المدينة العتيدة، ولكنه فعل أخيراً وفتحها، ثم أحرقها وأخربها، فلم تعد هجرُ موجودةً كمدينة في إقليم البحرين، وإن كانت شهرتها الذائعة قد شفعت لها بالبقاء كمنطقة وإقليم. ونوتةٍ موسيقية شعرية تتردد أصدائها على لسان كل الشعراء كما كانت في العهد القديم.



صورة رقم (٢٩): جانب من جبل الشبعان في الجهة الشرقية لهضبته قرب الغار المسمى بغار النشاشيب الذي هُيّىء لدخول السيّاح والزائرين.

لاحظ عزيزي القارىء إحاطة النخل بهذا الجبل إحاطة السوار بالمعصم في منظر ولا أروع سَحَر لُبَّ كلٍ مَن شاهده، ولا سيما الشعراء منهم، فراحوا يغردون بذكره، فقد مرَّ بنا قول عديّ بن زيد العبادي متحسِّراً على فراق هذا الجبل ونخله، فقال:

تمتَّعْ من الشَّبعانِ خَلْفكَ نَظْرةً ... فإنَّ بلادَ الجُوعِ حيثُ تميمُ

ولبيد بن ربيعة العامري، الذي سَمّاه (بارد الصيف)، فقال مشبهاً الظعن بهذه النخيل في وصفٍ أقل ما يقال عنه أنّه غاية في المتعة:

كَأنَّ أظْعَانَهُمْ فِيْ الصُّبْحِ غَادِيَةً ... طَلْحُ السَّلائِلِ وَسْطَ الرَّوْضِ أوْ عُشَرُ

أوْ (بَارِدُ الصَّيْفِ) مَسْجُوْرٌ مَزَارِعُهُ ... سُوْدُ الذَّوَائِبِ مِمَّا مُتِّعَتْ هَجَرُ

جُعْلٌ قِصَارٌ وَعِيْدَانٌ يَنُوْءُ بِهِ ... مِنَ الكَوَافِرِ مَكْمُوْمٌ وَمُهْتَصَرُ

يَشْرَبْنَ رِفْهاً عِرَاكاً غَيْرَ صَادِرَةٍ ... فَكُلُّهَا كَارِعٌ فِيْ المَاءِ مُغْتَمَرُ

بَيْنَ (الصَّفَا) وَخَلِيْجِ (العَيْنِ) سَاكِنَةٌ ... غُلْبٌ سَوَاجِدُ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا الحَصَرُ

أو عندما يقول ذلك الأعرابي منبهراً بهذا النخل:

وَقَفْنَ بَيْنَ (رَمْلَةٍ) و(قُفٍّ) ... وَبَيْنَ نَخْلَيْ (هَجَرَ) ألْتَفٍّ



صورة رقم (٣٠): جانب آخر من جبل الشبعان، وفيها يتضح بعض الطرق والمسارب الخفيّة في هذا الجبل، والتي لا تُرى من الأسفل.

إن هذه المسارب هي التي كانت توفّر للمحاصرين في مدينة هجر أو القرى الأخرى الملاصقة لهذا الجبل الطريق إلى خارج المدينة لجلب المؤن إلى مدينتهم وأهلهم المحاصرين فيها، ولأنّ الماء والأكل متوفران في المدينة، والمؤن الأخرى كانت تُهرَّب إلى داخل المدينة عبر هذه المسارب الخفية، ولأنّ سور هجر كان من المناعة بمكان، فلأجل هذا كلّه كانت حصون هجر مضرب الأمثال في المنعة والتحصين.

◦ هذه الصورة والاثنتان قبلها لا نعرف ملتقطها، وهي مأخوذة من موقع في الشبكة العالمية (الإنترنت) عنوانه: www.alrufaiah.net.



صورة رقم (٣١): هذا هو جبل أبو حَصِيْصْ كما يبدو من جبل الشبعان، والذي أثبتنا أنّه هو الجبل الذي كانت مدينة الصَّفا قائمة عند سفحه، وهذه التلّة التي تقع أمامه (يسار القارئ)، والتي تتميز بوجود صخرة منحوتة فوقها تشبه بعض الشيء صخرة الرؤس الثلاثة فوق تلِ المشقّر، ولكنها دونها في روعة النحت؛ هذه الصخرة تقع فوق القارة التي أثبتنا أنها قارة الأطيط التي ذكر هشام الكلبي أنّ جبيل القارة يقع بينها وبين قارة الشبعاء التي سبق وعرضنا لها صورةً فيما مضى.

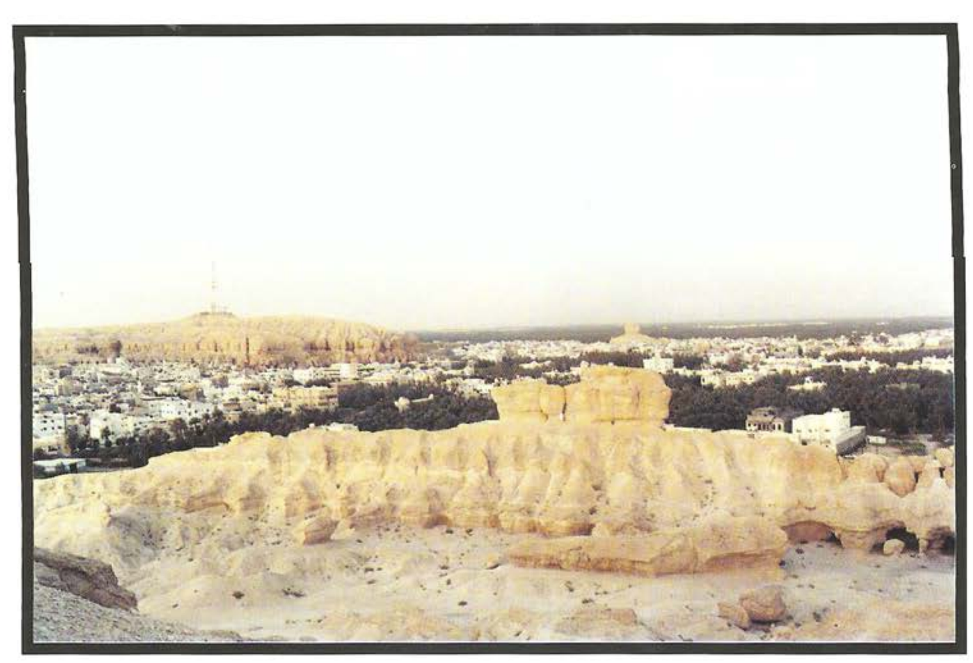
وهذه القارة أعني قارة الأطيط هي نفسها قارة الصَّفا، والتي كانت تحتضن هذا الحصن الأشم الذي طالما تغنى الشعراء بنخله ونهره، ومنهم الممزَّق العبدي الذي فاتنا أنْ نذكره في الشعراء الذين ذكروا في شعرهم هذه المواضع، فهو يقول مخاطباً النعمان بن المنذر:

فمن مبلغ النعمان أنَّ ابن أخته … على (العَيْنِ) يعتاد (الصَّفَا) ويُمزَّقُ

وما أجمل قول لبيد في نخله:

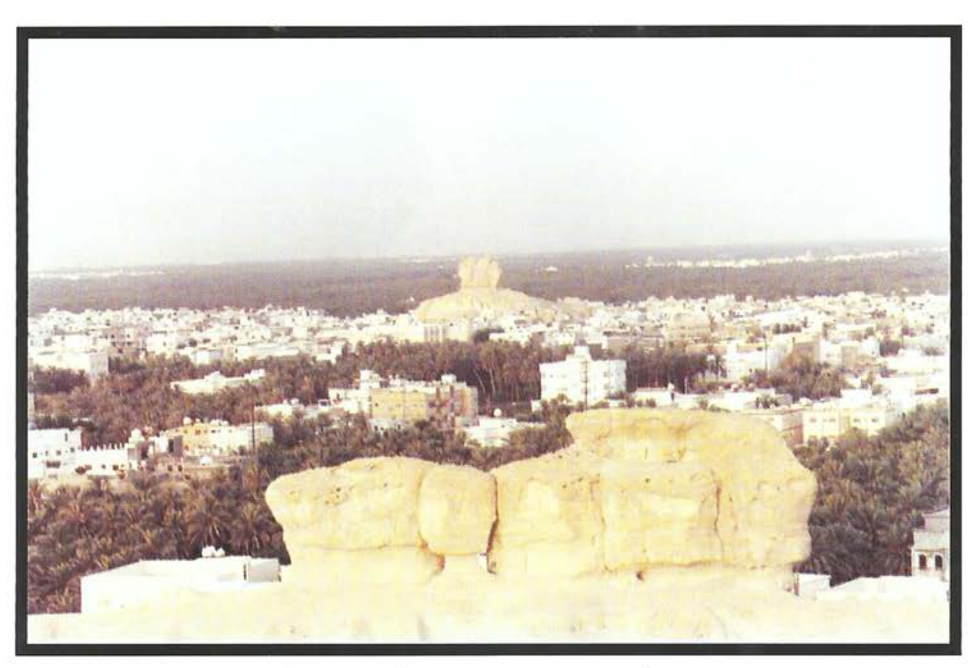
سُحْقٌ يمتِّعُها الصَّفا وَسريُّه … عُمٌّ نواعمُ بينهن كُرومُ

٭ الصورة التُقطت بواسطة شقيق الكاتب الأستاذ سعيد الجنبي عام ١٤١٥هـ.



الصورة رقم (٣٢): منظرٌ ولا أروع في صورةٍ مفعمة التُقطت من أعلى جبل أبو حَصِيْص تجمع قصبات هَجَر الثلاث التي كتبنا بحثاً هذا عنها، وهي: (المشَقَّر) الذي بات معروفاً لدى القارىء، وهو التل الصغير الذي يبدو هنا في أقصى وسط الصورة تحفُّ به بيوت قرية القارة، ثمّ (الشبعان) الذي يبدو فقط جزءٌ صغير منه في أقصى يسار الصورة، ثم أخيراً (الصَّفا)، وهو هذا التلّ الجميل البارز في أول الصورة، وهذا النخل الواقع بين هذه الجبال الثلاثة، والذي بدت المباني تغزوه هو من سلالة النخل الذي طالما تغنّى الشعراء به وملأت الدنيا أصداء وصفه، وأحب أنْ أوضح هنا أنّ معظم الشعراء الذين وصفوا سلف هذا النخل كانوا ولا شك يجلسون فوق قمّة جبل الشبعان، فكانوا يرون منظراً يسحر العيون ويبهر القلوب حيث نخل هجر ممتدٌ على مدّ النّظر من كلِّ صوب، ولا سيّما هذا النخل الواقع بين المشقر والصَّفا حيث كان من أبرز صفاته أنّ الماء يغمره طوال العام بفضل نهرٍ عظيم اسمه محلِّم، وعُرف في أدبياتهم باسم نهر العين الذي كان يأتي من عين محلِّمٍ التي أثبتنا أنها عين الحارّة بالمبرّز الآن، ويمرُّ مخترقاً نخيل واحة هجر حتّى يصل إلى هذا الموضع الأخّاذ فيشقّ طريقه بين هذين الحصنين المشقَّر والصَّفا ليضفي على المنظر مزيداً من الجمال والخلابة في النفس بحيث طفح على ألسن الشعراء شعراً رقيقاً مليئاً بالنشوة والحيوية كما رأينا في البحث، وكما سنذكر بعضاً منه في تعليقنا على الصورة القادمة.

* الصورة التقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص من أهالي القارة.



الصورة رقم (٣٣): صورة أخرى رائعة التقطت من أعلى جبل أبو حصيص، ولكن هذه المرّة فقط للحصنين الذين شغلا الشعراء والباحثين ردحاً طويلاً من الزّمن؛ (المشَقّر والصَّفَا)، ويلاحظ القارىء صدق ما قيل عن وصف هذين الحصنين من قولهم عن المشقر: حياله أو يقابله حصنٌ آخر يقال له الصَّفا، فانظر كيف أنّ المشقّر الذي يبدو في أقصى الصورة يقابله بالفعل حصن الصَّفا الواضح أمامنا مباشرة في أول الصورة، كما لا يفوتنا هذا التشابه الكبير بين الحصنين، وخصوصاً تشابههما في وجود صخرة منحوتة على كلٍّ منهما، ولكنها على المشقر أكثر رونقاً منها على الصَّفا.

كما أنّ نهر عين محلّم كان يمر من بين هذين الحصنين ليروي هذا النخل (نخل ابن يامن) الذي قلنا أنّ الشعراء طالما تغنوا بجماله ونضرته مثل قول امرىء القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يامنِ ... دوين الصَّفا اللائي يلين المشقَّرا

وقول عرفطة الأسدي:

فَقُلْتُ وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ كَوَارِعٌ ... مِنَ (التَّاجِ)، أوْ مِنْ نَخْلِ (يَثْرِبَ) مُوْقَرُ

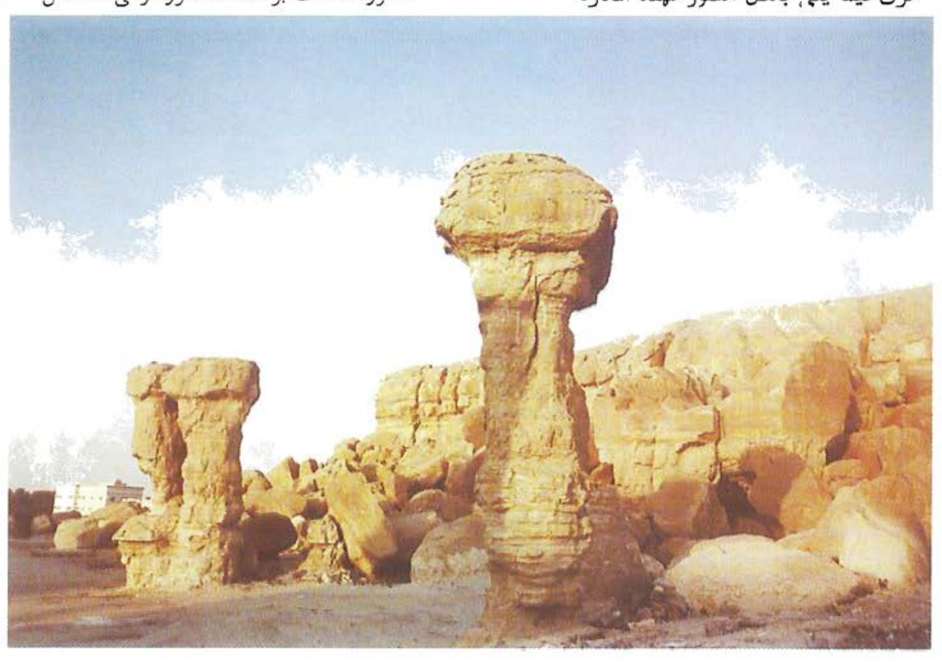
أوِ المُكْرَعَاتِ مِنْ نَخِيْلِ ابْنِ يَامِنِ ... دُوَيْنَ (الصَّفَا) اللائِيْ يَحِفُّ (المُشَقَّرُ)

• الصورة التُقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص.



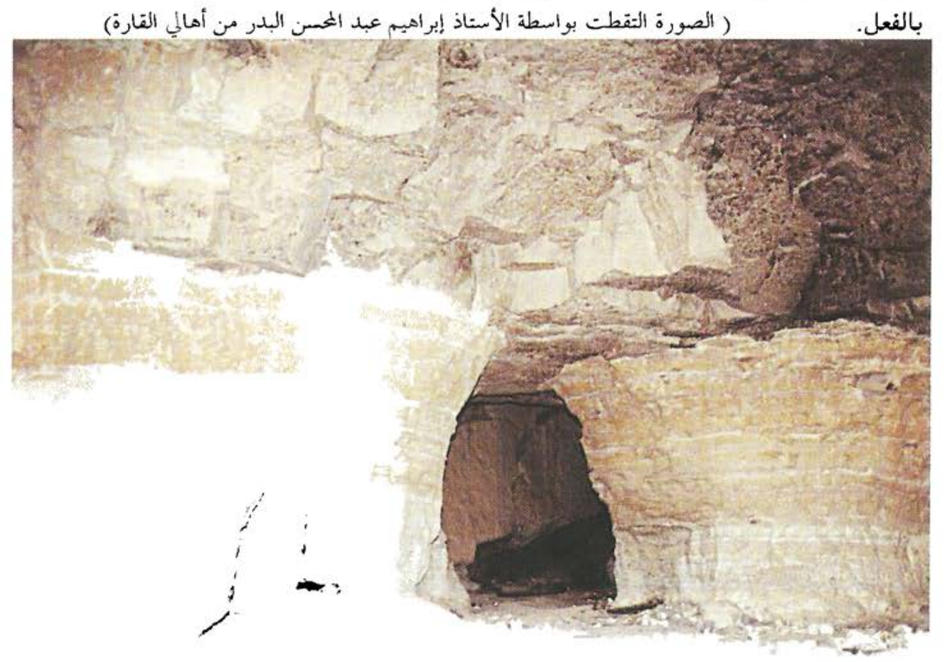
الصورتان رقم (٣٤ و ٣٥): هاذان العمودان يقعان في الركن الشمالي الغربي من جبل الشبعان، وقد بدا في الصورة العُليا مسجد الملائكة بين العمودين، وهو الذي عناه فيدال عند كلامه عن الموقع الذي رجحنا كونه مدينة هجر. ويجثم هذان العمودان أمام مدخل مغارة منحوتة بإتقان داخل الجبل بواسطة الإنسان، وهذه المغارة مما أعتقد جازماً أنّها كانت جزءاً من مدينة هجر العظيمة، وسوف نرى فيما يلي بعض الصور لهذه المغارة

* الصورة التقطت بواسطة الدكتور مرعي الشخص

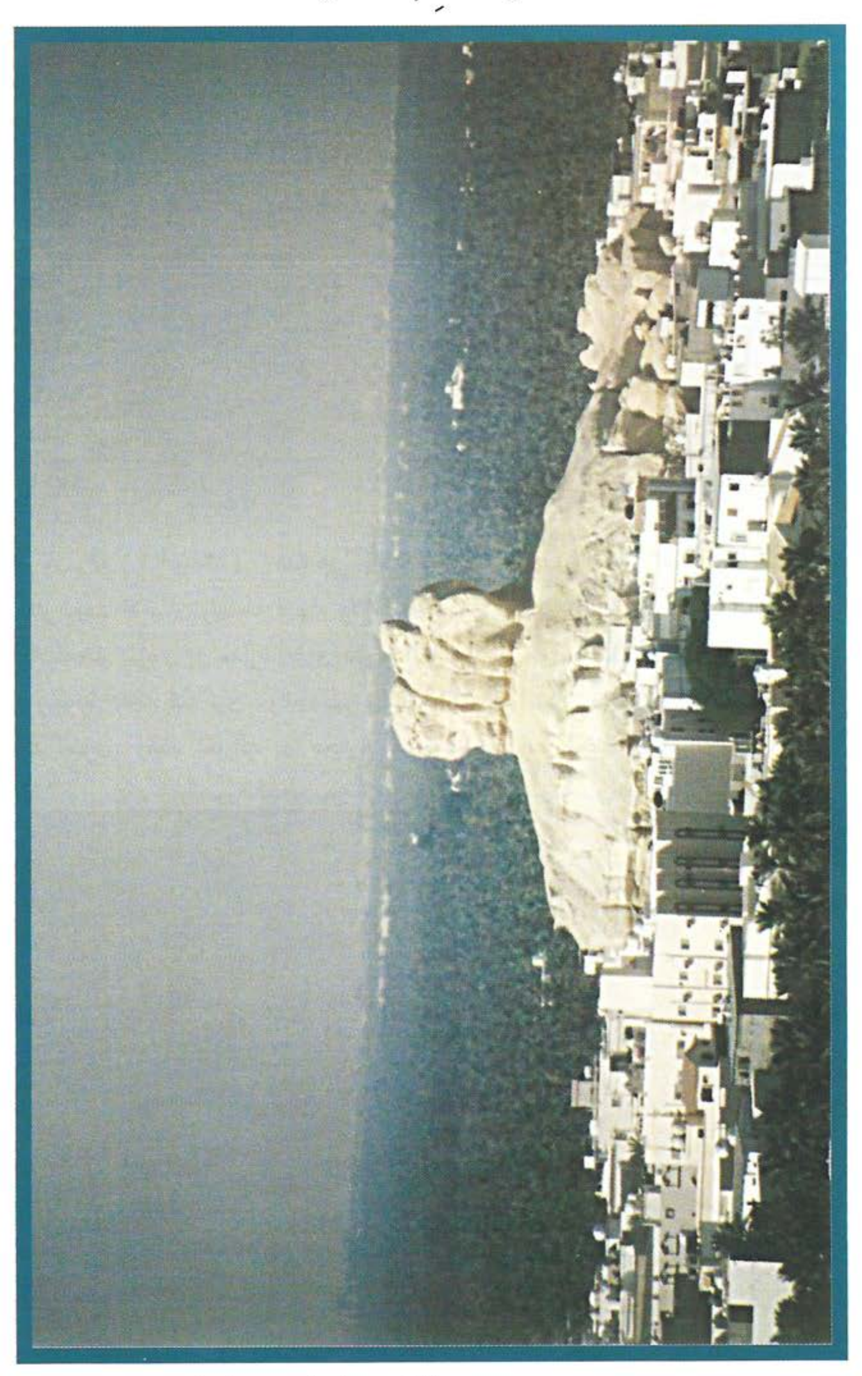




الصورتان رقم (٣٦ و ٣٧): هذه هي المغارة المنحوتة من قبل البشر داخل جبل الشبعان وإن آثار نحت الإنسان واضحة فيها، ولا سيما الصورة السفلى منهما حيث لا مجال للشك أنّ هذا المدخل المؤدي إلى مغارة أخرى داخل المغارة الأولى هو من صنع الإنسان نظراً لدقة نحته وجودة إتقانه كما نرى، والجدير بالذكر أنّ هذه المغارة تتصل من الداخل بعدة مغارات أخرى، وهذه المغارات لها مخارج أخرى في الجهات المختلفة لهذا الجبل العجيب بالفعل. (الصورة التقطت بواسطة الأستاذ إبراهيم عبد المحسن البدر من أهالي القارة)



المشقر مُلْهِم الشعراء



* الصورة التقطت بواسطة الأستاذ إبراهيم البدر.

الفهارس العامة

قمنا في هذا الفهرس، وبقصد تسهيل عملية البحث على القارئ بإدراج أعلام الناس وأعلام القبائل والبطون والأسر وكذلك الأعلام الجغرافية في فهرس واحد مُرتَّب على حروف المعجم.

وقبل ذلك نود لفت نظر القارئ إلى بضع نقاط، وهي كالتالي:

١. في أحيان قليلة قد لا يجد القارئ العلم المطلوب في الصفحة المشار إليها في الفهرس هنا، فما عليه إلا البحث في الصفحة التي تسبقها أو التي تليها مباشرة، وسيجده إن شاء الله.

٢. إن الرقم أو الأرقام المشار إليها بإزاء العلم هي أرقام الصفحات التي ورد فيها هذا العلم، ولا فرق بين أن يكون العلم قد ورد في الأصل أو في الحواشي السفلية .

٣. قد يكون علمٌ ما ورد في الصفحة مكرراً أكثر من مرّة، فلم نشر إلى هذا التكرار، وعلى القارئ التنبه إلى أنه ربما يكون العلم متكرراً في الصفحة الواحدة.

٤. لغرض التسهيل والتنسيق فقد قمنا بتجريد المعرف بـ (ال) منها، فمثلاً كلمة (الحارث) تصبح (حارث)، وكلمة (الأحساء) تصبح (أحساء) وهلم جرّاً.

٥. كل ما وضع بين قوسين بعد العلم مباشرة، فهو تعريف للعلم أو توضيح له، وأما الرمز = فإنه يعني أنّ هذا العلم قد ورد بالمسميين الذي قبل هذا الرمز والذي بعده، وبإمكان القارىء البحث عنه بكلا الاسمين.

[1] يشمل هذا الاسم المقدس – صلوات الله عليه وآله وسلم – كل الصور التي تعنيه أو تدل عليه مثل: الرسول / النبي / أحمد ... إلخ.

مراجع ومصادر البحث

م	الكتاب	المؤلف	المحقق	الناشر	المكان	عام النشر
١	آثار البلاد	زكريا بن محمد القزويني	بدون	دار بيروت	بيروت	١٣٩٩هـ
٢	أخبار القرامطة	د. سهيل زكار	بدون	دار حسَّان	دمشق	١٤٠٧هـ
٣	الأعلام	خير الدين الزركلي	بدون	دار العلم للملايين	بيروت	١٩٨٠م
٤	أعيان الشيعة	السيد محسن الأمين	السيد حسن الأمين	دار التعارف	بيروت	١٤٠٦هـ
٥	الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني	عدة محققين	دار إحياء التراث العربي	بيروت	بدون
٦	إكمال الكمال	ابن ماكولا		دار الكتاب الإسلامي	القاهرة	بدون
٧	الأنساب	السمعاني	الشيخ عبد الرحمن المعلمي	محمد أمين دمج	بيروت	١٤٠٠هـ
٨	الأنساب	سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري العماني	بدون	وزارة التراث والثقافة العمانية	عُمان	١٤١٥هـ

٩	أنساب الأشراف	البلاذري	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			
١٠	الأنساب المتفقة	ابن القيسراني		بريل	ليدن	بدون
١١	أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين	علي بن حسن البلادي البحراني	محمد علي محمد رضا الطبسي	دار النعمان	النجف الأشرف	١٣٧٧هـ
١٢	اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة الفاطميين الخلفا	المقريزي	د. جمال الدين الشيّال	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	القاهرة	١٣٨٧هـ
١٣	الاشتقاق	ابن دريد	عبد السلام هارون	دار الجيل	بيروت	١٤١١هـ
١٤	تاج العروس	الزبيدي		مكتبة الحياة	بيروت	بدون
١٥	تاريخ ابن الأثير	ابن الأثير	بدون	دار الفكر	بيروت	١٣٩٨
١٦	تاريخ ابن خلدون	ابن خلدون	—	مؤسسة الأعلمي للمطبوعات	بيروت	١٣٩١هـ
١٧	تاريخ الأمم والملوك	محمد بن جرير الطبري	—	دار الفكر	بيروت	١٤٠٧هـ
١٨	تجارب الأمم	مسكويه	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			

١٩	تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد	محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري	حمد الجاسر	مكتبة الأحساء الأهلية	الأحساء	١٤٠٢هـ
٢٠	التعليقات والنوادر	أبو علي الهجري	حمد الجاسر	دار اليمامة	الرياض	بدون
٢١	التنبيه والأشراف	المسعودي	لجنة تحقيق	دار ومكتبة الهلال	بيروت	١٩٨١م
٢٢	تهذيب اللغة	الأزهري	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			
٢٣	تهذيب تاريخ دمشق	الشيخ عبد القادر بدران	بدون	دار المسيرة	بيروت	١٣٩٩هـ
٢٤	الجرح والتعديل	الرازي	بدون	دار إحياء التراث العربي	بيروت	بدون
٢٥	جمهرة اللغة	ابن دريد	د. رمزي البعلبكي	دار العلم للملايين	بيروت	١٩٨٧م
٢٦	جمهرة النسب	محمد بن السائب الكلبي	د. ناجي حسن	عالم الكتب	بيروت	١٤٠٧هـ
٢٧	حماسة البحتري	البحتري	الأب لويس شيخو	دار الكتاب العربي	بيروت	١٣٨٧هـ
٢٨	الحيوان	الجاحظ	فوزي عطوي	دار صعب	بيروت	١٤٠٢هـ
٢٩	ديوان الأعشى	أعشى قيس بن ثعلبة	–	دار ابن قتيبة	الكويت	بدون

٣٠	ديوان الفرزدق	الفرزدق	بدون	دار بيروت	بيروت	١٤٠٠هـ
٣١	ديوان لبيد	لبيد بن ربيعة العامري	بدون	دار صادر	بيروت	بدون
٣٢	رجال النجاشي	أبو العباس النجاشي	محمد جواد النائيني	دار الأضواء	بيروت	١٤٠٨هـ
٣٣	رسالة الصاهل والشاحج	المعري	د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء)	دار المعارف	مصر	١٤٠٤هـ
٣٤	الروض المعطار في ذكر المدن والأقطار	محمد بن محمد الحميري	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			
٣٥	سالنامة ولايت بصرة	محمد نجيب	بدون	مطبعة سنده باصلمشدر	البصرة	١٣١٨هـ
٣٦	سنن النسائي	النسائي	السيوطي	دار الفكر	بيروت	١٣٤٨هـ
٣٧	سير أعلام النبلاء	الذهبي	شعيب الأرنؤوط	مؤسسة الرسالة	بيروت	١٤٠٢هـ
٣٨	شرح اختيارات المفضل	التبريزي	د. فخر الدين قباوة	دار الكتب العلمية	بيروت	١٤٠٧هـ
٣٩	شرح ديوان ابن المقرّب	مجهول	عبد الخالق الجنبي علي البيك عبد الغني العرفات	المركز الثقافي للنشر والتوزيع	بيروت	١٤٢٣هـ

٤٠	شرح ديوان طرفة	الأعلم الشنتمري	د. رحاب خضر عكاوي	دار الفكر العربي	بيروت	١٩٩٣م
٤١	شرح نقائض جرير والفرزدق	أبو عبيدة	د. محمد إبراهيم حور د. وليد محمود خالص	المجمع الثقافي	أبو ظبي	بدون
٤٢	شعر الأخطل	السكري	د. فخر الدين قباوة	دار الآفاق الجديدة	بيروت	١٣٩٩هـ
٤٣	الصحاح	الجوهري	أحمد عبد الغفور عطار	دار العلم للملايين	بيروت	١٤٠٧
٤٤	صفة جزيرة العرب	الهمداني	محمد بن علي الأكوع	دار اليمامة	الرياض	١٣٩٤هـ
٤٥	صفحات من تاريخ الأحساء	عبد الله الشباط	بدون	الدار الوطنية الجديدة	الخبر	١٤٠٩هـ
٤٦	الصواعق المحرقة	ابن حجر الهيتمي	عبد الوهاب عبد اللطيف	مكتبة القاهرة	مصر	١٣٨٥هـ
٤٧	صورة الأرض	ابن حوقل	بدون	دار صادر	بيروت	بدون
٤٨	الطبقات الكبرى	محمد بن سعد	بدون	دار صادر	بيروت	بدون
٤٩	طبقات فحول الشعراء	ابن سلام الجمحي	محمود شاكر	مطبعة المدني	القاهرة	١٣٩٤هـ
٥٠	العفو والاعتذار	محمد بن عمران العبدي	–	–	بيروت	–

٥١	العين	الخليل بن أحمد الفراهيدي	د. مهدي المخزومي د. إبراهيم السامرائي	مؤسسة دار الهجرة	إيران	١٤٠٩
٥٢	عيون الأنباء في طبقات الأطباء	ابن أبي أصيبعة	د. نزار رضا	دار مكتبة الحياة	بيروت	بدون
٥٣	الفائق في غريب الحديث	الزمخشري	إبراهيم شمس الدين	دار الكتب العلمية	بيروت	١٤١٧
٥٤	فتح الباري	ابن حجر	بدون	دار المعرفة	بيروت	بدون
٥٥	فتوح البلدان	البلاذري	لجنة تحقيق	دار ومكتبة الهلال	بيروت	١٤٠٣هـ
٥٦	القاموس المحيط	الفيروز ابادي	بدون	دار العلم للجميع	بيروت	بدون
٥٧	قلائد الجمان	القلقشندي	إبراهيم الأبياري	دار الكتب الإسلامية	القاهرة بيروت	١٤٠٢هـ
٥٨	الكافي	الكليني	علي أكبر الغفاري	دار الكتب الإسلامية	طهران	١٣٨٨هـ
٥٩	كتاب البلدان	ابن الفقيه الهمذاني	يوسف الهادي	دار عالم الكتب	بيروت	١٤١٦هـ
٦٠	كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة	غير معروف	حمد الجاسر	دار اليمامة	الرياض	١٤٠١هـ
٦١	كشف الظنون	حاجي خليفة	بدون	دار الكتب العلمية	بيروت	١٤١٣هـ

٦٢	كشف الغمة	الشعراني	بدون	المطبعة الميمنية	مصر	١٣٢٧
٦٣	لسان العرب	ابن منظور		دار المعارف	مصر	
٦٤	مجمع الأمثال	الميداني	محمد أبو الفضل إبراهيم	دار الجيل	بيروت	١٤٠٧هـ
٦٥	المحاسن	البرقي	جلال الدين الحسيني	دار الكتب الإسلامية	طهران	
٦٦	المحبر	ابن حبيب	د. إيلزة ليختن شتيتر	دار الآفاق الجديدة	بيروت	بدون
٦٧	مختارات شعراء العرب	ابن الشجري	علي محمد البجاوي	دار الجيل	بيروت	١٤١٢هـ
٦٨	مختصر البلدان	ابن الفقيه الهمذاني	دي خويه	دار صادر	بيروت	بدون
٦٩	المختصر في أخبار البشر	أبو الفداء	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			
٧٠	المستقصى في أمثال العرب	الزمخشري	بدون	دار الكتب العلمية	بيروت	١٣٩٧هـ
٧١	المعارف	ابن قتيبة	د. ثروت عكاشة	دار المعارف	مصر	١٣٨٨هـ
٧٢	معجم البلدان	ياقوت الحموي	بدون	دار بيروت	بيروت	بدون
٧٣	معجم البلدان	ياقوت الحموي	فريد عبد العزيز الجندي	دار الكتب العلمية	بيروت	١٤١٠هـ

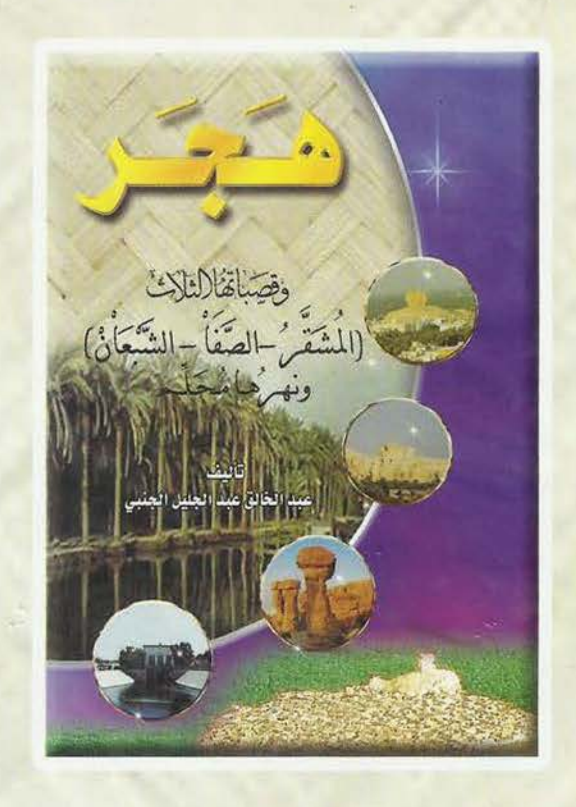
٧٤	المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)	الشيخ حمد الجاسر	بدون	دار اليمامة	الرياض	متفاوت
٧٥	معجم الشعراء	المرزباني	ف. كرنكو	دار الكتب العلمية	بيروت	١٤٠٢هـ
٧٦	معجم ما استعجم	البكري	مصطفى السقا	عالم الكتب	بيروت	١٤٠٣هـ
٧٧	معرفة الثقات	الحافظ العجلي	عبد العليم عبد العظيم البستوي	مكتبة الدار	المدينة المنورة	١٤٠٥
٧٨	المعرفة والتاريخ	الفسوي	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			
٧٩	المفضليات	المفضل الضبّي	أحمد شاكر و عبد السلام هارون	دار المعارف	مصر	بدون
٨٠	مقاييس اللغة	ابن فارس	ضمن قرص مضغوط (CD)			
٨١	مناقب آل أبي طالب	ابن شهر آشوب المازندراني	لجنة تحقيق	محمد كاظم الكتبي	النجف	بدون
٨٢	نسب معد واليمن الكبير	هشام بن محمد الكلبي	د. ناجي حسن	دار عالم الكتب	بيروت	١٤٠٨هـ
٨٣	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب		ضمن قرص مضغوط (CD)			

٨٤	نهاية الأرب	النويري	عن موقع الوراق في الشبكة العالمية (إنترنت)			
٨٥	النهاية في غريب الحديث	ابن الأثير الجزري	صلاح بن محمد	دار الكتب العلمية	بيروت	١٤١٨هـ
٨٦	واحة الأحساء	فريدريكو فيدال	ترجمة عبد الله السبيعي	د. عبد الله بن ناصر السبيعي	الرياض	١٤١٠هـ
٨٧	واحة الأحساء: دراسة في مواردها المائية	د زين العابدين رجب	بدون	المؤلف نفسه	السودان	١٤١٠هـ
٨٨	ينابيع المودة	القندوزي	سيد علي جمال أشرف الحسيني	دار الأسوة للطباعة والنشر	إيران	١٤١٦هـ

فهرس عناوين الكتاب

شعراء وإدباء آخرون ذكروا المشقر والصفا

تمت





حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com